الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر باتنة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

السّياق و دلالته في القصص القرآني قصّة موسى عليه السّلام أنموذجا

أطروحة مكمّلة لنيل شهادة الدكتوراه في اللّغة والأدب العربي

تخصّص علم الدلالة

إعداد الطالبة: علية بيبية

إشراف الدكتور: محمد بوعمامة

الأستاذ	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
عبد الكريم بورنان	أستاذ محاضر –أ-	جامعة باتنة	رئيسا
محمد بوعمامة	أستاذ تعليم عالي	جامعة باتنة	مشرفا ومقررا
لخضر بلخير	أستاذ محاضر –أ-	جامعة باتنة	عضوا مناقشا
عبد القادر شارف	أستاذ محاضر –أ-	جامعة الشلف	عضوا مناقشا
سعاد بسناسي	أستاذ محاضر أ	جامعة وهران	عضوا مناقشا
صالح لحلوحي	أستاذ محاضر –أ-	جامعة بسكرة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 2012-2013

مقدمة البحث

الحمد لله الذي أكرمنا بنعمة الإسلام والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيئين محمد صلى الله عليه وسلم وبعد:

إيمانا وقناعة لا يعتريها شك ولا ارتياب أنّ أكبر سعادة للمسلم تكون بخدمة كتاب الله وذلك بتدبّر معانيه والكشف عن أسراره، فإنّه منهل العلوم ودواء الكلوم. منه استمد العلماء أفكارهم وراحوا يجتهدون في تفسيره وبيانه وتوضيح ما التبس من معانيه، كيف لا وهو كتاب الله المعجز في ألفاظه ومعانيه، وأنّ من أعظم مظاهر إعجازه وتنوّع السياقات الواردة فيه، تلك السياقات التي تجتمع لتكون دلالات متعددة تنطلق من نظم الكلمة إلى الجملة إلى النص. ثم تنفتح على عوالم خارج المجال اللغوي، ذلك هو السياق الي يمثل المحيط الميتالغوي الذي يسبق ويلحق وحدة معينة داخل اللغة وخارجها، لذلك كان هدف البحث هو بيان دلالة هذا السياق من حيث هو الكاشف عما هو سابق ولاحق وذلك في الخطاب القرآني ونخص بالذكر القصص القرآني وتحديدا ما ورد في قصة سيدنا موسى عليه السلام. لذلك كان عنوان البحث (السياق ودلالته في القصص القرآني: قصة موسى عليه السلام أنموذجا). وهو بحث يطرح إشكالات متعددة في النظرية السياقية وكيفيات تطبيقها على القصة. ومن بين الإشكاليات المطروحة في هذا المجال والتي يطمح الباحث إلى النّظر فيها نذكر ما يلي:

إلى أي مدى يحقق السياق دلالته في القصة؟ وقبل كل هذا، ما هو السياق؟ وما هي أنواعه؟ وما دلالته في مسارات قصة سيدنا موسى عليه السلام؟ وما هي آثاره على الشخصية الرئيسية والشخصيات المحيطة بها؟ وهل يستطيع السّياق الكشف عن الدلالات وحركات الفعل السردي مستوفيا مضامين القصة كاملة خاصة وأنها مجزأة وموزعة على معظم سور القرآن الكريم؟

تقوم هذه الدراسة على مستويين مترابطين هما المستوى النظري والمستوى التطبيقي وخاصة منهما ما تعلق بأنواع السياقات. واحتوت بذلك على خمسة فصول. أما الفصل الأوّل فهو فصل تمهيدي احتوى على المصطلحات المفاتيح للدراسة وضبط مفاهيمها النظرية وأهم هذه المصطلحات السياق وهو المحور الرئيس، لذلك ورد تعريفه لغة

واصطلاحا وأنواعا. وتفرّع الثّالث إلى الأنواع الأربعة وهي على التوالي السياق اللغوي والسياق النفسي والسياق الاجتماعي وسياق الموقف الذي يشمل المتكلم والمخاطب والرسالة والمكان والزمان وغيرها..

أمّا الفصول الأخرى فجاءت تطبيقية محضة مدعمة في الأساس الأول بمفاهيم نظرية. فقد كان الفصل الأول مشتملا على النوع الأول وهو السياق اللغوي وقد اندرج تحته كل من الأساليب الإنشائية الطلبية كالأمر والنهي والنداء وما حملته من أغراض كالتنبيه والاستعلاء والالتماس وغيرها، كما يشمل أيضا وسائل التماسك النصي كالربط والإحالة والتكرار وظواهره التي تمسّ الفروق الدلالية كالمشترك اللفظي والترادف. أما الفصل الثالث المعنون بالسياق النفسي فقد جاء مذيلا بعناصر تبين الجوانب الانفعالية والظواهر النفسية لشخصيات القصة كالخوف والفرح والتسلط والأمن، فتجليات الخوف متعلقة بموسى عليه السلام وأمه وقوم فرعون بينما شمل الفرح أم موسى عليه السلام وامرأة فرعون. وتمثل التسلط في طغيان فرعون وعلوه في الأرض. أما الفصل الرّابع فقد بين العلاقات داخل الأسرة وخارجها حيث تجلت العلاقات داخل الأسرة البيولوجية في حلقة الاتصال بين موسى عليه السلام وأمه وأخيه هارون أكثر من الأب والأخت. أما الأسرة المتبنية فكان حظ فرعون فيها أكثر في مسارات حياة سيدنا موسى إذ شهد مواجهات كثيرة معه في مجال الدعوة، كما ارتبطت العلاقات خارج الأسرة بالسحرة وسيدنا الخضر وبني اسرائيل فكان لكلّ واحد منهم موقف مع النبي موسى وهو بصدد نشر رسالة التوحيد. أما الفصل الرابع فقد جاء محيطا بظروف القصة وأهمها العناصر الاتصالية والأحداث المحيطة بالحدث الكلامي كالمرسل والمرسل إليه والرسالة والزمان والمكان.

وانتهى البحث بخاتمة توّجنا من خلالها أهم النتائج المتوصل إليها في صلب الدراسة.

ولابد لكل بحث من منهج يعتمده لذلك فقد استندت إلى المنهج الوصفي الذي يعتمد على التحليل والإجراء. كما اعتمدت على المنهج التاريخي لما فيه من سرد الحقائق التاريخية والمنهج المقارن لما كان الأمر يقتضي مقارنة بعض السياقات المتشابهة بين سيدنا موسى عليه السلام والرسول محمّد صلى الله عليه وسلم.

وقد اخترت هذا الموضوع لأسباب عدة منها:

- ولعي الشديد بالدراسات اللغوية القرآنية التي تبحث في جماليات الكلمة ونظم الجملة في النص القرآني.
- الرغبة في الكشف عن الدلالات التي ينتجها السياق ومدى فاعليتها في الأحداث والشخصيات المكونة للقصص القرآني.
- طول قصة سيدنا موسى عليه السلام في القرآن الكريم خاصة وأنها توزعت على عدة سور مما جعلها تحتل القسط الأكبر من الأحداث في النص القرآني.
- قلة الدراسات النظرية والتطبيقية لدلالة السياق في القصص القرآني بالذات عدا دراسة قام بها الدكتور محمد عبد الله علي سيف بعنوان: (دلالة السياق في القصص القرآني)، إصدارات وزارة الثقافة بصنعاء الطبعة الأولى سنة 2000.

أما عن أهمية هذه الدراسة فتتجلى في الآتي:

- مراعاة الباحث للسياقات الواردة في القصص القرآني والكشف عن أسرارها.
- الكشف عن آليات الحوار والحجج والأدلة التي يتضمنها القصص القرآني وما يحيط بها من ملابسات.

إنّ السياق يكشف عن المعنى الدقيق للّفظ خصوصا في الألفاظ المتقاربة معنى وكذا المشترك اللفظي، كما تبحث أيضا في الظروف المحيطة بعالم القصة وخاصة سبب النزول الذي يعد من الخلفيات المرجعية في تفسير القرآن.

ولا بد لكل بحث من مصادر ومراجع يستزاد بها لإثراء الموضوع، وقد اعتمدت على مجموعة منها تتوزّع كالآتي:

- بالنسبة إلى الفصل التمهيدي الذي يتطرق إلى نظرية السياق اعتمدت كتابي (نظرية السياق بين القدماء والمحدثين) و(نظرية السياق دراسة أصولية) لنجم الدين قادر كريم وكتاب (مقتضى الحال بين البلاغة القديمة والنقد الحديث).
- بالنسبة إلى الفصل الأول المتعلق بالسياق اللغوي اعتمدت على (الفعل زمانه وأبنيته) لإبراهيم السامرائي وكتاب (البلاغة العربية قراءة أخرى) لمحمد عبد المطلب و(تعدد المعنى في القرآن الكريم) لألفة يوسف.

- بالنسبة إلى الفصل الثالث الخاص بالسياق النفسي اعتمدت كتاب (معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة) لعاطف الزين وكتاب (القرآن وعلم النفس) لمحمد عثمان نجاتي وكتاب (الخطاب النفسي في القرآن الكريم).
- بالنسبة إلى الفصل الرّابع الخاص بالسياق الاجتماعي اعتمدت كتاب (أنماط العلاقات الاجتماعية في النص القرآني) وكتاب (التردد السردي في القرآن الكريم) وكتاب (المفهوم القرآني والتوراتي عن موسى وفرعون) لزاهية راغب الدجاني
- بالنسبة إلى الفصل الرابع الخاص بسياق الموقف اعتمدت كتاب (جماليات المكان) لغاستون باشلار و(جماليات التلقي في السرد القرآني) ليادكار لطيف الشهرزوري وغيرها كثير. كما اعتمدت على أمهات كتب التفسير ك(التحرير والتنوير) للطاهر بن عاشور وتفسير الشعراوي، وكذا الكتب المتعلقة بقصص الأنبياء ككتاب قصص الأنبياء المسمى (عرائس المجالس) وكتاب (قصص الأنبياء والمرسلين) للشيخ محمد متولي الشعراوي..

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر الوافر بعد الله عز وجل للأستاذ الدكتور محمد بوعمامة الأستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة باتنة والذي كان لي مشرفا كريما وأستاذا فاضلا بأفكاره وتوجيهاته وجزاه الله عني وعن طلاب العلم خير الجزاء. كما أشكر كل من ساعدني في هذا البحث برأي أو توجيه أو إشارة لطيفة من أساتذة وأخوات عزيزات قدموا لي يد العون وأخص بالذكر منهم الأستاذة جنات زراد والأستاذة منى برهومي والأستاذة سمية برهومي الأستاذات بكلية الآداب واللغات بجامعة تبسة. كما أشكر الأستاذ عبدالقادر بن فرح من جامعة سوسة بتونس لقراءة العمل وتصويب ما تسرّب إليه من أخطاء لغويّة.

وأخيرا أدعو الله أن أكون قد وفّيت هذا الموضوع حقّه فما كان من صواب فمن الله أولا وأخيرا وما كان من خطأ فمن نفسي وأسأل الله أجر المجتهدين والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأوّل: السّياق، مفهومه وأنواعه

مدخل

تمثل نظرية السياق إحدى النظريات التي تناولت المعنى من جانبيه الداخلي والخارجي أو المركزي والهامشي. ويمثل الجانب الداخلي –ونقصد به اللغوي– العناصرَ المقالية داخل النص، بينما يمثل الجانب الخارجي منه تلك الأحداث والعناصر غير اللغوية التي تصاحب النص.

وقد كان لهذه النظرية القسط الأوفر من الدراسة والبحث سواء في التراث العربي أو في الدراسات اللغوية الحديثة لكونها نظرية تعتمد على فهم النصوص وكشف دلالاتها داخليا وخارجيا، فالسياق يشمل عناصر دلالية تُستفاد من ظروف القول ومحيطه. وهو بأنواعه المعروفة يحدّد المعنى ويوجهه لأنّ معنى الكلمة يتجسد في استعمالها في اللغة أو في الطريقة التي تستعمل بها أو الدور الذي تؤديه في توضيح المعنى المُراد.

1. مفهوم السياق

1.1. لغة

جاء في لسان العرب مادة (س،و،ق): "ساقَ الإبلَ وغيرَها يَسُوقها سَوْقاً وسِياقاً وهو سائقٌ وسَوَّاق شدِّد للمبالغة، قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (ق/21). وقيل في التفسير سائقٌ يَسُوقها إلى محشرها وشَهِيد يشهد عليها بعملها وقد انْساقَت الإبلُ وتَساوَقَت إذا تتابعت".،فالسياق لغة هو التتابع والسير والانتظام في قطيع واحد، فإذا قلنا سياق الكلمات فإنّنا نعني بذلك "تتابعها وسردها في الجملة أو العبارة[1]".

2.1. اصطلاحا

هو: "علاقة لغوية وخارج نطاق اللغة يظهر فيها الحدث الكلامي[2]. معنى ذلك أنه المحيط اللغوي الذي يسبق وحدة معينة داخل اللغة وخارجها أويلحقها، إذ يتعلق بتتابع الكلام مع مراعاة السابق واللاحق عليه. ويعتبر هذان المصطلحان ركني السياق.

والملاحظ من خلال التعريفين (اللغوي والاصطلاحي) للسياق أن هناك علاقة مشابهة بينهما، حيث أن في اللغة تتابعا للجمل –الواحدة منها وراء السّابقة وقبل اللاحقة– وفق

---

[1] عبد النعيم خليل: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء للطباعة والنشر الإسكندرية،ط1،2007،ص 22.

[2] فريد عوض حيدر:علم الدلالة، مكتبة الآداب القاهرة،ط1 ،2005،ص 157.

تنظيم نحوي محكم، وتحيط بها ملابسات خارجية تحددها ملامحها الدقيقة وطرقها في توصيل الرسالة.

2. أنواعه

1.2. السياق اللغوي

يعرفه علماء اللغة المحدثون بأنه "النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم، وهو يشمل عندهم الكلمات والجمل السابقة واللاحقة للكلمة والنص الذي ترد فيه(3)". معنى ذلك أن الوحدة اللغوية ترتبط عانصرها فيما بينها فتشكل كل واحدة منها معنى محددا يفهم من خلال آداء المقال، وبالتالي معرفة دلالة الألفاظ على المعاني، فلهذه الوحدة اللغوية أو الكلمة معنى معجمي يتغير بتغير السياق وفقا للتركيب الذي تتجاور فيه الكلمة مع مثيلاتها فيغير معناها "فالسياق لا يقبلها مادة خام لذلك لا بد أن تصاغ في صيغة من الصيغ حسب متطلبات الكلام وهذه الصيغة تضفي عليها معناها فيطرأ تعديل على المعنى الأصلي ثم يأتي دور النحو الذي يحدد موقعها من الكلام فيضفي على معناها الجديد معنى آخر هو المعنى النحوي للجمل، أضف إلى ذلك المعنى الذي يقصده المتكلم من كلامه، هل استعمل اللفظ استعمالا حقيقيا أم مجازيا، هل يقصد المعنى أم معنى المعنى(3)".

والسياق يعِين الكلمة على تعدد استعمالاتها باعتبارها إبلاغا عن معنى. وهذا المعنى لا يظهر إلا إذا وقعت الكلمة في استعمالها المحدد فدلالة الكلمة هي دلالة سياقها وموقعها فيه وهي بذلك تختلف عن معناها المعجمي الذي يتعدد في المعجم. وفي هذا الشأن يقول فندريس: "الذي يعيّن قيمة الكلمة في كل الحالات إنما هو السياق، إذ أن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديدا مؤقتا، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، والسياق أيضا هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية(4)". فالسياق اللغوي يحدد استعمالات الكلمة وهذه الاستعمالات تخرج بها من محيط اللغة الساكن إلى محيط الكلام المتحرك. ولنا حديث عن مكونات السياق اللغوي في عنصر لاحق.

---

[3] محمد الهادي عياد:الكلمة دراسات في اللسانيات المقارنة،مركز النشر العلمي منوبة،ط1 ،2010 ،ص 128

[4] ج فندريس، اللغة:تعريب عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، منشورات الانجلو المصرية، القاهرة، د ت، د ط، ص 231.

2.2. السياق النفسي

يشمل مصطلحات عدة منها السياق العاطفي والسياق الانفعالي، وهو "السياق الذي يتولى الكشف عن المعنى الوجداني، والذي يختلف من شخص إلى آخر[5]". ودور هذا النوع من السياق هو تحديد درجة القوة والضعف في انفعال المتكلم مما يقتضي تأكيدا أو مبالغة أو اعتدالا ووظيفته تكمن في: "تحديد طبيعة استخدام الكلمة بين دلالتها الموضوعية العامة ودلالتها العاطفية الخاصة[6]". فبالرغم من اشتراك وحدتين لغويتين في أصل المعنى فإنّ دلالتها تختلف، مثال ذلك الفرق بين دلالة الكلمتين "اغتال" و"قتل" إضافة إلى القيم الاجتماعية التي تحددها الكلمتان فهناك إشارة إلى درجة العاطفة والانفعال التي تصاحب الفعل فإذا كان الأوّل يدل على أن المغتال ذو مكانة اجتماعية عالية وأن الاغتيال كان لدوافع سياسية فإنّ الفعل الثاني يحمل دلالات مختلفة عن الأولى وهي دلالات تشير إلى أن القتل قد يكون بوحشية وأن آلة القتل قد تختلف عن آلة الاغتيال فضلا عن أن المقتول لا يتمتع بمكانة اجتماعية عالية.

3.2. السياق الثقافي

يسمى كذلك السّياق الاجتماعي ودوره "تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة، أي أن كل طبقة ثقافية لها كلمات خاصة بها أو حقل دلالي خاص بها، وتكون هذه الكلمات مختلفة الدلالات من مجموعة إلى أخرى[7]". ويظهر هذا النوع من السياق في "استخدام كلمة معينة في مستوى لغوي محدد، واستخدامها مرتبط بالثقافة[8]". فالقيمة الثقافية والاجتماعية المحيطة بالكلمة تعطيها معنى محددا تبعا لتلك القيمة. ويقول ناصر حامد أبو زيد في قضية السياق الثقافي: "السياق الثقافي للنصوص اللغوية كل ما يمثل مرجعية معرفية لإمكانية التواصل اللغوي[9]". ومن أمثلة هذا النوع من السياق كلمة (جذر) التي تحمل معنى عند المزارع، ومعنى ثانيا عند اللغوي، ومعنى ثالثا عند عالم الرياضيات، وكلمة (عملية) التي لها معنى عند الرياضي، وآخر عند الطبيب

---

[5] فريد عوض حيدر: علم الدلالة: دراسة نظرية وتطبيقية، ص 160.
[6] نسيم عون، الألسنية: محاضرات في علم الدلالة،دار الفارابي،بيروت،ط1،2005 ص 160.
[7] محمد عبد العبود: مصطلحات الدلالة لعربية في ضوء علم اللغة الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2007، ص 148.
[8] نسيم عون: الألسنية، ص 161.
[9] ناصر حامد أبو زيد:النص والسلطة والحقيقة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 4، 2000، ص 97.

والضابط إلخ. "فالمفهوم الذهني للمداخل المعجمية يختلف باختلاف السياقات الثقافية[10]»، فكلمة (كافر) معناها في البيئة الزراعية المزارع الذي يفلح الأرض، قال ابن فارس: "ويقال للزارع كافر لأنه يغطي الحب بتراب الأرض[11]" لقوله تعالى: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ (الحديد/20)، فلكل كلمة في السياق الثقافي ظلال ثقافية لها ارتباط بالدين والتاريخ والسياسة وشخصية مستخدم هذه اللفظة. وللإشارة فإن السياق الثقافي يساهم بدور أساسي في عملية الترجمة "إذ تقتضي الدقة العلمية والفهم الصحيح أن يلمّ المترجم بالسياق الثقافي للنص المترجم لكي ينقل مضمونه إلى اللغة الأخرى بكلمات موازية من حيث الارتباط بالسياق[12]، فالمعنى إذن متحرك من أصله إلى ظلاله حسب ثقافة المجتمع.

4.2. سياق الموقف

وهو "الإطار الخارجي الذي يحيط بالإنتاج الفعلي للكلام في المجتمع اللغوي[13]". ويمثل سياق الموقف "كل ما يقوله المشاركون في جملة الكلام وما يسلكونه كما يشكل الخلفية الثقافية بما تتضمنه من سياقات خبرات المشاركين[14]". والملاحظ أنّ هذا النوع من السياق تتداخل فيه مجموعة من المصطلحات المصاحبة له، وهي المقام ومقتضى الحال وسياق الحال، وهي بدورها تحتاج إلى بيان تفصيلها وعلاقتها بسياق الموقف.

1.4.2. المقام

عبارة (المقام) مأخوذة من مادة (ق،و،م). "وهو موضع القدمين، والمُقَام والمُقامة، الموضع الذي تقيم فيه، والمُقامة بالضم الإقامة، والمَقامة بالفتح المجلس والجماعة من الناس، وقال وأما المُقام والمَقام فقد يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة وقد يكون بمعنى موضع القيام[15]". كقوله تعالى: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ (الأحزاب/13)، أي لا موضع لكم، وقوله تعالى أيضا: ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (الفرقان/76)، أي موضعا، وقوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ (الدخان/25، 26). نتبين من هذه التعريفات أنّ المقام مفهوم يدور محوره على ثلاثة أبعاد: الثبات المكاني والثبات الزماني ووضوح المنزلة. وهذا التعريف اللغوي يلائم تعريف المقام حديثا في الثقافة الغربية والذي هو "الوضعية

10 أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ط 1، 1999، ص 158.
11 أحمد بن فارس:معجم مقاييس اللغة، ت إبراهيم شمس الدين، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1999، م 2، ص 450.
12 نسيم عون: الألسنية: محاضرات في علم الدلالة، ص 163.
13 أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص 158.
14 محمد يونس علي:وصف اللغة العربية دلاليا، منشورات جامعة الفاتح، ليبيا، د ط، د ت، ص 102.
15 ابن منظور: لسان العرب، ج 15، ص 399.

الملموسة التي أجري فيها الخطاب وأنتج، وهي وضعية تضم زمان القول ومكانه وهوية المخاطبين، وكل ما يحتاج إلى معرفته لفهم القول وحسن تقديره[16]"، فهذا التعريف يركز على زمان القول ومكانه ووضعية كل من المتكلم والمخاطب ومدى نجاح العملية الاتصالية من حيث الفهم والتفسير. ويعرفه أحمد المتوكل بقوله: "هو مجموعة العناصر التي تتوافر في موقف تخاطبي معين أهمها زمان التخاطب ومكانه وعلاقة المتكلم بالمخاطب، وخاصية الوضع التخابري القائم بينهما، أي مجموعة المعارف التي تشكل مخزون كل منهما أثناء عملية التخاطب[17]". معنى ذلك أن هذا التعريف يركز على ماهية الحوار القائم بين الطرفين والآليات الإجرائية التي لابد من توفرها حتى يتم التخاطب في موقف معين وهذا يتوقف على المكنونات الذهنية لكل واحد منهما.

2.4.2. مقتضى الحال

هو مصطلح آخر يندرج تحت مصطلح المقام، وقد استعمله البلاغيون لتعريف البلاغة، وهو مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، وتعود البدايات الأولى لفكرة مقتضى الحال إلى بشر بن المعتمر إذ كانت هذه الفكرة محورا أساسيا في صحيفته حيث قال: "والمعنى ليس بشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال[18]". ويدل سياق هذا النص على أن فكرة مقتضى الحال، إنما جاءت في إطار التنظير لبلاغة الخطابة، إذ أن كلام بشر موجه إلى إبراهيم بن جبلة الخطيب وهو يعلّم الفتيان الخطابة، ويفهم من كلامه أن المقام الواجب مراعاته هو مقام المخاطب من حيث طبقته الخاصة أو العامة وأن هذه المراعاة تكون في المعاني التي تتناولها الخطبة، فلكل من الخاصة والعامة معان يخاطبون بها أو فيها، لذا ينبغي على المتكلم "أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها، وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني وتقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات[19]". وفي حديث آخر عن مقتضى الحال يقول الخطيب القزويني: "مقتضى الحال مختلف، فإنّ

---

[16] محمد بن عياد:المقام في الأدب العربي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،صفاقس ،2004ص 28.
[17] أحمد المتوكل:المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، دار الأمان الرباط ،ط1 ،2006 ص172
[18]جميل عبد المجيد:البلاغة والاتصال، دار غريب، القاهرة، ط 1، 2000، ص 21.
[19] الخطيب القزويني:شروح التلخيص، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، د ت، ص 155.

مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي، وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام[20]". يُفهم من نص الخطيب أنّ حالات المتكلمين تختلف باختلاف ظروفهم الاجتماعية والنفسية. وهو هنا يميز بين ثلاثة أنواع من المقامات والأحوال:

أولها: ما يتصل بالمعنى أو بجزئيات المعنى على مستوى الجملة.

ثانيها: ما يتصل بطبيعة الشخص المخاطب أو المخاطبين من خصائص وسمات نفسية ذاتية كالذكاء والغباء أو عرضية كالإنكار وخلو الذهن.

ثالثها: ما ينشأ من تفاعل الكلم في الجملة من علاقات وآثار يخلفها السياق أو التركيب ولا تكون للكلم وهي مفردة[21]. ويقول السكاكي: "لايخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة فمقام التشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهنئة يباين مقام التعزية ومقام المدح يباين مقام الذم ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار والإنكار ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار جميع ذلك معلوم لكل لبيب وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغني ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر[22]".

من خلال هذين النصين يتبين لنا أن مقتضى الحال يختص بصفة معينة للقول، "فالعرب تطلق ألفاظ العموم بحسب ما قصدت تعميمه، كما أنها تطلقها وتقصد بها تعميم ما تدل عليه في أصل الوضع، وكل ذلك مما يدل عليه مقتضى الحال، فالحاصل أن العموم إنما يعتبر بالاستعمال، ووجوه الاستعمال كثيرة ولكن ضابطها مقتضيات الأحوال التي هي ملاك البيان[23]"، فالاستعمال هنا وضع اللفظ العام في السياق، ووجوه الاستعمال تضبطها مقتضيات الأحوال، ويقول التهانوي في شأن الحال: "والحال في اصطلاح أهل المعاني هو الأمر الداعي إلى المتكلم على وجه مخصوص أي الداعي إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المعنى خصوصية ما هي المسماة بمقتضى الحال وعلى هذا النحو قولهم:

[20] حسن طبل:المعنى في البلاغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 1998، ص 194.
[21] إبراهيم محمد عبد الله الخولي:مقتضى الحال بين البلاغة القديمة والنقد الحديث، دار البصائر، القاهرة، ط 1، 2007، ص 494.
[22] السكاكي:مفتاح العلوم،تح:عبد الحميد هنداوي،دار الكتب العلمية بيروت،ط1 ،2000ص 256
[23] نجم الدين قادر كريم:نظرية السياق: دراسة أصولية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2006، ص 47.

علم المعاني علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال[24]". والملاحظ أن اهتمام أهل المعاني كان منصبّا على أحوال المتكلم والمستمع، ذلك لأن الألفاظ هي محور العملية التواصلية بينهما فالكلام مرتبط بمقام استعماله ومراعاة مقتضى حاله.

3.4.2. سياق الحال

كلمة "حال" مأخوذة من الجذر "ح،و،ل" وهي "كينة الإنسان وهو ما كان عليه من خير أو شر يذكر ويؤنث والجمع أحوال[25]". أما اصطلاحا ف(سياق الحال) "مركب إضافي مضاف سياق+مضاف إليه الحال ليصير مصطلحا فنيا يعني في ميدان علم اللغة الحديث: السياق الذي جرى فيه إفادة التفاهم بين شخصين، ويمثل ذلك زمن المحادثة ومكانها، والعلاقة بين المتحادثين، والقيم المشتركة بينهما والكلام السابق للمحادثة[26]"، "فسياق الحال أو الماجرى هو جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي أو الحال الكلامية[27]". ومن هذه العناصر المكونة للحال الكلامية:

– شخصية المتكلم والسامع وتكوينهما الثقافي وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع–إن وجدوا– وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي ودورهم أيقتصرعلى الشهود أم يشاركون من آن لآن بالكلام والنصوص الكلامية التي تصدر عنهم.

– العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة وبالسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي كحالة الجو إن كان لها دخل وكالوضع السياسي وكمكان الكلام.

– أثر النص الكلامي في المشتركين كالإقناع أو الألم أو الإغراء أو الضحك[28]".

من خلال هذه النصوص نخلص إلى ما يلي:

1– أنّ مقتضى الحال يختص بصفة معينة للقول، أما المقام فهو سياق ما وراء اللغة أو الملابسات التي تحيط بالحدث اللغوي، والفرق الدقيق بين مقتضى الحال والمقام هو كون الأول خاصا بالكلام، وقد عرفه جاسم محمد عبد العبود بأنه: "لا يدل عليه اللفظ ولا يكون منطوقا به، ولكن يكون من ضرورة اللفظ[29]"، أما المقام فحدث غير لغوي وهو متعلق

---

24 التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، ج1 ،ص 616.

25 ابن منظور: لسان العرب، ج 11، ص 1190.

26 فريد عوض حيدر:فصول في علم الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2005، ص 127.

27 محود السعران:علم اللغة مقدمة للقارئ العربي،دار النهضة العربية بيروت،دط،دت ص311

28محمود السعران المرجع السابق : ص 311.

29 جاسم محمد عبد العبود:مصطلحات الدلالة العربية، ص 158-159.

بمحيط الكلام وفي ذلك يقول تمام حسان: "فكرة المقام هي المركز الذي يدور حول علم الدلالة الوضعية في الوقت الحاضر وهو الأساس الذي ينبني علم النسق أو الوجه الاجتماعي من وجوه المعنى الثلاثة، وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال[30]". ومصطلح **(المقال)** يتوسط بين المقام ومقتضى الحال وهو في أدق تعريف له هو "الخطاب المنطوق أو المكتوب الذي ينتجه المتكلم في زمان ومكان معينين تجاه مخاطب معين بالنظر إلى وضع تخابري معين[31]"، فالأساس المنهجي لأنصار النظرية السياقية يعتمد في السياق المقامي على المقولة التي ترى أنه يجب لتحديد وحدة لغوية أن تتبع وتستقرئ جميع السياقات التي تحققت فيها، وغرض النظرية السياقية هو الاستعانة بمعطيات غير لغوية ملموسة تساعد على تصنيف الوحدات اللغوية وتحليل دلالتها[32].

2- إن فكرة مطابقة الكلام لمقتضى الحال تستدعي حضور طرفين مرسل ومستقبل، وهذا الرأي يبينه أصحاب البلاغة الذين يرون أن الحال هو: "الأمر الداعي إلى التكلم على وجه مخصوص[33]".

3- يشكل كل من المعنى المقالي والمعنى المقامي، المعنى الدلالي الذي يتكون من المعنى المعجمي، ويشمل القرائن المقالية وظروف أداء المقال وتشمل القرائن الحالية.

4- إن المقام عند القدماء يشترك مع سياق الموقف عند المحدثين من حيث عناصر العملية التبليغية، وهذه العملية لا تكتمل إلا بعد أن تتجسد المقولة في موقف معين أي بعد أن تخرج من خانة الوجود الوصفي إلى حيز الوجود الاستعمالي ومن ثم يتم تكوين سياقات بشكل دائم بواسطة النصوص التي يستخدمها المتحدثون والكتّاب في مواقف معينة.

3. مكوّنات السياق

المقصود بمكونات السياق تلك العناصر الأساسية الوظيفية التي تشكل السياق بنوعيه الرئيسيين: السياق اللغوي وسياق الموقف أو المقام الذي يندرج تحته السياق النفسي والاجتماعي لأنهما يتعلقان بالظروف النفسية والاجتماعية والثقافية المصاحبة للحدث الكلامي.

30 تمام حسان: اللغة العربية: معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط 3، 1998، ص 337.
31 أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص 173.
32 طيب دبة: مبادئ اللسانيات البنيوية، د ط، د ت، ص 204.
33 إبراهيم محمد عبد الله الخولي:مقتضى الحال بين البلاغة القديمة والنقد الحديث، ص 458.

1.3. مكوّنات السياق اللغوي

1.1.3. الكلمة

جاء في معجم (مقايس اللغة): "الكاف واللام والميم أصلان أحدهما يدل على نطق مفهم والآخر على جراح، فالأول الكلام نقول كلمته أكلمه تكليما وهو كليمي إذا كلمك أو كلمته ثم يتسعون فيسمون اللفظ الواحدة المفهمة كلمة والقصيدة بطولها كلمة ويجمعون الكلمة كلمات وكلما، قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ (النساء/46) والأصل الآخر الكلْم وهو الجرح والكلام، الجرحات وجمع الكلْم كلوم[34]". وتستخدم لفظة (الكلمة) في أحيان كثيرة للدلالة على "معنى الجملة أو الجمل التامة الفائدة، ومن هذا الاستخدام في النص القرآني قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ (التوبة/40)، وهي كلمة التوحيد لا إله إلا الله، وقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ (آل عمران/64)، وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (هود/119)، وقد استعملت الكلمة لآداء هذا المعنى في الحديث أيضا، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم «الكلمة الطيبة صدقة»[35].

وقد تشعّبت تعريفات الكلمة عند اللغويين والنحاة والبلاغيين، فكل ينطلق في التعريف باعتبار اللفظ المفرد تارة واعتبار الجملة تارة أخرى، فهذا سيبويه يعرف الكلمة بقوله إنّها "اللفظ الدال على معنى مفرد[36]" باعتبار أقسامها الثلاثة الاسم والفعل والحرف، "فالاسم: لفظ دال على معنى مفرد غير مقترن بزمان نحو زيد، شجرة سواء أكان اسم ذات أو اسم معنى وعلامته صحة الإخبار عنه أو تنوينه أو نداؤه أو جره والفعل: لفظ دال على معنى في ذاته مقترن بالزمان نحو جاء زيد وذهب عمر، وعلامته أن يقبل قد والسين وسوف وتاء التأنيث الساكنة، ولن. والحرف لفظ يدل على معنى في غيره لا في ذاته نحو هل، في، أن، لم وليس له علامة يتميز بها[37]". ويعرّفها السيوطي بقوله: "الكلمة قول مفرد مستقل، وكذا منويٌ معه على الصحيح[38]"، فأخرج سيبويه بتصدير الحد بالقول غيره من الدوال كالخط والإشارة، وبالمفرد، وهو ما لا يدل جزؤه على جزء معناه، وبالمستقبل أبعاض الكلمات الدالة

---

34 أحمد بن فارس: معجم مقابس اللغة، ت إبراهيم شمس الدينم 2، ص 421.

35 العسقلاني : شرح صحيح البخاري ، دار الريان للتراث ، د ط ، 1986 (باب طيب الكلام) .

36 سيبويه:الكتاب،.دار الكتب العلمية بيروت،ط1 ،1999 م1 ص40.

37 المصدر نفسه، م1 ص40.

38 جلال الدين السيوطي: همع الهوامع، ت عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ط 1، 1975، ج 1، ص 03.

على معنى كحروف المضارعة وياء النسبة وتاء التأنيث، وألف ضارب، فليست بكلمات لعدم استقلالها[39]. ويعرفها السكاكي بقوله: "الكلمة هي اللفظة الموضوعة للمعنى مفردة والمراد بالإفراد أنها بمجموعها وضعت لذلك المعنى دفعة واحدة[40]. والملاحظ في تعريفات القدامى للكلمة أنها تشترك في خصائص تختص بها وهي كونها لفظا موضوعا يدلّ على معنى، وسيأتي التفصيل في هذه الخاصيّات لاحقا.

أمّا عند المحدثين فقد تضافرت تعريفات الكلمة واقتصرت على الوظيفة التبليغية والتواصلية، وعلى الوظائف البنائية كالصوت الذي يمثله الفونام، والصرف الذي يمثله المورفام والنحو الذي تمثله الجملة. وقد عرف مايي الكلمة انطلاقا من العلاقة الوثيقة بين الأصوات والتركيب بقوله: "تعرف الكلمة بالجمع بين معنى ما ومجموعة ما من الأصوات القابلة لاستعمال نحوي ما[41]". ويعرفها بنفنست بقوله: "يمكن أن تعرّف الكلمة باعتبارها أصغر وحدة مستقلة دالة قادرة على انجاز جملة، وأن تكون هي نفسها قائمة على صواتم[42]". ويعرفها ماريو باي بقوله: "هي رمز مكتوب أو منطوق يعبر عن فكرة[43]". وهذا التعريف الأخير هو ربط بين الكلمة باعتبارها دالا والصورة الذهنية باعتبارها مدلولا. وسنتناول الآن خصائصها المذكورة سابقا.

1.1.1.3. الكلمة لفظا

اللفظ هو "الكلام وما يلفظ بشيء إلا حفظ عليه، واللفظ أن ترمي بشيء كان في فيك، والفعل لفظ يلفظ لفظا، والأرض تلفظ الميت أي ترمي به، والبحر يلفظ بالشيء يرمي به إلى الساحل، والدنيا لافظة ترمي بمن فيها إلى الآخرة، ولفظ فلان مات[44]". ويُطلق اللفظ كمفهوم اصطلاحي عند القدماء "على كل ملفوظ به سواء أكان مهملا أم مستعملا، فالمهمل ما يمكن ائتلافه من الحروف ولم يضعه الواضع بإزاء معنى نحو: صص، وكق، والمستعمل هو الموضوع بإزاء معنى، ويطلق اللفظ عندهم على كل ما هو منطوق حقيقة كزيد أو تقديرا كالضمائر المستترة[45]".

---

39 المصدر نفسه، ج 1، ص 4.
40 السكاكي:مفتاح العلوم، ص 41
41 الطيب بكوش، صالح ماجرى: في الكلمة، دار الجنوب للنشر تونس ،دط،دت ص 52.
42 عبد الحميد عبد الواحد:الكلمة في اللسانيات الحديثة، مكتبة علاء الدين صفاقس ط1 2004 ،ص 65.
43 المرجع نفسه، ص 65.
44 الخليل بن أحمد: كتاب العين، ت عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2003، م 4، ص 93.
45 محمد يونس علي:المعنى وظلال المعنى، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط 2، 2007، ص 271.

والفرق بين مفهوم الكلمة واللفظ أنّ الأولى تتعلّق بالمنطوق والمكتوب، بينما يقتصر اللفظ على المتلفظ المنطوق لكن هذا لا ينفي أن تكون اللفظة "من جنس الكلمة لأنها تشمل المهمل والمستعمل، والكلمة ما يوضع فعلا فينتمي إلى نظام اللسان، ولذلك فكل كلمة لفظة وليست كل لفظة كلمة[46]". ويشير الجاحظ إلى قيمة اللفظ من حيث هو منطوق بقوله: "الصوت هو آلة اللفظ وهو الجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف[47]". يتبن من هذا النص أنّ اللفظ هو الحروف المقطعة التي يتلفظ بها الناطق، بحكم أن اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وهذه الحروف المقطعة تتآلف لتشكل كلاما مفيدا خاضعا للتقطيع وهو ما نادى به أندري مارتيني في التقطيع المزدوج.

2.1.1.3. الدّلالة على المعنى

1.2.1.1.3. مفهوم المعنى: لكل مفهوم جذوره اللغوية ومفاهيمه الاصطلاحية، وتعريف المعنى ينطلق من هاذين الخطين حتى تكشف عملية التوازي بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي.

المعنى لغة: جاء في لسان العرب مادة (ع،ن،ي): "عنت القربة، تعنو، إذا سال ماؤها، ومعنى كل شيء محنته وحاله التي يصير إليها أمره، وروى الأزهري قال المعنى والتفسير والتأويل واحد، وعنيت بالقول كذا أردت، ومعنى كل كلام مقصده، يقال عرفت ذلك في معنى كلامه ومعناة كلامه، وفي معنى كلامه[48]".

المعنى اصطلاحا: أورد الزبيدي عن المناوى أن "المعاني هي الصورة الذهنية من حيث وضع بإزائها الألفاظ، فمعنى اللفظ هو الصورة الذهنية لمسماه من حيث وضع اللفظ بإزائها[49]". والصورة هي الشكل الذي يحمل خطوط قسماته وملامحه التي تميّزه عن غيره، والذهن الذي هو محل الصورة قوة للنفس معدة لاكتساب العلوم التصورية والتصديقية، وهذه القوة تسمى أيضا عقلا لأنها تعقل وتدرك الأشياء والأمور، ومحل هذه القوة هو الدماغ، والمسمى هو الشيء الذي وضع اللفظ ليسميه، أي يدل عليه ويعبر عنه، وكلمة إزاء تعني

---

[46] ينظر في الكلمة، ص 18.

[47] الجاحظ:البيان والتبيين،تح:درويش جويدي،المكتبة العصرية بيروت،ط2 ،2000 ج 1، ص 58.

[48] ابن منظور:لسان العرب، م 10، ص 316.

[49] محمد حسن حسن جبل: المعنى اللغوي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2005، ص 68.

مقابلا لها، أي أن اللفظ مقارن للصورة أي مقترن بها، فالصورة الذهنية إذن هي المعنى لأنها تعني أي تقصد أي يقصدها المتكلم عندما يعبر عن شيء في ذهنه، والتعبير يتم بكلمة أو كلمات أرصدت في الذهن أيضا مقابل صدور مسمياتها التي اختزنت فيها[50]. ولهذه الصورة الذهنية أسماء اصطلاحية تُطلق عليها بحسب مراتب حصولها، "والصورة الحاصلة من حيث حصولها من اللفظ في العقل تسمى مفهوما، ومن حيث أنها مقولة في جواب ما هو تسمى ماهية، ومن حيث ثبوتها في الخارج تسمى حقيقة، ومن حيث امتيازها عن الأعيان تسمى هوية[51]"، فالقاسم المشترك بين التعريفين هو القصد والتفسير، فعلى أساسهما نقول إن لهذا اللفظ معنى، ومن جهة أخرى فإن المراتب الخمسة للصورة الذهنية أعني المعنى والمفهوم والماهية والحقيقة والهوية، تمثل كل الجوانب المحيطة بالشيء، ولعل المصطلح الأخير "هوية" يحدد السمات الدلالية الدقيقة للكلمة وهذا ما تهتم به نظرية السياق.

2.2.1.1.3. مستويات المعنى

يبدأ المعنى بالمفردة كمفهوم مجرد، وينتهي بوظيفتها في جملة تساعدها على تحديد سماتها الصوتية والصرفية والنحوية لذا يتم التركيز على عنصرين هامين هما: المعنى الإفرادي والمعنى النحوي.

أ- المعنى الإفرادي

نعني به "مدلول الكلمة المفردة أي مقابلها الإشاري الذي يختزن إزائها في ذهن الفرد أو في باطن المعجم[52]"، أي إذا كانت الكلمة المفردة تمثل الوحدة التحليلية الأولى للكلام، فإن المدلول الإفرادي لتلك الكلمة هو بمثابة الوحدة المركزية الأولى للمعنى. ويقول الجاحظ في هذا الشأن: "المعاني القائمة في صدور العباد المتصورة في أذهانهم والمختلجة في نفوسهم، المتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم مستورة خفية وبعيدة وحشية ومحجوبة مكنونة وموجودة في معنى معدومة لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ولا حاجة أخيه وخليطه ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره وعلى ما يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره وإنما تحيا

---

50 ينظر، المرجع نفسه، ص 70.

51 فريد عوض حيدر:علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، ص 17.

52 حسن طبل:المعنى في البلاغة العربية، ،ص 9.

تلك المعاني في ذكرهم لها واستعمالهم إياها[53]"، فالمعاني المتصورة في الذهن أو في الخاطر لا تحيا إلا عند ذكر الكلم الدال عليها واستعمالها في نشاط كلامي.

وتتحدد الكلمة في إطار الاستعمال وفق علاقتين هما علاقة رأسية وعلاقة أفقية، فالعلاقة الرأسية هي "علاقة الكلمة بمعناها ودلالتها في عُرف الاستعمال، يعني المعنى الأول وتشمل هذه العلاقة الشيء وما يشير إليه كدلالة الأسد على الحيوان المعروف[54]". أما العلاقة الأفقية أو السياقية فهي "علاقة الكلمة بمجموعة الكلمات التي تتوارد معها معجميا في الاستعمال العرفي، فلكل مادة معجمية في ذلك الاستعمال دائرة خاصة من المواد المعجمية الأخرى التي تلازمها[55]".

ب- المعنى النحوي

يدلّ هذا المصطلح على الوظيفة الأساسية للكلمات في جمل، كما يشير أيضا إلى كل علاقات النص والخطاب من انسجام وتماسك، ويتشكل المعنى النحوي عن طريق اختيار المرسل للكلمات ذات دلالات متزامنة تعبر عن معنى واحد عن طريق الرصف ويتم ذلك عن طريق الانتقاء، وفي هذا الشأن يقول عبد القاهر الجرجاني: "ومما ينبغي أن يعلمه الإنسان ويجعله على ذكر أنه لا يتصور أن يتعلق الفكر بمعاني الكلم أفرادا ومجردة عن معاني النحو فلا يقوم في وهم ولا يقع في عقل أن يتفكر متفكر في معنى فعل من غير أن يريد إعماله في اسم ولا أن يتفكر في معنى من غير أن يريد إجمال فعل فيه وجعله فاعلا له ومفعولا[56]".يبين هذا النص أن الكلمات ليس لها معان وإنما لها استعمالات، وهذه الاستعمالات تخرج بها من محيط اللغة الساكن إلى محيط الكلام المتحرك.

ج- الوضع

لقد تبين لنا أن المعنى هو الصورة الذهنية لمسمى اللفظ من حيث وضع اللفظ بإزائها والوضع هو "الإتيان بلفظ وإرصاده ليكون هو المقابل لمعنى معين يراد التعبير عنه[57]". ويعرّفه الشريف الجرجاني بأنه "تخصيص شيء بشيء متى أطلق أو أحس الشيء الأول فهم منه الشيء الثاني المراد بالإطلاق[58]"، فاللفظ دال على نفسه دون قرينة. ويقول

---

[53] الجاحظ:البيان والتبيين، ج1 ص56

[54] حسن طبل: المعنى والبلاغة، ص 30.

[55] المرجع نفسه، ص 32.

[56] عبد القاهر الجرجاني:دلائل الإعجاز،دار الكتاب العربي بيروت ،ط3 1999 ص 303.

[57] محمد حسن حسن جبل:المعنى اللغوي، ص 117.

[58] الشريف الجرجاني:التعريفات، مكتبة لبنان، ط 2000، ص 273.

التهانوي أيضا: "ولا بد للواضع في الوضع من تصور المعنى فإن تصور معنى جزئيا وعين بإزائه لفظا مخصوصا أو ألفاظا مخصوصة متصورة إجمالا أو تفصيلا كان الوضع خاصا لخصوص التصور المعبر فيه أي تصور المعنى وكان الموضوع له أيضا خاصا[59]". وهذا النص يشير إلى كيفية وضع اللفظ عن طريق وسائل لغوية تنمي اللغة كالاشتقاق والمجاز وغيرها.

وأساس وضع الألفاظ للمعاني هو أن الألفاظ تعبّر عن المعاني تعبيرا حقيقيا بلفظ انطلاقا من المرجع، وليست الألفاظ رموزا عشوائية، ولذلك فإن هناك ارتباط بين اللفظ والصورة الذهنية للشيء المسمى، وبين الصورة الذهنية والشيء المسمى وبين اللفظ والشيء المسمى بواسطة الصورة الذهنية، ويوضح الإمام الغزالي هذه العلاقة بقوله: "اعلم أن المراتب فيما نقصده أربع واللفظ في المرتبة الثالثة، فإنّ للشيء وجودا في الأعيان، ثم في الأذهان، ثم في اللفظ ثم في الكتابة، فالكتابة دالة على اللفظ واللفظ دال على المعنى الذي في النفس، والذي في النفس هو مثال الموجود في الأعيان[60]". وعلى هذا الأساس ينطلق الوضع عند الغزالي عن طريق عالم المادة ثم صورة الشيء في الذهن، ثم وضع اسم لذلك الشيء ثم كتابة الاسم خطاً.

ومما سبق نستنتج أن خصائص الكلمة مرتبطة بالمعنى، واستعمالها يحدد دلالتها الحقيقية، لذلك كان اهتمام أصحاب مدرسة السياق بالاستعمال الفعلي للكلمة، لا كوحدات منعزلة، بل بعلاقتها مع الكلمات الأخرى في السلسلة الكلامية، فالكلمة إذن محور النظرية السياقية. ويتجلى دور الكلمة في السياق في معرفة المشترك والمترادف والمتضاد وغريب الكلام، وفي ذلك يقول الشريف المرتضى: "وليس يجب أن يستبعد حمل الكلام على بعض ما يحتمله إذا كان له شاهد من اللغة وكلام العرب، لأن الواجب على من يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر أن يذكر كل ما يحتمله الكلام من وجوه المعاني، فيجوز أن يكون أراد المخاطب كل واحد منهما منفردا، وليس عليه العلم بمراده بعينه، فإن مراده مغيب عنه وأكثر ما يلزمه ما ذكرناه من ذكر وجوه احتمال الكلام[61]"، فنص المرتضى يبين "أنّ كلام المخاطب يحتمل عدة أوجه من المعاني، وعليه فإن النظر في السياق هو الذي يحدد المعنى

[59] المعنى اللغوي:ص 117 نقلا عن كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي.
[60] محمد بوعمامة: مباحث في علم المعنى، ص 15 نقلا عن معيار الكلم للغزالي ص 35-36.
[61] محمد بوعمامة:مباحث في علم المعنى ص 15 نقلا عن أماني المرتضى ج1 ص 198.

المراد من الكلام المنطوق[62]"، فالمحيط الدلالي للكلمة هو الذي يحدد معناها من خلال السياقات المتعددة التي ترد فيها، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ (البقرة/60) وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ (طه/77)، فكلمة (ضرب) تعدد معناها حسب السياق، ففي الآية الأولى تحمل معنى الإصابة، أما الثانية فتعني اجعل لهم طريقا في البحر.

ويتجلي دور السياق في تحديد معنى الكلمة في قول عبد القاهر:«فقد اتضح إذن اتضاحا لا يدع للشك مجالا أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها وما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ[63]».

2.1.3. الجملة

1.2.1.3. الجملة عند القدامى

لقد تعددت تعريفات الجملة بين القدماء والمحدثين نظرا لاعتمادهم مناهج متعددة، ومعايير محددة والمتصفح لمصادر التراث النحوي يجد اختلافا حول تعريف هذا المصطلح، وهذا التعريف يتبناه اتجاهان:

–الاتجاه الأول: يرى أصحابه أن الجملة هي المرادف لمفهوم الكلام وقد نص ابن جني على ذلك بقوله: "أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه وهو الذي يسميه النحويون الجمل نحو زيد أخوك، وقام محمد، وضرب سعيد، وفي الدار أخوك، وصه ومه ورويداً وعاد في الأصوات، فكل لفظ استقل بنفسه وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام[64]". ويعرّفها ابن بعيش بقوله: "اعلم أن الكلام عند النحويين عبارة عن كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه ويسمى الجملة نحو زيد أخوك وقام بكر وهذا متضمن قوله المركب من كلمتين أسندت أحداهما الأخرى[65]".

–الاتجاه الثاني: يفرق بين الجملة والكلام ويرى أن مفهوم الجملة أوسع دلالة من الكلام، فالرضي يعرفها بقوله: "والفرق بين الجملة والكلام أن الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها أم لا، كالجملة التي هي خبر المبتدأ وسائر ما ذكر من الجمل

---

[62] محمد بوعمامة، علم الدلالة بين التراث وعلم اللغة الحديث، رسالة دكتوراه، جامعة قسنطينة، ص 154.

[63] عبد القاهر الجرجاني:دلائل الإعجاز، ص54.

[64] ابن جني، الخصائص: ت عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1999، ج 1، ص 72.

[65] ابن يعيش،:شرح المفصل، إدارة المطبعة المنبرية، القاهرة، د ط، د ت، ج 1، ص54

فيخرج المصدر واسم الفاعل والمفعول والصفة المشبّهة والظرف مع ما أسندت إليه والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصوداً لذاته، فكل كلام جملة ولا ينعكس(66)". ويعرّف ابن هشام الكلام بقوله: "الكلام قول مفيد وهو ما يحسن سكوت المتكلم عليه والمراد بالمفيد هو ما دل على معنى يحسن السكوت عليه، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله كقام زيد والمبتدأ وخبره كزيد قائم، وما كان بمنزلة أحدهما نحو ضرب اللص وأقام الزيدان وكان زيد قائما وظننته قائما(67)". ويتحدث بشأن الصدارة في الجملة قائلا: "مرادنا بصدر الجملة المسند والمسند إليه، فلا عبرة بما تقدم عليهما من الحروف، فالجملة من نحو أقائم الزيدان، وأزيد أخوك ولعل أباك منطلق وما زيد قائما اسمية، ومن نحو أقام زيد، وقد قام زيد، وهلا قمت فعلية(68)". ورغم اختلاف هاذين الاتجاهين فإنهما اعتمدا على معايير في رسم حدود الجملة وهي:

أ- معيار الإسناد: فقد كان الانطلاق في تركيب الجملة من المسند والمسند إليه سواء أكان فعلا وفاعلا أو مبتدأ وخبر، فعلى أساسهما يتم تحليل الجملة ودراسة العلاقة بين عناصرها، وبالتالي تخضع لتحولات تركيبية شتى تساهم في إنتاج المعنى.

ب- معيار حسن السكوت: يُقصد بسكوت المتكلم "قطع كلامه وسكوت السامع بأن لا يطلب زائدا على ما سمع، والحسن هو عد السامع إياه حسنا، بحيث لا يحتاج في المعنى من اللفظ إلى شيء آخر لكون اللفظ الصادر من المتكلم مشتملا على شيئين هما المحكوم والمحكوم به(69)". وفي ذلك يقول السيوطي: "المراد بحسن السكوت ألا يكون محتاجا في إفادته للسامع كاحتياج المحكوم عليه إلى المحكوم به، فلا يقره احتياجه إلى المتعلقات من المفاعيل ونحوها(70)"، فحسن السكوت هنا يتطلب الإيجاز من المتكلم والسامع وهذا يتطلب اختيار الألفاظ الملائمة للجمل المناسبة.

ج- معيار الإفادة: "يُحترز به عادة عن المفرد والمركب غير المفيد كالإضافي نحو غلام زيد والمزجي كبعلبك(71)". والملاحظ في هذا المعيار أن النحاة اعتمدوا على المسند والمسند

66 الرضي الاسترابادي:الكافية في النحو،دار الكتب العلمية بيروت ،ط1 ،1995 ص20
67 ابن هشام:مغني اللبيب، ت محمد محي الدين، مطبعة المدني، القاهرة، د ط، د ت، ص 374.
68 المصدر نفسه، 376.
69 محمد حماسة عبد اللطيف: العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، ص 23.
70 السيوطي: همع الهوامع، ج 1، ص 29.
71 محمد محمد يونس علي:المعنى وظلال المعنى، ص 306.

إليه باعتبارهما النواة، وما يتبعهما من إضافات هي مكملات أو متممات الجملة، وهذه المتممات لا تتوفر على عنصر الإفادة.

د- معيار الاستقلال: ويقصد به "استغناء الألفاظ عن غيرها، وعدم احتياجها إليها[(72)]". وتدخل في هذا المعيار الجمل التامة التي لا تحتاج إلى مفعول به، كقولنا جاء الطالب، فهذه الجملة مستقلة لا تحتاج إلى لفظ آخر يتممها بل مكتفية بذاتها.

2.2.1.3. الجملة عند المحدثين

تضاربت الآراء في تعريف الجملة عند علماء اللغة المحدثين، فمنهم من يعرفها على أساس معيار شكلي، ومنها ما هو بنيوي، ومنها ما هو صرفي تركيبي، فهذا بلومفيلد يعرف الجملة بقوله: "هي الصيغة اللسانية المستقلة بحيث تؤدي وظيفتها دون توقف على صيغة تركيبية تشملها وهي عبارة عن شكل لغوي مستقل، وغير متضمن في شكل لغوي آخر وفقا لمقتضيات التركيب النحوي[(73)]". والملاحظ أن علماء الغرب قد اعتمدوا على مقاييس في تعريفهم للجملة، وتعد بعضها بمثابة قرائن لفظية ومعنوية تكوّن الجمل وهي:

أ- الصيغة: وهي "وحدة صرفية تتكون من مصوتات محققة وأحياز صامتية شاغرة، وإن احتياجها للفاء والعين واللام ضرورة مقطعية وصرفية[(74)]". والجملة عبارة عن تتالي صيغ أو لفاظم يجمعها نسق جمليّ مّا.

ب- التنغيم: وهو"مستوى الصوت في الآداء ارتفاعا وانخفاضا واعتدالا للدلالة على أمر نسبي يتطلبه المعنى المراد من السياق اللغوي أو توزيعات مستويات الصوت في الكلام المنطوق المتتابع أو تتابعات مطردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملة أو أجزاء متتابعة منها[(75)]". لم يُغفل النحاة القدامى هذا الركن فقد أشار ابن جني إلى دور التنغيم في قلب دلالة التركيب التي قد تفهم من دلالته المباشرة إلى دلالة أبعد، وأقوى في التأثير مثال ذلك "لفظ الاستفهام إذا ضامه معنى التعجب استحال خبراً نحو مررت برجل أي رجل فأنت الآن مخبرا بتباهي الرجل في الفضل ولست مستفهما[(76)]".

ج- التضام: ويمكن فهمه على وجهين نلخصهما فيما يأتي:

---

[72] المرجع نفسه ص 307.

[73] حسام البهنساوي: القواعد التحويلية في ديوان حاتم الطائي،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،دط،دت ص 94.

[74] محمد فتحي: الأبنية في اللغة العربية،منشورات ما بعد الحداثة فاس ط1 2005 ص57.

[75] محمود عكاشة:التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات القاهرة ،ط1 2005 ص49

[76] ابن جني، الخصائص، تح عبد الحميد هنداوي ،دار الكتب العلمية بيروت ط1،2001ج 3، ص 94.

الوجه الأول: "أنّ التضام هو الطرق الممكنة في رصف جملة ما فتختلف طريقة كل منها عن الأخرى تقديما وتأخيرا وفصلا ووصلا وهلم جر[77]".

الوجه الثاني: أنّ "المقصود بالتضام أن يستلزم أحد العنصرين النحويين عنصرا آخر فيسمى التضام هنا التلازم، أو يتنافى معه فلا يلتقي به ويسمى هذا التنافي[78]".

يُفهم من هذا التعريف أن الوجه الأول يُعنى بالأساليب والتنوعات التي تعتور أجزاء الجملة، وهي تختص بتحولات المسند والمسند إليه، أما الوجه الثاني فيتعلق بتركيب الجملة أو السياقات المتباينة للربط بين عناصر الجملة.

د- التوليد: يدل هذا المصطلح على الجانب الإبداعي في اللغة، أي القدرة التي يمتلكها كل إنسان لتكوين وفهم عدد لا متناه من الجمل في لغته الأم وينتج عن التوليد التحويل الذي يتم على مستوى البنية العميقة والبنية السطحية، "فالبنية السطحية يحددها التطبيق المتكرر للتحولات النحوية على البنية العميقة[79]".

أما تعريف الجملة عند العرب المحدثين، فلم يختلف عن النحاة القدامى في الإسناد والإفادة، فهذا إبراهيم أنيس يعرفها بقوله: "إن الجملة في أقصر صورها هي أقل قدرا من الكلام يفيد السامع معنى مستقل بنفسه سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر[80]". ومع ذلك تبقى الجملة هي الوحدة التركيبية التي تؤدي معنى دلاليا تحكمها علاقات الارتباط والربط والانفصال في السياق.

3.2.1.3. علاقة الجملة بالسياق

سبق وأن أشرنا أن الجملة هي الوحدة التركيبية الدلالية التي يحكمها السياق، وهي بهذا التعريف الشامل ترتكز على بنى قاعدية تجعلها أرضية لأنها تنتقل إلى النظم، ومن ثم إلى النص، وبالتالي يكون السياق هو الفاصل بين القاعدة والنظم، لذا ارتأيتُ أن أقسم هذا العنصر إلى قسمين: قواعد الجملة، والنظم والجملة.

أ- قواعد الجملة

الاطراد: هو "ثبات القاعدة في الحكم على الفصحىوما خرج عنها عُد شاذا[81]".

---

77 تمام حسان:اللغة العربية معناها ومبناها،ص 216.

78 المرجع نفسه، ص: 216.

79 هرهارد هلبش: تاريخ علم اللغة الحديث، تر سعيد حسن بحيري،مكتبة زهراء الشرق القاهرة،دط،دت ص 522.

80 حسام البهنساوي:القواعد التحويلية، ص 91.

81 أحمد عفيفي: نحو النص، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط 1، 2001، ص 74.

المعيارية: القاعدة في نحو الجملة هي أساس الصحة والخطأ، وينبغي أن يراعى هذا الأساس عند النظر في أي قول، ولهذا لا يؤمن نحو الجملة بنص، إلا إذا كان موافقا ومتطابقا مع القواعد النحوية.

ب- النظم والجملة

النظم اصطلاحا هو «تأليف الكلم والجمل مرتبة المعاني متناسقة الدلالات وفق قصد المتكلم[82]». وعندما يعبّر المتكلم عن غرض من أغراضه فإنه يقوم بإيقاع علاقة بين كلمة وأخرى أو بين عدة كلمات، ولا بد أن يكون الكلام تاما ومشتملا على علاقة الإسناد وهو محكوم في كل ذلك بالغرض الإبلاغي الذي يعبر عنه، ويتم نظم الجملة عن طريق تضافر مجموعة من القرائن النحوية لكشف المعنى النحوي لكلمة ما في تركيب ما، وهذه القرائن تساعد على كشف العلاقات السياقية بين مكوّنات الجملة. ولعل أهم محاولة لكشف العلاقات السياقية في الفكر اللغوي العربي ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني صاحب نظرية النظم الذي أدرج تحت هذا المصطلح مصطلحات أخرى هي البناء والترتيب والتعليق. والنظم عند عبد القاهر "هو تصور العلاقات النحوية بين الأبواب كتصور علاقة الإسناد بين المسند والمسند إليه وتصور علاقة التعدية بين الفعل والمفعول به، وتصور علاقة السببية بين الفعل والمفعول لأجله[83]"، وفي ذلك يقول عبد القاهر: "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف منهاجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها، وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم فينظمه غير أن ينظر في وجه كل باب وفروقه[84]"، فالنظم إذن هو نظم المعاني النحوية في نفس المتكلم وأن هذه المعاني تحكمها فروق لغوية. وهذه الفروق تنتج عنها الرتبة والتضام. أما الرّتبة أو الترتيب فإنه "وضع العلامات المنطوقة أو المكتوبة في سياقها الاستعمالي حسب رتب خاصة يظهر فيها فوائد التقديم والتأخير[85]". أما التعليق فهو: «إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية

---

82 أحمد المتوكل: دراسات في اللسانيات، دار الأمان الرباط ،ط1 2005ص 38.
83 تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 186.
84 عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 77.
85 تمام حسان: المرجع السابق، ص 188.

والمعنوية[86]». فهذه المصطلحات تعتبر ركيزة هامة تقوم عليها الجملة، ووظيفتها تفسير العلاقات فيما بينها ووضعها في سياقات معينة.

وقد فرّق عبد القاهر بين دلالة اللفظ الناتجة عن الوضع اللغوي ودلالته الناتجة عن السياق حيث قال: «إن الفصاحة لا تظهر في إفراد الكلمات وإنما تظهر بالضم على طريقة مخصوصة فقولهم بالنظم لا يصح أن يراد به النطق باللفظة بعد اللفظة من غير اتصال يكون بين معنييهما لأنه لو جاز أن يكون لمجرد ضم اللفظ إلى اللفظ تأثير في الفصاحة لكان ينبغي إذا قيل ضحك خرج أن يحدث من ضم خرج إلى ضحك فصاحة. وإذا بطل ذلك لم يبق إلا أن يكون المعنى في ضم الكلمة إلى الكلمة توخي معنى من المعاني النحو فيما بينهما[87]»، فالمعاني النحوية إذن جزء من المعاني العامة للأساليب، فعملية الضم إذن تشمل إمكانات أسلوبية تتعدد باختلاف المقامات والأحوال.

3.1.3. النص

لقد أثار مصطلح النص إشكالات متعددة في الدراسات اللغوية والنقدية، فكل يعرفه انطلاقا من توجهاته المعرفية، الأمر الذي جعل حيز البحث النصي يتشعب من خلفية إلى أخرى ومن اتجاه إلى آخر.

1.3.1.3. تعريفه

لقد تعددت المعاني المعجمية لمادة (ن،ص،ص) بتعدد السياقات: فهي تدل على الوضع بنوعيه الحسي والمجرد، وتدل على أقصى الشيء وغايته ومنه نص الناقة أي استخرج أقصى سيرها، ودلالة النص الإظهار، وقد استخدمت لفظة النص في علم الحديث بمعنى الإسناد والتوقيف والتعيين، وفي ذلك يقول ابن منظور: «النَّصُّ رفْعُكَ الشيء نَصَّ الحديث يَنُصُّه نصّاً رفَعَه وكل ما أُظْهِرَ فقد نُصَّ وقال عمرو بن دينار ما رأَيت رجلاً أَنَصَّ للحديث من الزُّهْري أَي أَرْفَعَ له وأَسْنَدَ يقال نَصَّ الحديث إِلى فلان أَي رفَعَه[88]». فالنص في معناه اللغوي قائم على فكرة الرفع والإظهار.

أما من الناحية الاصطلاحية فقد كانت الآراء متباينة ما بين الفكر اللغوي العربي والغربي في تعريف النص، فالشريف الجرجاني يعرفه بأنه "ما ازداد وضوحا على الظاهر لمعنى في

---

86 المرجع نفسه، ص 188.
87 عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 294.
88 ابن منظور: لسان العرب، الجزء الثامن، ص 366.

المتكلم وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى[89]"، فالنص حسب هذا التعريف قائم على الوضوح والانكشاف عن المعنى المراد من قصد المتكلم. أما في الفكر النقدي الحديث فقد اختلفت الدراسات القائمة على كشف النصوص واتخذت مسارات عدة واتجاهات مختلفة، كما سلف الذكر، ويمكن تقسيم هذه التعريفات تبعا لاتجاهات أصحابها إلى مايلي:

2.3.1.3. النصّ لدى البنيويين

يرى أصحاب هذا الاتجاه ضرورة قطع النص عن مبدعه وعن سياقاته التاريخية والاجتماعية والنفسية ويركزون على البنية النصية نفسها ويتعاملون مع النص على أنه نسيج محكم مغلق بعيد كل البعد عن المرجعيات والسياقات الثقافية.ومن هؤلاء تودوروف الذي يرى أن النص "قد يتطابق مع جملة،كما أنه قد يتطابق مع كتاب بأكمله وهو يعرف باستقلاله وانغلاقه[90]". ويرى برينكر بأن النص "تتابع متماسك من علامات لغوية أو مركبات من علامات لغوية لا تدخل تحت أية وحدة لغوية أخرى أشمل فالنص بنية كبرى تحتوي على وحدات صغرى متماسكة ليست جملا وإنما أجزاء متوالية[91]". ويرى الأزهر الزناد أن النص هو "نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض ويمثل علامة كبيرة ذات وجهين وجه الدال والمدلول[92]". فهذه التعريفات تشير إلى أن كل نص مستقل بذاته تشكله علاقات الربط والارتباط بين وحداته التي تشكل علاقات منتظمة وإذا اختل جزء من هذه الوحدات اختل نظام النص كله، فالمفردة داخل النص ليس لها تفسير خارج بناء النص.

3.3.1.3. النصّ لدى السيميائيّين

لقد قرنت السيميائية مصطلح النص بالتناص ورأت أن النص إنتاج متعالق مع نصوص أخرى،فهو بذلك ينفتح على دلالات متعددة نتيجة تداخله مع غيره، والنص ليس بنية مكتوبة فحسب بل يشمل الإشارات والرموز باعتبارها علامات غير لغوية. وأهم التعريفات السيميائية تعريف جوليا كرستيفا إذ ترى أن النص هو«جهاز عبر لغوي يعيد توزيع نظام اللغة بكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية مشيرا إلى بيانات مباشرة تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة والمتزامنة معها[93]». "والنص بذلك يعني أمرين:

---

[89] الشريف الجرجاني: التعريفات، ص260

[90] عثمان أبو زيد:نحو النص،عالم الكتب الحديث،الأردن،ط1 2010 ص13

[91] أحمد عفيفي:نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ص 27.

[92] عثمان أبو زيد:نحو النص ص 14

[93] أحمد عفيفي:نحو النص ص28

1- علاقته باللغة التي يتموقع فيها تصبح من قبيل إعادة التوزيع عن طريق التفكيك وإعادة البناء مما جعله صالحا لأن يعالج بمقولات منطقية ورياضية أكثر من صلاحية المقولات اللغوية الصرفة له.

2- يمثل النص عملية استبدال من نصوص أخرى أي عملية تناص ففي فضاء النص تتقاطع أقوال عديدة مأخوذة من نصوص أخرى مما يجعل بعضها يقوم بتحييد البعض الآخر ونقضه[94]".

4.3.1.3. النصّ لدى علماء اللغة الاجتماعيين

لقد ربط أصحاب هذا الاتجاه النص الأدبي بأرضيته الاجتماعية التي نشأ فيها وعرفوا النص على أنه «بنية دلالية تنتجها ذات ضمن بنية نصية منتجة في إطار بنية أوسع اجتماعية وتاريخية وثقافية[95]»، فالبحث النصي يتطلب معرفة مهو خارج النص أي الاهتمام بالخلفية الثقافية التي ساهمت في إنتاج النص وكل ما يتعلق بالسياق الزماني والمكاني الذي أنشئ فيه.

5.3.1.3. مقوّمات النص

إذا تبنينا الفكرة القائلة بأن النص مجموعة من الجمل المتتالية والمنظمة في سلسلة منسجمة متسقة، فإن أهم المقومات التي يعتمدها النص هي:

أ- **القصدية والمقبولية:** ويتعلقان بالمنتج والمتلقي. فالقصدية هي "رغبة مؤلف النص أن يقدم نصا مسبوكا محبوكا وتشير إلى جميع الطرق التي يتخذها المؤلف لاستغلال نصه من أجل تحقيق مقاصده[96]". معنى ذلك أن النص خطة معينة يحاول من خلاله المتج الوصول إلى خطة معينة لتحقيق التماسك والانسجام وبالتالي تحقيق نص يتوفر على جميع شروط النصية. أما المقبولية فهي «رغبة نشطة للمشاركة في الخطاب وتعتمد على التفاعل بين مقاصد المنتجين ورغبة المتلقين في المعرفة وصياغة مفاهيم مشتركة[97]»، فالقارئ يعيد عملية القراءة وعملية الإنتاج ويساهم في خلق نص آخر متماسك وفقا لما يقرره علم القواعد فهو بذلك يؤول ويفسر ويخلق دلالات وسياقات متعددة للنص اعتمادا على مخزونه الفكري.

---

[94]المرجع نفسه ص 28

[95]عثمان أبو زيد:نحو النص ،ص 14

[96]حسام أحمد فرج:نظرية علم النص ،مكتبة الآداب القاهرة،ط1، 2007 ص47

[97]المرجع نفسه ص 52

ب- **المقامية:** هي ترتبط بالموقف أو المقام الذي أنشئ من أجله النص وتتضمن المقامية: «العوامل التي تجعل النص مرتبطا بموقف سائد يمكن استرجاعه[98]». معنى ذلك أن المقام يساهم في توليد العناصر غير اللسانية المحيطة بالنص في لحظة من الزمن وفي مكان محدد وهو بدوره يكشف عن الظروف النفسية والاجتماعية والتاريخية التي تتحكم في النص.

ج- **الحبك:** يشمل التماسك والانسجام والاتساق، ويتصل هذا المعيار «برصد وسائل الاستمرار الدلالي في عالم النص، أو العمل على إيجاد الترابط المفهومي، وهذه الصفة متصلة بالمعنى وسلسلة المفاهيم والعلاقة الرابط بينهما[99]». معنى ذلك أن هناك وسائل لترابط النص كالتضام والضمائر والإحالة والتكرار، وهي بدورها تساهم في عملية سبك النص.

د- **التناص:** يتضمن: «العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بواسطة أو بغير واسطة[100]». ويعد التناص من مقومات تواصل النصوص بعضها ببعض حتى يتم الكشف عن العلاقات اللغوية والمرجعيات المختلفة التي يحاول القارئ استنطاقها.

وخلاصة القول إن علاقة النص بالسياق تتمثل في تلك الروابط الدلالية التي تحكمها علاقات الانسجام والاتساق، والتي تحرك النص عن طريق مجموعة من العناصر أهمها:

- **الإحالة:** وتعد عملية ذات طبيعة تداولية: «تقوم بين المتكلم والمخاطب في موقف تواصلي معين، ويستهدف بها المتكلم أن يحيل المخاطب على ذات معينة[101]». وتشمل الإحالة الضمائر وأسماء الإشارة وأسماء الموصول.

- **الاستبدال:** «ويعني تعويض عنصر في النص بعنصر آخر[102]»، معنى ذلك أن الاستبدال أساس لتوليد الجمل عن طريق إحلال مكون لغوي مكان آخر: وهو يستند إلى «إدراج المفردات المعجمية المناسبة مكان الأصناف النحوية التي تنتمي إليها[103]». وللاستبدال أشكال كثيرة منها استبدال أداة بأداة، وصيغة بصيغة وهذا ما سنحاول التطرق إليه في الفصول التطبيقية.

---

98 أحمد عفيفي:نحو النص، ص 84-85.

99 أحمد عفيفي : المرجع السابق ،ص 90.

100 روبرت دي بوغراند:،النص والخطاب والإجراء، تقديم تمام حسان،عالم الكتب القاهرة،ط2 2007ص 104.

101 أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، دار الأمان، المغرب، د ط، د ت، ص 133.

102 أحمد عفيفي: نحو النص، ص 90.

103 عز الدين محمد الكردي: وجوه الاستبدال في القرآن الكريم، دار المعرفة، بيروت، ص 36.

- **الحذف:** هو «استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو أن يعدل بواسطة العبارات الناقصة[104]». وتعود أسباب تقدير الحذف إلى سببين:

1- أن يمتنع حمل الكلام على ظاهره لأمر يرجع إلى غرض المتكلم.

2- أن يكون امتناع ترك الكلام على ظاهره، ولزوم الحكم بالحذف راجعا إلى الكلام نفسه[105]»، فالحذف يترك فجوة للقارئ حتى يملأ فراغات النص، وبالتالي يحقق التماسك النصي الذي تكمن مرجعيته من تحويل البنى العميقة في الجمل المكونة للنص إلى بنى سطحية.

-**الوصل:** وهو «تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم حتى تدرك متتاليات الجمل في النص كوحدة متماسكة[106]».

- **الفصل:** «هو ترك العاطف بين الجمل[107]».

والوصل والفصل هو الربط بين الكلمات والتراكيب عن طريق أنواع شتى من الأدوات منها ما يفيد مطلق الجمع، ومنها ما يفيد التخيير وغيرها.

-**الاتساق المعجمي:** «هو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك[108]»، بمعنى أن الوحدات المعجمية تقوم على التكافؤ الدلالي بين وحدات النص.

2.3. مكوّنات سياق الموقف

سبق أن عرّفنا هذا النوع من السياق بأنه الإطار الخارجي الذي يحيط بالإنتاج الفعلي للكلام في المجتمع اللغوي، كما أن المعنى المقامي: «معنى يفهم من الموقف الخارجي الذي قيل فيه الخطاب أو من القرائن الخارجية التي تصحب اللفظ عن الموقف الاجتماعي الذي قيل فيه النص[109]». معنى ذلك أن هناك مكونات أو عناصر إبلاغية تواصلية تساهم في الحدث الكلامي كزمن التخاطب ومكانه وعلاقة المتكلم بالمخاطب، الأمر الذي يجعلنا نربط

---

104 روبرت دي بوغراند:النص والخطاب والإجراء، ص 192.

105 سعيد حسن بحيري:دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2005، ص 248.

106 أحمد عفيفي:نحو النص، ص 90.

107 شكر محمود عبد الله:الفصل والوصل في القرآن الكريم، دار دجلة،الأردن ط 1، 2009، ص 25.

108 أحمد عفيفي: نحو النص، ص 90.

109 صلاح الدين زرال:الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2008، ص 381.

بين سياق الموقف ونظرية التواصل عن طريق استخلاص مجموعة من العناصر التواصلية المتداخلة مع النظرية السياقية وخاصة سياق الموقف. وقبل ذلك وجب بيان مفهوم التواصل والعلاقة بيه وبين مصطلح آخر وهو الاتصال.

1.2.3. التواصل

إن الأصل الاشتقاقي لفعل التواصل communication مصدره لاتيني ويعني: «جعل الشيء مشتركا، فهو يتضمن فكرة التبادل والتبليغ، وهو يعني عملية الانتقال عن وضع فردي إلى وضع اجتماعي[110]». أما الاتصال فمأخوذ من الفعل «اتصل الذي يتضمن الإخبار والإبلاغ والتخاطب، ويتعلق بنقل الرسائل أو الرموز الحاملة للدلالات[111]»، فالتواصل إذن كل عملية تستدعي نقل رسالة بين مرسل ومتلقي يمتلكان معا الشفرة الضرورية لتداول الرسالة وذلك عن طريق حامل مادي أي قناة اتصال[112].

من خلال هذين التعريفين نستخلص أن التواصل أعم من الاتصال ذلك لأن العملية تقتضي المشاركة والمطاوعة بين الطرفين، أما الاتصال فهي القناة الحاملة للعلامات الصوتية البصرية الحركية والتي تنتج عنها رسالة، ويعتبر المتلقي طرفا رئيسا في عملية الاتصال لأنه مثار التوصيل، فيجب عليه أن يكون منتبها عند تلقي الرسالة، حتى لا يحصل تشويش في عملية الاتصال. ويبين طه عبد الرحمن سياقات التواصل فيقول: «إنه يدل على معان ثلاثة، أحدها نقل الخبر ولنصطلح على تسمية هذا النقل بالوصل والثاني نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلم ونطلق على هذا الضرب من النقل اسم الإيصال، والثالث نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلم ومقصده الذي هو المستمع معاً ولندع هذا النوع من النقل باسم الاتصال[113]». والاتصال لا يعني مجرد نقل المعلومة من طرف مشارك إلى آخر، ولكنه أحرى أن تستطيع تحقيق المعنى، ولا يمكن تعريف المعلومة في ذاتها إلا من خلال منظومة من المعنى لها وجود سابق: «تضم المرسل لرسالة بعينها ومتلقيها كليهما ولا يمكن لنقل المعلومة أن تحدث إلا عندما يحقق الطرفان منظومة المعنى من خلال التفاعل بينهما[114]». وتلك كانت أهم دعامة للبلاغة العربية التي

---

110 جاكبسون وآخرون:التواصل: نظريات ومقاربات، تر عز الدين الخطابي، منشورات عالم التربية الدار البيضاء ط1 ،2007ص 8.
111 جاكبسون،المرجع نفسه ص 8.
112 المرجع نفسه، ص 8.
113 عبد الرحمن طه:التواصل والحجاج، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993، ص 5.
114 نسيمة الغيث: البؤرة ودوائر الاتصال.دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة دط،2000 ص21

يقول في شأنها تمام حسان: «وعندي أن المعنى اللغوي للفظ البلاغة فرع على معنى الإبلاغ والتوصيل الذي هو موضوع من موضوعات علم الاتصال[115]»، فالبلاغة «عمل المتكلم على إيصال الشفرة إلى السامع بواسطة رسالة منطوقة خلال قناة اتصال مسموعة في مقام معين[116]». وتتداخل العلاقة بين التواصل وسياق الموقف عن طريق مجموعة من العناصر المكونة لهما وهي:

2.2.3. المتكلم أو المرسل: «هو الذات المحورية في إنتاج الخطاب لأنه هو الذي يتلفظ بالكلام من أجل التعبير عن مقاصد معينة وبغرض تحقيق هدف فيه ويجسد ذاته من خلال بناء خطابه باعتماده إستراتيجية خطابية تمتد من مرحلة تحليل السياق ذهنيا والاستعداد له، بما في ذلك اختيار العلامة اللغوية المناسبة[117]»، فالمرسل هو عنصر الانطلاق والأساس في عملية الاتصال وحركتها ودورتها لأنه مصدر الرسالة والمنشئ لها ومفعلها وهو «يأخذ عدة صور وفقا للمواقف التي هو فيها فقد يكون شخصية أو هيئة أو جمعية أو مؤسسة[118]». ولتكون العملية الاتصالية ناجحة يجب أن تتوافر مجموعة من العوامل منها القدرة على استخدامه اللغة اللفظية ومهارات الخطابة والكتابة والمناقشة زيادة على القدرة في متابعة استجابة المرسل لرسالته.

ومعرفة المتكلم في إنشاء الكلام الفعلي تعين على فهم الحدث اللغوي بل التعرف على كل صفات المتكلم ذلك أن لكل متحدث معجمه الخاص ومفردات التي يتألف معها، بل له مميزاته الصوتية الخاصة التي قد تميزه عن غيره من المتكلمين بنفس اللغة بل بنفس اللهجة، فقد يتميز بنبرة صوتية خاصة أو نطق صوتي خاص لمفردة معينة في موقف معين، فدلالة الكلمة إذن مرهونة بمكانة المتكلم وطريقة عرضه وانتمائه الاجتماعي.

3.2.3. الرسالة: هي المحتوى أو الموضوع الذي يراد نقله من المرسل إلى المتصل، وتختلف نوعية الرسالة سواء أكانت معلومات أم اتجاهات سلوكية وهي عبارة عن: «رموز سواء كلام أم كتابة أم رسوم أم أصوات ذات دلالة يتوقف فهم المستقبل لها على خبراته المكتسبة[119]». وتشتمل الرسالة على عوامل مؤثرة في مضمونها منها: «دقة بناء الرسالة

---

[115] جميل عبد الحميد:البلاغة والاتصال، ص 15.
[116] المرجع نفسه، ص 16.
[117] عبد الهادي ظافر الشهري:استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط 1، 2004، ص 45.
[118] عبد العزيز خواجة: أنماط العلاقات الاجتماعية في النص، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط 1، 2007، ص 104.
[119] عبد العزيز خواجة : المرجع السابق ،ص 104.

وإخراجها، وذلك باختيار العبارات أو الألفاظ المؤثرة نفسيا والفعالة في المستقبل وخلو الرسالة من الأخطاء كالأخطاء اللغوية والنحوية أو الأخطاء المطبعية التي تعمل على تشويه محتواها والابتعاد عن التكرار غير المسوغ لأن التكرار ينفر الفكرة[(120)]».

4.2.3. المرسل إليه أو المستمع: ويشكل الطرف الآخر من العملية الاتصالية وهو الذي يجعل الدائرة تكتمل، وقد يكون جهة أو شخصا أو مجموعة توجه لها الرسالة قصد المشاركة في الخبرة أو تعديل سلوكاتها، ودور المرسل إليه هو فك الرموز الموجهة له بغية تفسير مستوياتها وفهم مضامينها «ولا تقاس عملية الاتصال بالمرسل بقدر ما تقاس بالمستقبِل سلوكيا لأن السلوك يعطي المظهر والدليل على تحقيق الهدف[(121)]»، فالمخاطَب له حضور دائم في إرادة المتكلم، فبحسب مستواه وفهمه يتأتى إخراج الخطاب، ولذلك قال العلماء: «لولا المخاطب لما احتيج إلى التعبير عما في نفس المتكلم[(122)]».

وحتى يتحقق نجاح عملية الاتصال بالنسبة إلى السامع أو المخاطب وجب أن تأخذ الرسالة مكانها من الفهم للوصول إلى المعنى، كما وجب توفّر عنصر سلامة حواس السامع، فإذا كان بإحدى الحواس قصور أو معضلة فإن عملية الاتصال تفقد نظامها. والملاحظ في هذا السياق أن المتكلم والسامع يشتركان في صفات كثيرة أهمها سلامة اللغة وأدائها، وسلامة الحواس والاستجابة والتقبل، إلا أن علاقة المتكلم بالسامع قد تفرض نوعا معينا من الحديث، فحديث الطالب مع أستاذه يختلف عن حديثه مع زملائه، وحديث الابن مع والده يختلف مع أصدقائه، وهلم جرا.

5.2.3. القناة: وهي «الوسيلة التي تنتقل فيها إشارات النظام أثناء عملية التواصل[(123)]». وأهم وسائل الاتصال:

- الوسائل المكتوبة: الكتب، الصحف، المجلات، الوثائق الإدارية.
- الوسائل الشفهية المباشرة: وتتمثل في الحديث المباشر بين المرسل والمستقبل كالمحاضرة والخطبة.
- الوسائل المسموعة والمرئية خاصة الراديو والتلفزيون.

---

120 عبد العزيز خواجة :المرجع السابق، ص 107.

121 المرجع نفسه، ص 112.

122 نجم الدين قادر كريم، نظرية السياق: دراسة أصولية، ص 413.

123 رايض نور الدين، نظرية التواصل واللسانيات الحديثة، مطبعة سايس، فاس، ط 1، 2007، ص 315.

– الوسائل الالكترونية الحديثة: وتشمل المحطات الظرفية للحواسب كالفاكس، الناسخ والبريد الالكتروني وبنوك الاتصال.

6.2.3. مجال الحديث: نستطيع أن نطلق عليه المرجع، فقد تختلف الأنماط اللغوية باختلاف الموضوعات التي تدور حولها، وتعبر عنها من أدبية إلى سياسية أو اجتماعية، ومن هنا فإن الوقوف على الموضوع الذي يدور فيه الحديث يعين كثيرا على فهمه اللغوي "فمجال الحديث يتصل بالآثار المترتبة على الدور الذي يؤديه المتكلم مثل: علام كانت تدور اللغة التي استخدمها؟ ما التجربة التي يريد أن يعبر عنها؟ ما الذي يحدث من خلال اللغة؟ ويتضمن كل هذا الموضوع وكل ما يتصل به من أحداث(124)". معنى ذلك أن مجال الحديث هو المرجع الذي يحيل على فهم الأحداث ويتنوع هذا المرجع حسب تعدد القنوات، كالوسائل المكتوبة صحف ومجلات والوسائل السمعية والمرئية كالراديو والتلفزيون والوسائل الالكترونية مثل الانترنت والفاكس وغيرها.

7.2.3. المكان والزمان: يتعلق هذان العنصران بمقومات التواصل من جهة، وبمقومات سياق الحال من جهة أخرى فالسياق مكان التفاعل في زمن التفاعل وهذا ينطلق من مفهوم سياق الحال أو الموقف على أنه الوضعية الملموسة التي توضع وتنطق من خلالها مقاصد تخص المكان والزمان وهوية المتكلمين و«إذا غاب هذان العنصران من التحليل فإن الرسالة تحتمل عندئذ عدة احتمالات من المعاني وهكذا تقع في سوء الفهم(125)».

ويعتبر عنصر المكان فعالا مؤثرا في فهم معاني الكلمات باختلاف البيئات. والمكان في أدق تعريفه هو «الموضع والمنزلة(126)». ويتجلى دور المكان في معرفة مرجعية الألفاظ الثقافية مثال ذلك كلمة مرحبا في مصر ولبنان تختلف من حيث مواقف الاستخدام بين المجتمعين، ومن ثم تختلف دلالتها الاجتماعية فهي في لبنان تكاد تكون تحية عامة تقال في أي مكان، وهي في مصر تكاد تقتصر في استعمالها على تحية الضيف يقولها المضيف.

ويبدو المكان في النص بواحد من طريقين من طريقة التعبير اللغوي «إحداهما بواسطة الظروف الدالة على المكان سواء أكانت جامدة أم مشتقة، أعني بالجامدة أمثال حيث، عند والجهات الستة، وقبل وبعد وبالمشتق اسم المكان، والدلالة بالمشتق تكون ألصق بالحدث، إذ

---

124 عبد النعيم خليل: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص 87.

125 ينظر، نظرية التواصل في اللسانيات، ص 320.

126 طاهر عبد مسلم:عبقرية الصورة والمكان، دار الشروق، عمان، ط 1، 2002، ص 22.

هي مشتقة منه والتعبير بهذه الكيفية يمكن أن نسميه المكان التركيبي[127]». والآخر بواسطة: «أسماء المواضع الجغرافية كمكة والمدينة، ويمكن أن تسمي هذه الدلالة المكانية بالمكان المعجمي[128]».

أما الزمان فهو «اسم لقليل الوقت وكثيره[129]". ويعبّر عن الزمان بواسطة "صيغ الأفعال المختلفة وهو الزمن الصرفي، والأدوات كحروف النصب والجزم وحروف التنفيس وكذا التعبير بأسماء الزمان المشتقة[130]".

وتختلف عناصر سياق الموقف من عالِم لآخر، فهذا سيبويه يحدد عناصر هذا السياق بـ:

- إرادة المتكلم والمخاطب والعلاقة بينهما
- مضمون الرسالة
- أثر الرسالة في المخاطب[131].

ويحدد د.عبد الرحمن طه ثلاث خصائص أو مكونات للسياق وهي:

- العنصر الذاتي: ويشمل معتقدات المتكلم ومقاصده واهتماماته
- العنصر الموضوعي: ويشمل الوقائع الخارجية أي الظروف الزمانية والمكانية
- العنصر الذواتي: ويشمل المعرفة المشتركة بين المتخاطبين[132].

وسياق الموقف أو الحال من القرائن المهمة في تفسير النص القرآني وفهمه، فعن طريقه يتم استنباط معاني الآيات القرآنية ومعرفة مقاصد الخطاب الإلهي، ويتجلى ذلك في سبب النزول الذي من فوائده «إزالة الإشكال واللبس في فهم الكثير من الآيات القرآنية[133]». ونضرب مثالا على ذلك لفظة (القنوت)، الذي معناه لغة الطاعة ثم سمي كل استقامة في طريق الدين قنوتا وقيل هو لزوم الطاعة مع الخضوع، وقد حمل هذا اللفظ دلالة جديدة هي السكوت، جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وقوموا لله قانتين﴾ (البقرة/238)، واستدل المؤوّلون على هذه الدلالة بقرينة الحال وهي سبب نزول هذه الآية، فقد روى مجاهد وغيره أن

---

127 ردة الله:دلالة السياق، مكتبة أم القرى ،مكة المكرمة،ط1 1423ص 620.

128 المرجع نفسه، ص 621.

129 ابن منظور:لسان العرب، دار صادر بيروت، ط3 2004 م7 ص 60

130 ردة الله:المرجع السابق، ص 621.

131 محمد سالم صالح: الدلالة والتقعيد النحوي: دراسة في فكر سيبويه، دار غريب، القاهرة، ط 1، 2008، ص 405.

132 إدريس مقبول:الأسس الابستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سبويه،عالم الكتب الحديث عمان ط1 2007 ص 305.

133 حسن حامد الصالح: التأويل اللغوي في القرآن الكريم، ص 130.

المسلمين كانوا يتكلمون في الصلاة، وكان الرجل يأمر أخاه بالحاجة فأنزل الله: ﴿قوموا لله قانتين﴾ فكان ذلك أمرا بالسكوت في الصلاة، لذلك فقد حملت اللفظة على هذه الدلالة في هذا الموضع، وهذا هو رأي الجمهور(134)".

وخلاصة القول إن نظرية السياق بنوعيه تهدف إلى معرفة الأساليب المختلفة الدلالات في النص، ووصف استعمالاتها المتعددة في مواقف معينة زمانية ومكانية اجتماعية وهي قائمة على المتكلم والسامع وسائر المشاركين في الكلام.

---

134 المرجع نفسه ص 132.

1. الأمر

اختلفت مفاهيم مصطلح الأمر بحسب السياقات الثقافية والمرجعيات المختلفة فالأصوليون يعرفونه بأنه: "كل لفظ فهم منه إلزام المخاطب بشيء ما سواء أكان بصيغة فعل أم بمعناها". وعرفوه أيضا بأنّه: «طلب فعل غير كف على جهة الدعاء. وهذا الطلب هو القول المخصوص بصيغة افعل أو ما في معناه»[135]. والملاحظ أنّ الأصوليين يشترطون الإلزام عند القيام بفعل الأمر كمرحلة أولى لصيغة الفعل ثم بعد ذلك يأتي الدعاء كالتماس من الله عز وجل.

أمّا عند المفسرين فلفظ الأمر لا يدل إلا على معنى الأمر أي الواجب، ولذلك يعد هؤلاء: «ما جاء بلفظ الأمر في القرآن واجبا»[136]، فقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ (البقرة/278) يقيّد معنى الأمر لأن السياق القرآني يحرم الربا في قوله: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ (البقرة/275). واتفق كل المفسرين على أن لفظ الأمر بالصلاة والزكاة مثلا: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ (البقرة/43) يدل على معنى الأمر الواجب. ومحدّد ذلك السياق أن الصلاة والزكاة من دعائم الدين.

أمّا اللغويون والنحاة فقد اتفقوا على أن فعل الأمر في اللغة العربية يفيد طلب وقوع الحدث في المستقبل. يقول سيبويه: «فأما بناء ما لم يقع فإنه قولك آمرا، اذهب وأقتل وأضرب»[137]. وصيغة الأمر من المضارع تصاغ بعد نزع حرف المضارعة من تصريف الفعل مع المخاطب، لا تخالف بصيغته صيغته إلا أن تنزع الزائدة فتقول في (تضع) (ضع) ونحوها[138]. ويوجه الطلب بصيغة فعل الأمر إذا كان مرفوع فعل الطلب فاعلا مخاطبا. يقول ابن هشام: «وإذا كان مرفوع فعل الطلب فاعلا مخاطبا استغنى عن اللام بصيغة افعل غالبا»[139].

---

135 مسعود بن غازي: صور الأمر في العربية، دار غريب القاهرة ط1 2005 ص 24.
136 ألفة يوسف: تعدد المعنى في القرآن، دار سحر للنشر تونس ،ط1، 2003 ص 179.
137 سيبويه: الكتاب، ،م1 ص 40
138 إبراهيم السمرائي: الفعل زمانه وأبنيته، ص 48.
139 ابن هشام: مغني اللبيب، ، ج 1، ص 248.

وقد اختلف النّحاة حول هذه الصيغة، «فيرى البصريون أنها صيغة مرتجلة، وليست منقولة قائمة بنفسها باقية في البناء على أصلها. ويرى الكوفيون أنها مقتطعة من الفعل المضارع، والأصل في الأمر للمواجه في نحو افعل أن يكون باللام نحو لتفعل كالأمر للغائب إلا أنه لما كثر استعمال الأمر للمواجه في كلامهم وجرى على ألسنتهم أكثر من الغائب استثقلوا مجيء اللام فيه مع كثرة الاستعمال فحذفوها مع حرف المضارعة طلبا للتخفيف»[140].

والأمر عند البلاغيين هو صيغته اللفظية لا مطلق الدلالة النفسية، يقول السكاكي: «الأمر في لغة العرب عبارة عن استعمالها أعني استعمال نحو لينزل، أنزل ونزال وصه على سبيل الاستعلاء ممن هو أعلى رتبة. والمراد بالاستعلاء أن يعد الآمر نفسه أعلى من المخاطب، وأرفع منه شأنا سواء أكان عاليا في الواقع أم لا»[141]. والاستعلاء هنا مرتبط بمكانة الآمر إذ أنه يفرض نفسه على المأمور بالطلب على جهة الإلزام.

من خلال هذه المفاهيم نستنتج أن الأمر يمتاز بخصائص هي:

1- كونه طلب الفعل سواء أكان واجبا أم خارجا عن الوجوب والإلزام إلى سياقات أخرى.

2- كونه مفيدا للمستقبل ولكنه محدد ينتهي بانتهاء وقت الطلب.

3- أنه يفيد الاستعلاء. وقد علق البلاغيون على هذه الخاصية بأن يخرج الدعاء والالتماس «لأن الاستعلاء يقتضي حضور طرفين الآمر والمأمور. والأول يختص بالعلو على الثاني، في حين أن الدعاء يقتضي علو المأمور لا الآمر. والالتماس يقتضي تساوي الطرفين» [142].

والأمر بهذه الصفات أمر حقيقي إلزامي لكنّ بنيته تتولد لتنتج بنى توليدية تتحول منها صيغ الأمر إلى سياقات مختلفة، لذا تتطلب عملية تتبع الأمر في النصوص اللغوية آليات التحليل الأسلوبي والسياقي، ومن هذه السياقات الإباحة والتهديد والتعجيز والتسوية والدعاء وغيرها. ولننظر مثلا إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الجمعة/9)، وقوله

[140] محمد عبد المطلب:البلاغة العربية قراءة أخرى، الشركة المصرية العالمية لونجمان ،ط1،1997ص293

[141] السكاكي: مفتاح العلوم، ص428

[142] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية قراءة أخرى، ص 293.

تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة/10)[143]، فالأمر في الآية الأولى دال على اللزوم، أما الآية الثانية فتدل على الإباحة وهي نتيجة للآية الأولى التي كان الأمر فيها واجبا إلزاميا.

وصور الأمر وسياقاته عديدة في قصة سيدنا موسى تتراوح بين الدعاء والالتماس والسخرية وغيرها. يقول الله تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه/38، 39). وقد جاء الخطاب الإلهي مبلغا في بدايته إلى موسى عليه السلام عن طريق كاف الخطاب العائدة إليه، وهي وصف لحالة الخوف والهلع الذي اعترى أمه. وقد ورد هذا الخطاب الإبلاغي إلى أم موسى عن طريق الفعلين "أوحينا" بصيغة الماضي و"يوحى" بصيغة المضارع الدال على الاستقبال. والوحي هنا: «وحي الإلهام الصادق وهو إيقاع معنى في النفس ينثلج له نفس الملقى إليه بحيث يجزم بنجاحه فيه وذلك من توفيق الله تعالى»[144].

والوحي هنا ليس النبوءة ولكنه: «حديث خفي على غير معتاد كلام الناس يلقيه الله في قلب أحد مخلوقاته فيفهمه ويدركه»[145]. والوحي هنا هو إيذان بالأمن الذي يحيطه الله بقلب الأم حتى يُذهب عنها الخوف والهلع.

ويمثل الفعل "يوحى» الذي اقترن باسم الموصول المكون الأساسي والبؤرة التي تتولد عنها ثلاثة أفعال من الأمر وهي على التوالي: اقْذِفِيهِ، فَاقْذِفِيهِ، فَلْيُلْقِهِ، ففعل الأمر الأول يعتبر مرحلة أولى لتنفيذ وحي الله سبحانه وتعالى من طرف أم موسى. وقد جاء بصيغة فعل الأمر الذي يفترض عند النحاة «ألا يأمر به إلا المخاطب الحاضر مفردا كان أو جمعا»[146]. وقد حمل هذا الفعل نوعا من خصوصية الاستعلاء، وذلك ناتج عن قوة الفعل اقْذِفِيهِ، وهو أشد من الوضع، وهو الرمي بقوة وهو خطاب إلهي يقيني تكليفي يحيل إلى سرعة الفعل ويحمل في طياته سياقا بلاغيا وهو اللهفة والعجلة فالعملية خطيرة ومستعجلة، وبقدر هذه الخطورة وهذا الاستعجال بقدر تلك السكينة الإلهية التي سيعدها الله سبحانه وتعالى لأم موسى عبر حماية طفلها.

---

143 ينظر عيد بلبع: السياق وتوجيه دلالة النص، دار الكتب المصرية،القاهرة،ط1،2008ص 265.
144 الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،دط،1984ج 16، ص 216.
145 بيوض إبراهيم بن عمر:في رحاب القرآن، جمعية التراث غرداية ط1 1995ص 274.
146 عاطف فضل: تركيب الجملة الإنشائية، عالم الكتب الحديث الأردن ،ط1 2004ص 96.

ويتكرر الفعل مرة أخرى على غير عادته وقد ورد هذه المرة أكثر سرعة وجريانا في الحديث إنه مستقبل ينبئ بالوحي الإلهي، وذلك باقتران الفعل (اقذفيه) بالفاء التي تدل على التعقيب، وتهيئة إلهية لليمّ الذي سيقوم بوظيفة رعاية المولود بعد إلقائه بالتابوت. ونستطيع إلى حد ما أن نبين الغرض من سياق هذا الفعل وهو التسليم «حيث يكون اللفظ أمرا والمعنى تسليم وتفويض بأن يصنع ما يشاء» [147] انظر قوله تعالى: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ (طه/72)، أي اصنع ما أنت صانع، لكن سياق القول (فَاقْذِفِيهِ) ينفي التسليم معلقا ومقيدا بإرادة الله سبحانه وتعالى في حماية هذا الطفل.

وجاء القول: فَلْيُلْقِهِ كمرحلة أخيرة للرعاية، وفيه فعل مضارع مقترن بلام الأمر وأمثلته في القرآن الكريم كثيرة. وقد ذكر النحاة أنّ «لام الأمر هي الموضوعة للطلب تدخل على المضارع ليؤذن أنه مطلوب للمتكلم» [148]. ويرى ابن يعيش: «أنها تنقل المضارع من الحال إلى الاستقبال»[149].

وتوجيه الأمر إلى اليم يحمل سياق التكوين لأن اليم هو وسيلة تسخير، وموضع الرعاية ليقوم هذا اليم فيما بعد «بإلقاء الطفل بالساحل، ولا يبتعد إلى مكان بعيد، والمراد بساحل معهود، وهو الذي يقصده آل فرعون للسباحة» [150].

وجاء الفعل هو الآخر مقترنا بالفاء، دلالة على تأكيد السرعة مرة أخرى، فسياقات اللهفة والاستعجال والتسليم والتكوين هي سياقات مختلفة لمتواليات أفعال الأمر جسدت حالة الخوف والهلع الذي يعتري أم موسى لتتحقق بعد ذلك البشارة الإلهية ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه/39).

وقال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (القصص/20).

نلاحظ أنّ المشهد السردي المكون لبنية (فعل) يبدأ الأمر بتمهيد لإنقاذ موسى عليه السلام من آل فرعون، وفعل الأمر أخرج جاء مسبوقا بثلاثة أفعال مختلفة الدلالة على الزمان. الأول للمضي والثاني للحال والثالث للمستقبل وهي على التوالي جاء، يسعى، يأتمرون، يقتلوك. وقد ورد فعل الأمر كإشارة تبليغية من الرجل المؤمن الذي أرسله الله تعالى لحماية

---

147 مسعود بن غازي: صور الأمر في العربية، ص 61.
148 عاطف فضل: تركيب الجملة الإنشائية، ص 105.
149 ابن يعيش:شرح المفصل، ،ج7 ص41
150 الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 16، ص 192

موسى، فالعناية الإلهية موجودة لا محالة وفعل الأمر أخرج المسبوق بالفاء الدال على تعاقب الأحداث دالا على المستقبل. واقترن بلحظة زمانية سريعة وهي لحظة المؤامرة والقتل، لذلك خرج الأمر من محيطه الأصلي إلى مقتضى وسياق آخر هو التحذير من بطش هؤلاء المتآمرين. وكانت نتيجة التحذير مرفقة بقول الله تعالى: ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (القصص/20) مما أكّد الإصرار على عملية التحذير والخوف على موسى من القتل. ويتواصل فضل الله على موسى فالرجل المؤمن كان سببا لهرب موسى لقوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص/21).

وجاء الأمر(نَجِّنِي) من الأدنى إلى الأعلى ودل سياقه على الدعاء، الذي «يرتد سياقه إلى المتكلم الذي يوجه الطلب على حال التضرع والخضوع كما يرتد إلى المتلقي المباشر حيث يكون هو الأعلى مطلقا أو بالنسبة للمتكلم وذلك نحو قولنا اللهم سامحني الذي يرتد في العمق إلى أتضرع لله أن يسامحني» [151]. وهذا التضرع بالنجاة نحو الله سبحانه وتعالى يبين لنا نفسية موسى عليه السلام الخائفة المتضرعة لله تعالى.

وقال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص/26) كانت رحلة أخرى لمجموعة من الأحداث التي رافقت موسى عليه السلام أثناء رحلته إلى مدين، وهي:

1- حال الرعاء على الماء، السقي للمرأتين، استئجاره من طرف الأب. والحدث الثالث جاء في صيغة الأمر (استأجره). وقد كان مسبوقا بأسلوب إنشائي طلبي آخر هو النداء. وسياق الأمر هنا التماس وتمنٍ في الوقت ذاته، لماذا؟ إن الفتاة وهي تطلب من أبيها استئجار موسى كان موقفها نابعا من خلفية مرجعية وهي الخلق الحسن والمعاملة الحسنة والموقف الرجولي تجاه المرأة، لقوله تعالى: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ (القصص/23). وهذا الموقف يجسده رعي ماشية الفتاتين وحمايتهما من الرعاة الآخرين. وآخر المطاف ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ (القصص/24). ويحضر التوكيد على الشكر والعرفان: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ (القصص/25).

والالتماس في هذا السياق استدعى حضور «طرفي الاتصال معا، حيث يكون بينهما نوع من التساوي في المكانة. وهو ما يدفع ببنية الأمر إلى التخلص من طبيعة الاستعلاء»

[151] محمد عبد المطلب:البلاغة العربية قراءة أخرى، ص 296.

[152]. كما يحمل دلالة أخرى هي التمني. وبنية حرف النداء والمنادى "يا أبت" دلالة على استعطاف وترج. وسياق التمني: «أن يرتد إلى المتكلم في طلب محبوب لا طمع فيه» [153]. والاستئجار هنا كان نتيجة للقوة والأمانة التي وردت مؤكدة بأداة التوكيد (إنّ) دلالة على الإصرار فسياق الأمر (استأجره) المزدوج الغرض قد آل إلى تأكيده في قوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص/26).

وقال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آَنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آَتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (طه/9..12)، تبدأ علامات الوحي والنبوءة برؤية النار. وهي نار ليست كباقي النيران ويجسد ذلك فعل الرؤية الحسية "رَأَى" والرؤية الروحية "آَنَسْتُ" ويتوسطهما فعل الأمر: (امكثوا) متخذا مسار الانتظار. ويعد هذا الفعل امتدادا للحظة الوعي التي تأتي بعد قليل. وقد ورد الفعل بصيغة واو الجماعة إيذانا بلحظة الانفراد التي سينفرد بها موسى عليه السلام مع ربه.

وجاءت لحظة الكشف الإلهي ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (طه/11، 12) فإظهار النار لموسى: «رمز رباني لطيف إذ جعل اجتلابه لتلقي الوحي باستدعاء ينور في ظلمة رمزا على أنه سيتلقى ما به إثارة بأس بدين صحيح بعد ظلمة الضلال وسوء الاعتقاد» [154].

والملاحظ في هذه الآية أن هناك حوادث تمهيدية سبقت فعل الأمر (اخلع) إذ نجد نداء. وقد بني فعل (نودي) للمجهول لغرض التشويق "فإبهام المنادى يشوق سامع الآية إلى معرفته فإذا فاجأه: إني أنا ربك علم أن المنادي هو الله تعالى» [155]. ولما كان بصدد بيان حالته، بقي المنادي مجهولاً، حتى يأتي المنادي المعلوم بأداة التأكيد وضمير المتكلم ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ وردت دون واسطة لقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (النساء/164). وجاء فعل الأمر (اخلع) بعد ذلك. وهو أمر من الأعلى إلى الأدنى غرضه الإعلام والإخبار، «والخلع

152 محمد عبد المطلب:البلاغة العربية قراءة أخرى، ص 226.
153 المرجع نفسه، ص 295.
154 الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 16، ص 195.
155 المصدر نفسه، ج 16، ص 195.

فصل شيء عن شيء كان متصلا به»[156]. كما يحمل الأمر هنا إقرارا بأن ذلك المكان قد حله التقديس بإيجاد كلام من عند الله فيه [157].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (طه/13، 14).

إن الإقرار بالاختيار والاصطفاء من الله سبحانه وتعالى جاء عن طريق ضمير المتكلم الدال على التعظيم فقوله ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ «إخبار عن اختيار الله تعالى موسى بطريق المسند الفعلي المقيد تقوية الحكم»[158]. والاختيار تكلف طلب ما هو خير واستعملت صيغة التكلف في معنى إجادة طلب الخير»[159]. ونعمة الاختيار تقتضي تنفيذ الأمر والشكر لله تعالى. وتجسد هذا الأمر عن طريق الفعل استمع والمقرون بفاء الاستئناف وقد انطلق هذا الفعل من الأعلى على سبيل الاستعلاء «وقد أُمِر بالاستماع إلى الوحي لأنه أثر الاختيار إذ لا معنى للاختيار إلا اختياره لتلقي ما يوحي الله»[160].

ويعتبر فعل الأمر (استمع)، محوراً أساسيا للعملية الإبلاغية فهو حلقة الاتصال التي يعد فيها المخاطب مفككا لمضمون الرسالة الإلهية، فالمخاطب موسى يستعد لتلقي الوحي من الله سبحانه وتعالى وتنفيذ ما أمر به، وتكليفه بأفعال أمر أخرى، وهو ما ستعرضه في الآيات الموالية التي يقول فيها الله سبحانه وتعالى: ﴿أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (طه/14)، فالاستماع في الآية الأولى نتج عنه فعلان من أفعال الأمر وهما (أعبدني) و(أقم الصلاة) وقبلهما وجود مؤكدات بينت ذات الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ﴾. ويقول الطاهر بن عاشور في هذا الشأن: «وذلك أول ما يجب علمه في الشؤون الإلهية، وهو أن يعلم الاسم الذي جعله الله علما عليه، لأن ذلك هو الأصل لجميع ما يتخاطب به عن الأحكام المبلغة عن ربهم»[161].

وقد جاء سياق الآية الأولى إيناسا لموسى عليه السلام في قوله تعالى: "أنا ربك" أما هذه المرة، فقد اختلف السياق من الإيناس إلى إثبات الوحدانية لله عز وجل "إنني أنا الله" متوسطا ضمير الفصل لزيادة تقوية الخبر «فالله المستحق الألوهية المتصف بها لأنه الكامل

---

[156] الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 16، ص196.
[157] المصدر نفسه، ج 16، ص 196.
[158] المصدر نفسه، ج 16، ص 198.
[159] المصدر نفسه، ج 16، ص 198.
[160] المصدر نفسه، ج 16، ص 199.
[161] الطاهر بن عاشور:المصدر السابق ، ج 16 ، ص 199.

في أسمائه وصفاته، المتفرد بأفعاله الذي لا شريك له ولا مثيل ولا كفؤ ولا سمي»[162]. وسياق الفعلين هنا جاء لغرض التكليف: تكليف بالعبادة، وهي تجمع معنى العمل الدال على التعظيم من قول وفعل وإخلاص بالقلب، وخصّ من العبادات بالذكر إقامة الصلاة، «لأن الصلاة تجمع العبادة وإقامة الصلاة إدامتها أي عدم الغفلة عنها»[163].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾ (طه/17..22). إنّ وحدانية الله مقترنة بالعبادة ومرتبطة أشد الارتباط بمعجزاته عزّ وجلّ. وأوّل معجزات الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام كانت في العصا. وقد بدأ الله سبحانه وتعالى في خطابه مع موسى عليه السلام بسؤال كلّه تلطف به. وجاء هذا السؤال بصيغة الاستفهام المقرون بما الاستفهامية الدالة على غير العاقل كمقدمة للمعجزات التي بينها الله تعالى في هذه العصا. وهو استفهام عن ماهية هذه العصا التي سيكون لها شأن عظيم في إثبات المعجزة، وهناك وظائف مهمة ستقوم بها هذه العصا تتجلى في ثلاثة أفعال أمر هي على التوالي: ألقها، خذها وأضمم. ففعل الأمر الأول ألقها «جاء ليعرفه قدرته على ما شاء وعظيم سلطانه ونفاذ أمره فيما أحب بتحويله إياها حية تسعى إذا أراد ذلك ليجعل ذلك لموسى آية مع سائر آياته إلى فرعون وقومه »[164]. وقد جاء الفعل الأول متبوعا بنداء يا موسى تنبيها له. والإلقاء هنا جاء لمعرفة النتيجة التي ستعقب هذا الفعل وكان الغرض منه التسخير «أي جعل الشيء مسخرا منقادا، وذلك إذا استعملت الصيغة حيث يكون المأمور منقادا لأمر لا حيلة له فيه»[165]. وتسخير هذا الفعل جاء لتحدي فرعون والسحرة والتحدي «هو طلب الشيء من شخص يرى المتكلم صعوبة تحقيق المستحيل له»[166]. وقد نتج فعل الأمر عن لحظة فجائية هي تحول العصا إلى حية ويليها فعل الأمر الثاني «خذها» والغرض منه الاطمئنان، فالله سبحانه وتعالى يصر إصرارا على وظيفة هذه العصا ليزيد في قوة التحدي والتعجيز لفرعون وملأه، إن لهذه العصا مهمة عظيمة الشأن وجب

162 عبد الرحمن بن ناصر:تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 553.
163 الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 16، ص 200.
164 الطبري:جامع البيان عن تأويل آي القرآن ،تح عبد الله بن عبد المحسن التركي،دار هجر للطباعة والنشر،مصر،ط1 2001 ج 16 ص42
165 مسعود بن غازي:صور الأمر في العربية، ص 56.
166 ألفة يوسف:تعدد المعنى في القرآن، ص 181.

عليها تنفيذها. ويتوجه هذه المرة بخطاب إلى موسى"وأضمم يدك إلى جناحك". والضم هو الإلصاق أي ألصق يدك اليمنى التي كنت ممسكا بها العصا والمعجزة الثانية تتجلى في وظيفة اليد التي ستستمر هي الأخرى في خلق التحدي، وهناك موضع ستلجأ إليه هذه اليد "وأضمم يدك إلى جناحك" (طه/22) أي إلى جيبك. والجيب هو مكان دخول الرأس من الثوب، ولكن الجيب الآن هو أي شيء نجعله لما نحب، وكان الجيب هو الشيء الذي توضع فيه الأشياء الثمينة[167]. فالضم هنا يشير إلى ذلك الاطمئنان والإيناس الذي زرعه الله سبحانه وتعالى في قلب موسى، ولنا حديث عن الاطمئنان في السياق النفسي إن شاء الله.

بهذا جاءت أفعال الأمر الثلاثة لتحقيق ما يلي:

- بيان قيمة العصا في خلق المعجزات.
- اطمئنان موسى.
- التحدي والإعجاز لقوم فرعون: وهي أفعال تجتمع كلها في قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آَيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ (طه/23). ويتوالى الأمر المطلق بالتنفيذ في قوله تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (طه/24).

هناك خطر يداهم بني إسرائيل نتيجة التجبر والطغيان والعتي فالذهاب هنا ينبئ بتلك السرعة التي جمعت بين معجزة العصا واليد وبين طغيان فرعون فسياق الأمر هنا يتجاوز مرحلة التكليف إلى مرحلة الإذن والتسخير. وقد كان رد موسى عليه السلام عقب هذا التكليف ما يلي: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ (طه/25..32)، فموسى عليه السلام يواجه أحداثا عظيمة ناتجة عن طغيان فرعون وتجبّره، وفوق كل هذا يستعد النبيّ لتنفيذ أوامر الله عز وجل في تبليغ الرسالة، ولمّا كان الأمر كذلك استدعى أن يطلب من الله مساعدته في مواجهة هذا العبء الثقيل عن طريق أفعال الأمر: اشرح، أحلل، اجعل، أشدد وأشرك وهي في بنيتها العامة أفعال أمر متوجهة من الأدنى إلى الأعلى وسياقها العام الدعاء «والدعاء قول له خصوصية إذا تأملنا طرفي الخطاب فيه فهو قول من إنشاء البشر يتوجه بالخطاب فيه إلى الله عز وجل يحمل هذا القول طلبا أو

[167] محمد متولي الشعراوي: قصص الأنبياء والمرسلين، ص 341.

مسألة»[168]. وقد تضمّن أول فعل أمر الدعاء وهو قوله: اشرح لي صدري، فاشرح حقيقته: «تقطيع ظاهر شيء لين، واستعير هنا لإزالة ما في نفس الإنسان من خواطر تكدره أو توجب تردده في الإقدام على عمل»[169]. وشرح الصدر فتحه لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (الشرح/1). أي ألم نفتح صدرك للإسلام. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: "قالوا يا رسول الله أينشرح الصدر، قال نعم، وينفتح». وهكذا أراد موسى، أراد أن يقدم على هذه المهمة الصعبة منشرح الصدر غير منقبض «فالإنسان حين يقابل الأحداث بانقباض الصدر يعينها على نفسه دون أن يعلم أن المهمة الصعبة تحتاج إلى شرح صدر زائد لأنك لا بد أن تواجهها بانشراح أكبر يناسب المجهود»[170]. وهناك تكمن المفارقة بين رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم الذي فتح الله صدره للإسلام وتحقق له الفعل، وبين موسى الذي يتضرع إلى الله أن يشرح له صدره حتى ينفذ هذه المهمة الصعبة بنجاح، وهذه مرحلة أولى لصور هذا الفعل.

وتتجلّى المرحلة الثانية في تحدي فرعون في فعل الأمر (يسّر). والتيسير جعل الشيء يسيرا، أي ذا يسر يقول تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ (البقرة/185)، ويقول أيضا: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ (الليل/7)، أي سنهيئه للخلة التي تؤدي إلى يسر وراحة كدخول الجنة»[171]. وقد قال المفسرون: «إن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق الذي أعتق نفرا من المؤمنين كانوا في أيدي أهل مكة يعذبونهم في الله»[172].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح/6) إن مع الضيقة والشدة يسراً أي متعة وغنى»[173]. والمتأمل لكلمة يسر في معاجم اللغة يجدها مأخوذة من يسر الفرس إلى هيئة للركوب بالسرج واللجام، وفي ظل سياقات هذه الكلمة فإن موسى عليه السلام يطلب من ربه أن يهيئه للإقبال أكثر على هذه المهمة، فتيسير الأمر بالنسبة إليه هو إبعاده عن كل ضيق واهتداؤه إلى طريق يستطيع أن ينفذ منه، ومع اقترانه بالشرح فإن المهمة بدأت تكتمل، ومن مرحلة انشراح الصدر وتيسير الأمر إلى مرحلة النطق، مرحلة يكون فيها الكلام للإقناع بالنبوّة، فعل الأمر "أحلل" لقد سأل سلامة آلة التبليغ وهو اللسان بأن يرزقه فصاحة التعبير

---

[168] عيد بلبع: السياق وتوجيه دلالة النص، ص 288.
[169] الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 16، ص 210.
[170] محمد متولي الشعراوي: قصص الأنبياء والمرسلين، ص 341.
[171] تفسير البيضاوي، الموسوعة.الاسلامية
[172] فتح القدير، .الموسوعة الإسلامية
[173] تفسير القرطبي،الموسوعة الإسلامية

والمقدرة على آداء مراده بأوضح عبارة. يقول الطاهر بن عاشور: «شبه حبسة اللسان بالعقدة في الحبل أو الخيط أو نحوهما لأنها تمنع سرعة استعماله»[174]. فهو الآن يعدد التفصيل في أمره، وإقناع فرعون وملئه بالرسالة الإلهية وهو بذلك يسأل الله أن يلهمه القدرة على البليغ، فحلقة الاتصال إذن بين موسى وفرعون يجب أن تتوفر على شرط الفصاحة وسلامة اللسان من العيوب كالحبسة، وقد روي: «أنه كانت بلسان موسى حبسة والأرجح أن هذا هو الذي عناه ويؤيده ما ورد في سورة أخرى، ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ (القصص/34). أما المرحلة الأخيرة من المهمة فقد تم انتقال مهمة نقل الرسالة الإلهية من شخص واحد إلى شخصين، فموسى الآن يريد أن يستنجد بأهل ويطمح أكثر للطلب، عبئ ثقيل وجب مواجهته باثنين سيكونا أهلا للنبوة، يتقدمهما فعل الطلب في صيغة الأمر (اجعل) وهي بداية الاتحاد بين موسى وأخيه فالجانب الذي عنده فيه قصور فأراد أن يكمله بأخيه [175]. وهارون هنا يمثل السند الذي يعتمد عليه موسى حتى يؤدي الرسالة على أكمل وجه.

وهذا الاعتماد يتقدمه فعل الطلب (أشدد) «والشد الإمساك بقوة والأزر أصله الظهر، ولمّا كان الظهر مجمع حركة الجسم، وقوام استقامته، أطلق اسمه على القوة إطلاقا شائعا يساوي الحقيقة، فقيل الأزر للقوة» [176]وقيل آزره إذا أعانه وقواه وسمي الإزار إزاراً لأنه يشد به الظهر وهو في الآية «مراد به الظهر لتناسب الشد فيكون الكلام تمثيلا لهيئة المُعِين والمُعَان»[177]. والفعل الأكثر دلالة على الاتحاد هو فعل الطلب الدال على صيغة الأمر أشركه، فموسى عليه السلام يريد إعانة أخيه له على تحمل أعباء الرسالة، وما أعظمها رسالة إنه مصير أمة يحمل عاتقها شخصان يقول تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (القصص/34)، وبنية فعل أرسله معي دالة على الإشراك في الأمور الصعبة التي لم يستطع موسى تبليغها فعلى حد تعبير المفسرين «أن هارون بالإضافة إلى أنه أفصح من موسى قالوا أنه كانت فيه صفات أخرى حميدة منها أن موسى كانت فيه حدة أي أنه سريع الغضب أما هارون فكان فيه لين وحلم ولذا طلب موسى أن يكون معه ليجبر عقدة لسانه بفصاحته، وليعالج بلينه شدة موسى

---

[174] الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 16، ص 211.
[175] محمد متولي الشعراوي:قصص الأنبياء والمرسلين، ص 346.
[176] الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 16، ص 213.
[177] الطاهر بن عاشور :المصدر السابق، ج 16، ص 213.

وحدته فيكمل كل منهما الآخر»[178]. وكأننا بموسى في هذا السياق مقبلا على حرب تستلزم فيها مؤازرة الأخ بموقف التأييد والمساندة.

وخلاصة القول إنّ هذه الآيات تضمنت طلبا وتضرعا مرّ بمراحل نستطيع أن نطلق عليها مراحل الدعوة فكانت سعة الصدر وتيسير الأمر واتحاد الأخوة ثمرة وجزاء من الله سبحانه وتعالى عندما استجاب لموسى عليه السلام ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ (طه/36).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة/54). إنّ نصّ الآية جاء بعد وعد ووعيد لعبدة العجل حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ (الأعراف/152).

لقد أخرج هؤلاء العبدة العجل عن مهمته في الحياة واتخذوه لشيء آخر اخترعوه وهو جعله إلها معبودا «فغضب الله لا ينزل على الذين اتخذوا العجل لما خلق له ولكن على الذين اتخذوه لغير ما خلق له»[179]. لذالك كان جزاءهم القتل وكان ذلك على لسان موسى عليه السلام. وبنية الخطاب تقتضي أثر فعلين من الأمر هما: (توبوا، اقتلوا) وقد سبقهما إنذار وتنبيه مسبوقين بإن التوكيدية دلالة على أن الجرم عظيم "إنكم ظلمتم أنفسكم" «وهو تشريع حكم لا يكون مثله إلا عن وحي لا عن اجتهاد»[180]. وللإشارة فإن كلمة (قوم) «اتخذت مسار التقرب ليصل الخطاب إلى قلوبهم مباشرة ثم يأتي إنكم ظلمتم أنفسكم وفيها إشارة لواقع حالهم عندما اتخذوا قرار عبادة العجل»[181]. وصيغة فعل (توبوا) المتوجهة إلى الجماعة سبقتها الفاء الدالة على التعقيب فحالهم لا يحتمل التأجيل وبين المخاطب موسى والمخاطَب عبدة العجل، لحظة زمانية قصيرة دلت عليها فاء التعقيب هذه الدالة على سرعة الحدث، والتوبة هنا هي: «الأوبة مما يكرهه الله إلى ما يرضاه عن طاعته، فاستجاب القوم لما أمرهم به موسى من التوبة مما ركبوا من ذنوبهم إلى ربهم على ما أمرهم به»[182].

---

178 محمد متولي الشعراوي: قصص الأنبياء والمرسلين، ص 347.
179 الشعراوي،المرجع نفسه، ص 409.
180 الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 503.
181 ينظر، خلود العموش:الخطاب القرآني، ص 450.
182 تفسير الطبري.م 2 ص 71-72

والفعل (توبوا) فيه إيذان بالتوبيخ ونتيجة سابقة لما بعده وهي الإهانة فالعلاقة بن الآمر والمأمور هي اللزوم «لأن طلب الشيء من غير قصد حصوله لعدم القدرة عليه تستلزم إهانته» [183]. فبقدر ما دل الفعل (توبوا) على العزم بقدر ما آل إلى نتيجة مفادها أخذ الجزاء أكثر، والذي يجسده فعل الأمر "فاقتلوا أنفسكم" وظاهر تفسير هذه الآية والله أعلم: «ليقتل البريء منكم المجرم فوفقكم لفعل ذلك وأرسل عليكم سحابة سوداء لئلا يبصر بعضكم بعضا فيرحمه حتى قتل منكم نحو سبعين ألف»[184]. وقد سبقت فعل الأمر فاء التعقيب أي جعل القتل متعقبا للتوبة، وقد اقتضى السياق أن يحمل هذا الفعل دلالة الإهانة والتحقير وهذا المقتضى «يكون في مقام عدم الاعتداد بالمخاطب وقلة المبالاة»[185] كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (الدخان/49)، فالقتل هنا يصور مدى سخط الآمر على المأمور وتصغير الشأن لأن سياق الإهانة: «يرتد إلى المتلقي الداخلي أو المباشر من حيث يكون المقصود تصغير شأنه وقلة المبالاة»[186] نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ (الإسراء/50)، كما يحمل القتل في ظاهره معنى «أن هؤلاء القوم مأمورون بأن يباشر كل قتل نفسه»[187] فالتوبة بما حملته من صيغة أمر هي لحظة وعيد لفعل أبشع وهو القتل الذي ينم عنه توبة أخرى من عند الله: "فتاب عليكم" وهي لحظة في بنيتها العميقة ترج لله تعالى أن يتوب على هؤلاء.

2. النّهي

هو أحد الأساليب الإنشائية الطلبية. والنهي خلاف الأمر، جاء في مادة (ن،ه،ي) في لسان العرب: «نهاه، ينهاه، فانتهى وتناهى كف أنشد سيبويه لزيادة بن زيد العذري:

"إِذَا مَا انْتَهَى عِلمِي تنَاهَيْتُ عِنْدَه *** أطالَ فأملَى أوْ تنَاهَى فأَقْفَرا"[188]

أمّا اصطلاحا فهو: «طلب الكف عن الفعل والامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام»[189].

183 مسعود بن غازي:صور الأمر في العربية، ص 57.
184 تفسير الجلالين:تقديم عبد القادر الارناؤوط ،دار ابن كثير
185 عبد الفتاح لاشين: المعاني في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي القاهرة،ط1 ،2003،ص 123.
186 محمد عبد المطلب:البلاغة العربية قراءة أخرى، ص 294-295.
187 الآلوسي:روح المعاني، إدارة الطباعة المنبرية دار إحياء التراث العربي بيروت دط دت ج 1، ص 260.
188 ابن منظور:لسان العرب، طبعة بولاق، د ط، د ت، ج 20، ص 218.
189 أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية، مكتبة لبنان، ط 2، 2000، ص 667.

فالتعريف اللغوي والاصطلاحي يتفقان في أن النهي هو الكف والنهي صيغة يمنع فيها المتكلم أو المخاطب قصد تبليغه بما ينبغي أن يكف عنه، وهي المكونة من لا الناهية وفعلها المضارع، يقول الصاحب في ذلك: «فأما النهي فقولك لا تفعل ومنه قوله:

لا تَنْكَحْي إنْ فرَّق الدَّهرُ بيْنَنا *** أغَمَّ القفَا والوجهِ ليسَ بأنْزَعا»(190)

وللنهي صيغة واحدة أصلية وهي كل فعل مضارع مجزوم بلا الناهية .

ويقع حرف النهي على فعل الشاهد والغائب، وذلك قولك (لا يقم زيداً، ولا تقم يا رجل، ولا تقومي يا امرأة)(191).

ويفيد حرف النهي مجتمعا مع الفعل المضارع زمان الاستقبال. يقول ابن هشام: «ومن أوجه (لا) أن تكون موضوعة لطلب الترك وتختص بالدخول على المضارع وتقتضي جزمه واستقباله سواء أكان المطلوب منه مخاطبا نحو: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ (الممتحنة/1) أو غائبا نحو: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ (آل عمران/28) أو متكلما نحو لا أرينك ها هنا»(192).

من خلال هذه التعريفات نتبين أن النهي يقتضي طلب المنع والكف، ويتفق في ذلك مع الأمر فهو إذن لفظ يطلب به الأعلى كف من هو أدنى منه على فعل ما «فالعلاقة بين الأمر والنهي هي مبدئيا علاقة تقابل فالنهي هو أمر بعدم القيام بالفعل. والأمر هو نهي عن عدم القيام بالفعل»(193).

ويلتقي أسلوب النهي مع الأمر في نقاط هي:

1- أن كل واحد منهما لا بد فيه من اعتبار الاستعلاء.

2- أنهما يتعلقان بالغير فلا يمكن أن يكون الإنسان آمراً لنفسه أو ناهيا لها.

3- أنه لا بد من اعتبار حال فاعلهما في كونه مريدا لها.

ويختلفان في نقاط هي:

1- أن كل واحد منهما مختص بصيغة تخالف الآخر.

2- أن الأمر دال على الطلب والنهي دال على المنع.

---

190 ابن فارس:الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تح مصطفى التونجي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1963، ص 187.

191 المبرد: المقتضب، تح حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1999، ج 1، ص 426.

192 ابن هشام:مغني البيب، ج 1، ص 246.

193 ألفة يوسف:تعدد المعنى في القرآن،ص182

3- أن الأمر لا بد فيه من إرادة مأموره والنهي لا بد فيه من كراهية منهيه[194].

ويتّخذ أسلوب النهي سياقات متعددة تعود إلى موقف كل من المتكلم والسامع أثناء نقل الرسالة، وبالتالي ينتفي عنصر الاستعلاء ومنها معاني التهديد والالتماس والدعاء التي سنرى تجلياتها في تحليل الآيات.

قال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف/142). ترتبط العلاقة بين موسى وأخيه هارون عليهما السلام وتشتد دعامتهما من أجل تحقيق هدف واحد هو تبليغ الرسالة. وهذا التبليغ اقتضى وجود أمر ونهي في آن واحد، وقد أشرنا إلى الأفعال الدالة على ذلك في سياق الأمر وقلنا إن الخلافة تمثل تغييرا استمراريا لهارون، وهي بذلك تقتضي الإصلاح كأول خطوة في نقل هذه الرسالة، وهذا الإصلاح يتلوه فعل بصيغة النهي المكون من لا الناهية والفعل المضارع "لا تتبع" والإتباع "أصله المشي على خلف ماشٍ وهو هنا مستعار للمشاركة في عمل المفسد[195]. ويرتد النهي هنا عن الكف لينتقل في هذا الفعل إلى سياق التحذير إن هذه الأخوة التي تريد أن تستمر في التضحية من أجل هذه الرسالة تريد أن تقرن الإصلاح بعدم الإفساد «والمفسد من كان الفساد طبيعته»[196]. وقد أصر الله سبحانه وتعالى على كلمة سبيل والسبيل هو الطريق المؤدي إلى الفساد، فسياق الآية المعجز يقتضي غلق كل ثغرات الفساد وبؤرة التوقف عنه كانت عن طريق الفعل أصلح، وهذه الكلمة «تستلزم أن يبقى الصالح على صلاحه فلا يفسده فقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف/142) قول موجه لنبي وهو هارون عليه السلام، لا يأتي منه الإفساد، ولكن موسى أعلمه أنه ستقوم فتنة بعد قليل، فكان موسى قد ألهم أنه سيحدث إفساد فقصارى ما يطلبه من أخيه هارون ألا يتبع سبيل المفسدين»[197].

ويقول الطاهر بن عاشور في شأن هذه الآية: «فلا جرم أن كان قوله تعالى ولا تتبع سبيل المفسدين، جامعا للنهي في ثلاث مراتب عن طريق الاقتضاء إلى الفساد وهو العمل

---

194 أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص 667.

195 الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 9، ص 88.

196 الطاهر بن عاشور:المصدر السابق، ج 9، ص 88.

197 محمد متولي الشعراوي:تفسير الشعراوي، م 7، ص 4340.

المعروف بالانتساب إلى المفسد، وعمل المفسد وإن لم يكن مما اعتاده، وتجنب الاقتراب من المفسد ومخالطته»[198].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف/150). أحداث كثيرة وقعت مع قوم موسى عليه السلام وهو في ميقات ربه بيّنها قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ جعلته يتحسر على قومه عبدة العجل والغضب والأسف إنما هو خوف وحزن ولوم على هؤلاء القوم الذين يمثلون جزءا منه، وعِبادة العجل جعلت موسى عليه السلام يتوجه بتأنيب أخيه، كيف لا وهو كلفه من بعده في تبليغ الرسالة، وبالتالي وجب عليه أن يُتم هذه العملية على أكمل وجه ما دامت أسندت إليه، فما كان جواب الأخ إلا بتقرير الاستعطاف والترجي الذي تولدت عنه صيغة النهي، وتمثلت في فعلين (لا تشمت ولا تجعلني)، والشماتة مأخوذة من أشمت وهي الفرح ببلية من تعاديه ويعاديك، يقال شمت به كفرح، وهي بذلك إظهار الفرح بمصيبة تقع في خصم»[199]. وقد وصفهم بالأعداء كدليل على انه «وقف منهم موقف العداوة وأن موقف الخلاف بين موسى وهارون يشعرهم»[200]. وردّ فعل هارون لأخيه بهذه الصيغة يتجه نحو سياق الالتماس وهو يقتضي حضور طرفي الاتصال لكن مع تساويهما في المنزلة[201]. وتزيد درجة الاستعطاف بين الأخ وأخيه عندما يردف بقوله تعالى على لسان هارون: ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف/150) وصيغة النهي تتجه إلى معنيين الأوّل التماس موسى عليه السلام جعله مع شخص ما، أما المعنى الثاني فهو يمتد إلى عدم التشريك مع هؤلاء القوم، وبالتالي تتحول بنية النهي (لا تجعلني) إلى تشبث هارون بأخيه ووقوفه جنبا إلى جنب معه ضد القوم الظالمين.

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (طه/94). يقول الفخر الرازي في شأن هذه الآية: «اعلم أن الطاعنين في عصمة الأنبياء عليهم السلام يتمسكون بهذه الآية من وجوه أحدهما أن

---

[198] الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 9، ص 88.
[199] عبد الحميد مصطفى السيد:الأفعال في القرآن الكريم، دار الحامد للنشر، الأردن، ط 1، 2007، ص 77.
[200] محمد متولي الشعراوي:تفسير الشعراوي، م 7، ص 5367.
[201] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية قراءة أخرى، ص 228.

موسى عليه السلام، إما أن يكون قد أمر هارون بإتباعه أو لم يأمره، فإن أمره به فإما أن يكون هارون قد اتبعه أو لم يتبعه، فإن اتبعه كانت ملامة موسى لهارون معصية، وأما لأن ملامة غير المجرم معصية، وإن لم يتبعه كان هارون تاركا للواجب، فكان فاعلا للمعصية، وأما إن قلنا إن موسى عليه السلام ما أمره بإتباعه كانت ملامته إياه بترك الإتباع معصية، فثبتت أن على جميع التقديرات يلزم إنشاء المعصية إما إلى موسى أو إلى هارون، وثانيهما قول هارون "يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي" (طه/94). وهذا معصية لأن هارون عليه السلام قد فعل ما قدر عليه من النصيحة والوعظ والزجر، فإن كان موسى عليه السلام قد بحث عن الواقعة، وبعد أن علم أن هارون قد فعل ما قدر عليه كان الأخذ برأسه ولحيته معصية، وإن فعل ذلك قبل تفرق الحال كان ذلك أيضا معصية، وإن لم يكن ذلك الأخذ جائزا كان موسى عليه السلام فاعلا للمعصية» [202]. وقد كان تعليقه على هؤلاء في قوله: «إن موسى عليه السلام أقبل وهو غضبان على قومه فأخذ برأس أخيه وجره إليه كما يفعل الإنسان بنفسه مثل ذلك عند الغضب، فإن الغضبان المتفكر قد يعض على شفتيه، ويقتل أصحابه ويقبض لحيته فأجرى موسى عليه السلام أخاه هارون مجرى نفسه لأنه كان أخاه وشريكه فصنع به ما يصنع الرجل بنفسه في حال الفكر والغضب، فأما قوله لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي فلا يمتنع أن يكون هارون عليه السلام خاف من أن يتوهم بنو إسرائيل من سوء ظنهم أنه منكر عليه غير معاون له»[203].

نتيجة لكل هذا ردّ هارون على أخيه موسى عن طريق صيغة النهي: لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي، فهذا التماس منه «وعلة ذلك أن هارون خشي أن يظن موسى أنه فرق بين بني إسرائيل، ولم يراع نصيحة موسى له بأن يصلح بين القوم، وهارون اجتهد وعمل على الحفاظ على القوم في إطار نصيحة موسى له فكان موسى سأل هارون ليسمع منه الإجابة ودفاعا عن نفسه» [204].

وقال تعالى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ (طه/42،41). تمثلت رعاية الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام في فعل اصطنعتك والاصطناع اتخاذ الصنعة هي افتعال من الصنع يقال اصطنع فلان فلانا أي اتخذه صنيعة»[205]. وهذا الفعل

---

202 الفخر الرازي: التفسير الكبير، ج 22، ص 108.
203 الفخر الرازي:التفسير الكبير ص 108.
204 محمد متولي الشعراوي: قصص الأنبياء والمرسلين، ص 416.
205 الفخر الرازي:التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي،دط،دت ج 22، ص 56.

يحمل كل معاني الاختيار والاصطفاء لذلك وجب على موسى عليه السلام تبليغ الرسالة على أكمل وجه وذلك عن طريق بنيتين هما الأمر في الفعل اذهب والنهي في فعل لا تنيا، قال الرازي: «واعلم أنه سبحانه وتعالى لما عدد عليه المنن الثمانية في مقابلة تلك الإلهامات الثمانية رتب على ذكر ذلك أمرا ونهيا، أما النهي فهو قوله تعالى: لا تنيا عن ذكري، والونى الفتور والتقصير»[206].

وصيغة النهي حقيقتها تتّجه صوب الاستعلاء، لأنّها متعلقة بوظيفة أساسية في التبليغ وهي الذكر، وهناك سياقات متعددة للذكر يذكرها الرازي بقوله: «أحدها اتخذ ذكري آلة لتحصيل المقاصد واعتقد أن أمرا من الأمور لا يتسنى لأحد إلا بذكري، والحكمة فيه أن من ذكر جلال الله تقوى روحه بذلك الذكر، فلا يضعف في المقصود ولأن ذاكرا لله لا بد وأن يكون ذكرا لإحسانه، وذاكرا إحسانه لا يفتر في أداء أوامره، وثانيها المراد بالذكر تبليغ الرسالة فإن الذكر يقع على كل العبادات، وتبليغ الرسالة من أعظمها، فكان جديرا بأن يطلق عليه اسم الذكر وثالثها قوله: ولا تنيا في ذكري عند فرعون وكيفية الذكر هو أن يذكرا لفرعون وقومه أن الله تعالى لا يرضى منهم الكفر ويذكرا لهم أمر الثواب والعقاب والترغيب والترهيب، ورابعها أن يذكرا لفرعون آلاء الله ونعمائه وأنواع إحسانه إليه ثم قال بعد ذلك ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (طه/43)» [207]. وللتأكيد على الذكر وعدم التواني فيه جاءت صيغة النهي نحو الاثنين لا تنيا، وقد تعدت هذه الصيغة من الاستعلاء إلى التكليف، وهذا التكليف يستدعي وجود الأخوين المرسلين جنبا إلى حنب من أجل تحقيق هذه المهمة.

وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص/7).

إنّ وحي الله تعالى إلى أم موسى جعل سياق الآية يأتي في صيغة الأمر أولا ثم تتلوه صيغة النهي متمثلة في الفعلين (لا تخافي لا تحزني)، وإن كان هذان الفعلين متعلقان بحالة نفسية لأم موسى وهي الخوف والحزن فلا بأس أن نذكر السياق التحويلي للنهي في هاذين الفعلين على أن نترك حالة الخوف والحزن في السياق النفسي إن شاء الله.

فصيغة النهي المكونة من الفعلين تخافي تحزني المقرون بلا الناهية تجاوزت مرحلة الاستعلاء إلى مرحلة سادها الأمن والطمأنينة وبالتالي فصيغة النهي متجهة صوب الإيناس

---

[206] المرجع نفسه، ج 22، ص 56-57.

[207] الفخر الرازي:التفسير الكبير، ج 22، ص 56-57.

وهي تلك القوة التي منحها الله تعالى والبشارة التي وعدها بها وهي عودة الصبي ويعلق الشيخ محمد متولي الشعراوي على هذه الآية بقوله: «إنها آية واحدة جمعت بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين في إيجاز موجز» [208]. والنهي عن الخوف وعن الحزن «جاء بسبب توقع المكروه والتفكير في وحشة الفراق» [209] إذ أن أم موسى عليه السلام تملكها الخوف فأراد الله سبحانه وتعالى أن يعوضها عن هذا الخوف وهذه الوحشة فطمأنها بعودة ابنها سالما معافى.

3. النداء

هو أحد الأساليب الإنشائية الطلبية التي تتعلق بالمخاطب. ويضم في بنيته اللغوية رفع الصوت والدعاء. جاء في مقاييس اللغة: "ومن الباب ندى الصوت يعد مذهبه وهو أندى صوتا منه أي أبعد ومنه قول الأصمعي:

فقُلْتُ أدْعي وأدْعُ فإنَّ أنْدى *** لصَوْتٍ يُنادي دَاعِيان" [210]

«والنَّداءُ والنُّداء الصوت مثل الدُّعاء والرُّغاء وقد ناداه ونادى به وناداه مُناداة ونِداء أَي صاح به النِّداءِ الدُّعاءِ بأَرفع الصوت وقد نادَيْته نِداء وفلان أَنْدى صوتاً من فلان أَي أَبْعَدُ مَذْهباً وأَرفع صوتاً» [211]، فالبنية المعجمية للنداء من خلال هذين التعريفين تقتضي وجود عنصرين هما الصوت والدعاء وهما متعلقان برسالة كلامية موجهة من مرسل إلى مرسل إليه قصد التنبيه.

أمّا اصطلاحا فهو «دعاء المخاطب ليصغي إليك أو طلب إقباله بعيدا بعدا حقيقيا أو مجازيا» [212]. والبعد هنا نسبي يختلف باختلاف الزمان والمكان ومنزلة الإنسان بالنسبة إلى أخيه الإنسان. وهذا المخاطب المدعو يدعى بأحرف مخصوصة منها ما هو دال على القرب ومنها ماهو دال على البعد وذلك لتنبيه السامع لأمر ما. والنداء بهذا التعريف أصله الإقبال ويكون بواسطة حرف نائب منابة (ادعو) ولا ينادي عادة إلا ما يصح أن يقبِل «فلا بد في الأصل من توافق دلالي معجمي تركيبي بن معنى الأداة وبين المنادى من حيث صحة

[208] محمد متولي الشعراوي:قصص الأنبياء والمرسلين، ص 318.

[209] الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج 20، ص 75.

[210] ابن فارس:مقاييس اللغة، تحقيق إبراهيم شمس الدين، م 8، ص 552.

[211] ابن منظور:لسان العرب، م 6، ص 165.

[212] ابن عصفور الإشبيلي: شرح جمل الزجاجي، تحقيق اميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1996، م 2، ص 177.

مناداته» [213]. والملاحظ أنّ بنية النّداء متولدة عن قرينة دالة بالحذف ونعني بذلك حرف النداء، فهذا الحرف «مولد من الفعل ادعوا سواء أكان الحرف ملفوظا على مستوى السطح مثل يا محمد أو مضمرا على مستوى العمق مثل قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ (يوسف/29)» [214]. والشيء الملفت للانتباه أن هناك اختلافات بين النداء والدعاء رغم التقائهما في موضع التصويت «فالنداء هو رفع الصوت بما له معنى والعربي يقول لصاحبه ناد معي ليكون ذلك أندى لصوتنا أي أبعد له، والدعاء يكون برفع الصوت وخفضه يقال دعوته من بعيد، ودعوت الله في نفسي، ولا يقال ناديت في نفسي، وأصل الدعاء طلب الفعل وهو من دعا يدعو وادّعى ادعاء لأنه يدعو إلى مذهب من غير دليل» [215].

وقد جمع النحاة القدامى أداة النداء مع المنادى واعتبروا أنّ النداء من قبيل جملة اختزل منها الفعل والفاعل أو عُوضا بحرف يفيد فائدتهما أو بنيت على لفظة لها معنى الفعل وبذلك فقد تلخصت بنية جمل النداء عند النحاة في ثلاثة آراء، أما الرأي الأول فقد اعتبر فيه صاحبه أن المنادى مفعول به منصوب بفعل مقدر فجملة (يا) (أدعو زيداً) تحول إلى يا زيد فحذف الفعل والفاعل.

أمّا الثاني فقد اعتبر فيه صاحبه حرف النداء عوضا عن فعل (أدعو) وسادٌ مسدّه وأما الثالث فقد اعتبر النداء اسم فعل. وذهب بعض المحدثين إلى أن النداء ليس جملة فعلية ولا جملة غير إسنادية وإنما هو مركب لفظي بمنزلة أسماء الأصوات يستخدم لإبلاغ المنادى حاجته أو لدعوته إلى إعانته أو نصرته أو نحو ذلك.

والنداء يتحول من بنيته النحوية إلى بنية بلاغية يحكمها سياق اللغة، ويعدّ النداء فيها من الجمل الأسلوبية غير الإسنادية لأنها عبارات انفعالية غير خبرية، ولأن النداء من الجمل التي تعتمد على الأداة ومعناها والفرق جلي بين قولنا: (يا زيد) و(أنادي زيداً) وفي ذلك يقول ابن جني: «ألا ترى لو تجسم إظهاره فقيل ادعوا زيداً وأنادي زيداً لاستحال أمر النداء فصار إلى لفظ الخبر المحتمل للصدق والكذب والنداء مما لا تصنع منه تصديقا ولا تكذيبا» [216].

ومما لا شك فيه أن النداء يحتاج إلى مرحلة ميتالغوية بين المتكلم والمخاطب، وهذا الأخير هو من يوجه له الإقبال والطلب وهو المنادى وعرفه بن الحاجب بقوله: «وهو

---

[213] ردة الله، دلالة السياق، جامعة أم القرى ،ط1 1423 ص 531.
[214] محمد عبد المطلب:البلاغة العربية قراءة أخرى ص 300
[215] أبو هلال العسكري:الفروق اللغوية،تحقيق محمد ابراهيم سليم،دار العلم والثقافة ،القاهرة،دط،دت ص 38.
[216] ابن جني: الخصائص، ج 1، ص 186.

المطلوب إقباله بحرف نائب مناب ادعوا لفظا وتقديراً» [217]. والمنادى هو البؤرة التي تقوم عليها عملية الاتصال وعملية تحويل بنية الأساس إلى حرف النداء في مستواه العميق.

والمنادى عند النحاة قسمان معرب ومبني. يقول ابن عصفور الاشبيلي: «والاسم المنادى لا يخلو من أن يكون معربا أو مبنيا فإن كان مبنيا فحكمه بعد النداء كحكمه قبله نحو يا هذا يا هؤلاء، وإن كان معربا فلا يخلو من أن يكون مفردا أو مضافا أو شبيها بالمضاف» [218]. وما يهمنا من الاسم المنادى هو تلك الاستجابة والإقبال حتى يتحقق الإخبار والتواصل وهو يأخذ في مناداته سياقات متعددة أهمها الإغراء والاختصاص والتعجب والندبة والاستغاثة.

- **أحرف النداء**

حدد النحاة أحرف النداء حسب درجة القرب والبعد وأهم هذه الحروف: الهمزة و يا وأيا وهيا وأي ووا.

وأهم هذه الحروف حرف الياء، وفي ذلك يقول ابن عصفور «وأم هذا الباب (يا) والدليل على ذلك أنها تستعمل في جميع ضروب النداء، وما عداها لا يستعمل إلا في النداء الخالص الذي لا يدخله معنى التعجب ولا الندبة ولا الاستغاثة إلا (وا) فإنها لا تستعمل إلا في الندبة» [219]. وهذه الأحرف في حقيقتها أصوات يهتف بها الرجل عند إرادة تنبيه المنادى فيمتد الصوت ويرتفع [220].

وتنقسم أحرف النداء باعتبار القريب والبعيد إلى مجموعتين:

-المجموعة الأولى: تضم الهمزة وأي لنداء القريب، ومن مواضع الهمزة أن تكون تنبيها وأوضح ابن يعيش ذلك بقوله: «ليس فيها ما يعين على مد الصوت ولأن الهمزة تفيد تنبيه المدعو ولم يرد فيها امتداد الصوت لقرب المدعو» [221].

أمّا بالنسبة "لأي" فقد اختلف فيها، فقيل هي للبعيد حقيقة أو حكما وهو المنزل منزلة البعيد»[222]. وهذا ما ذهب إليه سيبويه، وقيل إنها للقريب حقيقة وحكما وهو المنزل منزلة المصغي إليك» [223]. وهو ما ذهب إليه المبرد والزمخشري.

---

217 ابن الحاجب، الكافية في نحو، تح رضي الدين الاسترابادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1995، ج 1، ص 131.
218 ابن عصفور الاشبيلي: شرح جمل الزجاجي، تح إميل يعقوب م 2، ص 177.
219 المصدر نفسه، م 2، ص 177.
220 الزمخشري: الكشاف، تح عادل أحمد،مكتبة العبيكان الرياض ط 1 1998ج 1، ص 224.
221 ابن يعيش:شرح المفصل، ج 2، ص 15.
222 ينظر، سيبويه:الكتاب، ج 2، ص 229.

والسياق بالنسبة إلى هذه الأداة متعدد حسب طبيعة المنادى فعندما يقول الشاعر:

"أَلَمْ تسْمَعِي أيَّ عبْد في رَوْنَق الضُّحى *** بكاءَ حَماماتٍ لهُنَّ هَدِيرُ "

فهي في هذا السياق مستعملة لنداء البعيد والذي يدل على ذلك فعل تسمعي الذي يدل على أن المنادى بعيد المنزلة.

ويبين بعض الباحثين أنها نداء للقريب لأنها: «لا تصلح أن تكون لنداء البعيد وإنما تصلح أن تكون أداة لنداء القريب وذلك لأن السكون في الياء لا يعين على مد الصوت ورفعه بها»(224). فسياق القريب صوتي لا غير.

–المجموعة الثانية وتضم: (يا، أيا، هيا، آ، وا) لنداء البعيد وأشهر أحرف النداء وأكثرها استعمالا: "يا" وتعد كما سلف الذكر أم الباب لكثرة الاستعمال، ويقول عنها سيبويه: "أما يا فتنبيه ألا تراها في النداء، وفي الأمر كأنك تنبه المأمور» (225). وينادى بها للبعيد، وقد ينادى بها القريب توكيداً أو مبالغة في النداء أو تنزيلا له منزلة البعيد(226).

وتنقسم (يا) باعتبار استعمالها إلى قسمين:

الأول: أن تكون تنبيها ونداء أي تنبيها للمنادى أو المدعو أو المطلوب إقباله ونداء أو دعاء أو طلبا للمنادى أو المدعو أو المطلوب إقباله وذلك إذا ذكر المنادى» (227).

والثاني أن تكون قد خلصت وتعينت لمجرد التنبيه مثل ألا فلا تعد نداء وذلك إذا جيء بها ولا منادى معها»(228).

ونخلص لإفادة (يا) التنبيه إذا وليها واحد من الأمور الآتية وهي: الأمر والدعاء ودخول ليت، رب، حبذا. فالياء في هذه السياقات مجردة من المنادى المطلوب ومقتصرة على التنبيه لا غير.

أما (أيا) "فمعناها التنبيه، وينادى بها وتستخدم لنداء البعيد والقريب المنزل منزلته أو المبالغُ في تنبيهه وندائه أو المؤكد نداءه» (229). ولكونها للبعيد كانت على ثلاثة أحرف آخرها ألف مد تحتمل المد ما شئنا لأن مد الصوت بها يتمكن»(230). أما (هيا) فمعناها التنبيه واختلف

---

223 ينظر، المبرد: المقتضب، ج 4، ص 133. و الزمخشري، المفصل، ص 309.

224 معن توفيق:النداء في القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2008، ص 19.

225 سبويه: الكتاب، ج 4، ص 224.

226 فتح الله صالح المصري:الأدوات المفيدة للتنبيه في كلام العرب، دار الوفاء، المنصورة، ط 1، 1987، ص 38.

227 المرجع نفسه، ص 37.

228 المرجع نفسه ،ص 39.

229 فتح الله صالح المصري: المرجع السابق، ص 55.

230 المرجع نفسه، ص 55.

النحويون في هائها: فقيل هي بدل من همزة أيا أبدلت الهمزة ها للمقارنة، وقيل هي أصل لا يدل، قال ابن يعيش: "أيا وهيا أختان لأنهما لبعيد، ولكل ما أريد مد الصوت به» [231].

أما (يا أيها) فيقول في شأنها سيبويه: «هذا باب لا يكون الوصف مفرد فيه إلا رفعا ولا يقع في موقعه غير المفرد وذلك قولك: يا أيها الرجل، يا أيها الرجلان، ويا أيتها المرأتان فأي هنا كقولك (يا هذا) والرجل وصف له كما يكون وصفا لهذا وإنما صار وصفه لا يكون فيه إلا الرفع، وأنك لا تستطيع أن تقول يا أي، ولا يا أيها وتسكت لأنه مبهم يلزمه التفسير فصار هو والرجل بمنزلة اسم واحد كأنك قلت يا رجل»[232]. فالمنادى المعرف بأل مقترن بحرف النداء، والفاصل بينهما هو (ها) التنبيهية "وينبه بها على ما يساق من الكلام التالي لها وهو قد يكون جملة، وقد يكون مفردا كالضمائر وأسماء الإشارة» [233]. و(ها) التنبيهية لا محل لها من الإعراب، كالجمل المبتدآت والمفردات المعدودة والتنبيه يقع قبل كل ما نبّهت عليه»[234]. وتقع في مواقع عدة منها دخولها على نعت أي في النداء كقوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (الفجر/27).

و(أي) و(أية) مبنيان على الضم لكون كل منهما منادى مفردا، و(ها) التنبيهية فيه زائدة لازمة للفظ كل منهما [235].

وسبب اتصال (ها) بأي يأتي على وجهين أحدهما: أنها عوض عن المضاف إليه لأن حق (أي) أن تكون مضافة، والثاني أنها ذكرت للفرق بين الاستفهام والنداء إذا قلت أيها الفتى لو حذفت حرف التنبيه فقلت أي الفتى لأوهم أنك مستفهم فتعين حرف التنبيه لهذا المعنى» [236].

وخلاصة القول إن النداء من الجمل الإنشائية التي تتطلب نوعا من الحالة الشعورية القائمة على الطلب والتبليغ بين المتكلم والمخاطب والهدف من هذا التبليغ هو الوصل والكشف عن الوظيفة الانتباهية للمخاطب وقد تتحقق سياقات شتى للفت انتباه السامع وموقعه ومنزلته التي تحدد نمط النداء، وهذا ما سنحدد ملامحه عند تحليلنا لآيات النداء في قصة موسى عليه السلام. فقد قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ

---

231 المرجع نفسه، ص 55.

232 سبويه، الكتاب، ج 2، ص 188.

233 فتح الله صالح:الأدوات المفيدة، ص 132.

234 المبرد: المقتضب، ص 322.

235 فتح الله صالح المصري: الأدوات المفيدة للتنبيه في كلام العرب، ص 159.

236 فتح الله صالح المصري : المرجع السابق، ص 159.

إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ (القصص/16،17). فقد جعل الخوف موسى عليه السلام يتضرع لله سبحانه وتعالى ليغفر له خطيئته، وكان ذلك تكرارا لأسلوب النداء "رب" وقيل ورود النداء كانت لحظة اعتراف بالخطأ والذنب عندما قال الله سبحانه وتعالى على لسانه: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾(القصص/15). وهذا دليل على أن الأصل في النفس الإنسانية هو الخير وأنه الفطرة، وأن الانحراف عنها يحتاج إلى سبب غير فطري، وهو تحليل نزغ الشيطان في النفس»[237].

وقد ورد هذا الأسلوب بحذف حرف النداء وهو حذف بليغ دال على شدة قرب موسى عليه السلام من ربه، إنه يريد أن يبين له بالتضرع أن هناك مبالغة في قتل القبطي، والظلم هنا يمثل أعلى مراتب الخطيئة والذنب في القتل. وحذف حرف النداء والاتجاه إلى المنادى مباشرة دون واسطة دلالة على الإقبال يقول ابن عصفور: « يجوز حذف حرف النداء من المنادى المفرد العلم لدلالة الإقبال عليه»[238].

ولمّا غفر الله تعالى لموسى وقبل توبته عاهد موسى ربه ألا يكون ظهيراً للمجرمين. وتكرر أسلوب النداء بعد القول "قال رب" فموسى عليه السلام يعترف بنعم الله عليه ولذلك يريد أن يتقرب إليه أكثر، وهذه المرة وعد بالجزم على أن لا يكون معينا للمجرمين. ويعلق الطاهر بن عاشور على هذه الآية بقوله: "إعادة قال أفاد تأكيدا لفعل قال "رَبِّ إِنِّي ظلمْتُ نَفْسِي" أعيد القول للتنبيه على اتصال كلام موسى حيث وقع الفصل بينه بجملتي ﴿فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (القصص/16)، ونظم الكلام: قال ربي إني ظلمت نفسي فاغفر لي رب بما أنعمت فلن أكون ظهيراً للمجرمين، وليس قوله قال رب بما أنعمت علي مستأنفا عن قوله: فغفر له لأن موسى لم يعلم أن الله غفر له إذا لم يكن يوحي إليه يومئذ»[239]. وأراد بالمجرمين من يتوسم منهم الإجرام، وأراد بهم الذين يستذلون الناس ويظلمونهم لأن القبطي أذل الإسرائيلي بغضبه على تحميله الحطب دون رضاه[240]. والغرض من هذا النداء هنا هو التقرب إلى الله والخضوع له مباشرة دون حرف النداء.

---

[237] الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 20، ص 90.
[238] ابن عصفور:شرح جمل الزجاجي، تح اميل بديع يعقوب، م 2، ص 178.
[239] الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 20، ص 92.
[240] المرجع نفسه، الجزء 20، ص 92.

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص/19..21).

الملاحظ في بنية هذه الآيات أن أسلوب النداء ورد بعد أحداث متوالية: خوف وذعر واستنجاد الإسرائيلي بموسى ووشي القبطي به، وأول نداء في سياق الآيات قوله تعالى: (يا موسى) الذي يحمل في بنيته السطحية معنى التنبيه وقد ورد مرفوقا بحرف النداء الدال على مناداة القريب وقد تلا هذا النداء أسلوب الاستفهام الدال على التعجب والاستنكار "أتريد أن تقتلني" فنداء موسى عليه السلام في هذا السياق يمثل حسب قول القبطي ذلك المبطش القوي الجبار الذي يريد الانتقام مع أنه ليس كذلك.

إن موسى عليه السلام وهو في هذا الموقف ينتظر أحداثا أخرى ينتظر ساعة الفرج ينتظر نداء آخر فكانت أول بوادر النداء رجل ينقذه من الهلاك وأكد "أكثر المفسرين على أن هذا الرجل مؤمن آل فرعون»[241]. وسياق القول (يا موسى) هو التحذير والدليل على ذلك لفظة (يأتمرون) التي تمثل خطوة التنبيه والحذر وموضع النجدة «والائتمار التشاور يقال الرجلان يأتمران لأن كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء أو يشير إليه بأمر»[242] والملأ الجماعة أولو الشأن والمعنى« أن أولي الأمر يأتمرون بك أن يتشاورون في قتلك»[243]. وخروج موسى عليه السلام من هذا الموقف الخطير جعله يتقرب من الله في مناجاته في أسلوب النداء البليغ: (رب نجني) فموسى عليه السلام التجأ إلى أعلى مرتبة في النداء في قوله رب الذي يحمل سياق التقرب إلى الله والتخلص من الظالمين. ونستطيع أن نبين أن هذه الآيات قد مرت بثلاث مراحل وأن المنادى العلم قد مر بثلاثة سياقات فقد كانت المرحلة الأولى تمثل الوعي والانتقام الذي نتج عنه خوف موسى عليه السلام أما المرحلة الثانية فقد تجلت فيها لحظة النجدة والإنقاذ التي نتج عنها هروب موسى وكانت هذه المرحلة امتدادا للمرحلة الأخيرة التي تمت فيها مناجاة الله سبحانه وتعالى والتضرع إليه وقوله "رب" دعاء

[241] الفخر الرازي:التفسير الكبير، ج 24، ص 237.
[242] الفخر الرازي المصدر السابق ، الجزء 24، ص 237.
[243] الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج 20، ص 95.

بما يناسب الإجابة لأنه كان يستطيع أن يقول يا الله، لكن كلمة الله تعني المعبود الذي له أوامر لكن الرب هو متولي التربية، ولذلك جاء بالصيغة التي تناسب الموقف[244].

وقال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص/26). إنّ قوة العناية الإلهية جعلت من موسى عليه السلام ذلك الأمين القوي القادر على النصيحة فثمة مواقف صعبة اتخذها موسى عليه السلام لحفظ كرامة المرأة فرغم ضرورة خروج الفتاتين للسقي فإن نبي الله ساعدهما على نيل مبتغاهما دون مزاحمة الرجال وهو مبدأ أساسي يسعيان إليه، قال بعض العلماء: « أن موسى عليه السلام حينما وجد الناس يسقون ووجد المرأتين تذودان لم يذهب ويجتبئ على الرعاة ويزاحمهم، ولكنه تركهم وشأنهم، وتلفت حوله فوجد بعض الخضرة والحشائش فعرف أنها لا تنمو إلا في وجود الماء، فبحث عنها فاهتدى إلى وجود بئر أخرى في هذا المكان، ولكنها كانت مردومة بحجر فأخذ يزحزح هذا الحجر من فوق البئر حتى كشف عن الماء وسقى للبنتين، وكان هذا الحجر كبيراً لا يقوى على حمله عدد من الرجال، فعرفت البنت أنه قوي، وحينما سارت أمامه لتدله على بيت أبيها وهبت الريح طلب إليها أن تمشي خلفه فعرفت أنه أمين، فلذلك قالت لأبيها "إن خير من استأجرت القوي الأمين»[245]. فهذه المواقف كلها جعلت الفتاة تستعطف أباها عن طريق نوع من الإنشاء الطلبي وهو النداء (يا أبت) وهو نداء يتجه صوب الاستعطاف "والتاء في أبت عوض عن ياء المتكلم» [246]، وهي تمثل كل جوانب الرقة واللطف وأدب المحادثة لفتاة أصابت الاختيار فيمن تراه أهلا للقوة والأمانة.

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (الأعراف/144). نلاحظ نداء يختلف عن أساليب النداء الأخرى المتوجهة إلى العموم، أو إلى ذكر علم أو غيره، وهذا النداء قد تجاوز مرحلة مناداة البشر ولفت انتباههم إنه النداء الإلهي المتفرد المخصوص لأنبيائه. ولنبيه موسى خصوصية الاختيار لأن لحظة حمل الرسالة قد أتت وقد ورد بعد القول مرفوقاً بحرف النداء "يا موسى" فسياق النداء الاختصاص، والذي يبينه هو فعل الاصطفاء، وكأن موسى هنا في محطة تركيز تهفو له النفوس، كيف لا وهو الذي يتولى تبليغ الرسالة والاصطفاء اختيار صفوة

---

[244] محمد متولي الشعراوي: قصص الأنبياء والمرسلين، ص 325.

[245] محمد متولي الشعراوي:المصدر السابق ص 326.

[246] الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج 20، ص 105.

الشيء، وصفوه أي خالصه الذي لا شائبة فيه ومنه الصفي من الغنيمة وهو ما صطفيه الإمام أو القائد الأكبر منها ويختاره لنفسه»[247]. والاصطفاء هنا جاء لموسى بالرسالة كما اصطفى غيره من الرسل بالإضافة إلى شرف الكلام»[248]. وقد نتج عن هذا النداء الإلهي تفضيله على الناس وتذكيره بالشكر والامتنان.

وقال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (طه/9..12). لقد كانت بوادر الوحي واضحة جلية عندما عزم موسى عليه السلام على الرحيل فإذا به يرى ناراً، قال ابن العباس: « فلما توجه نحو النار فإذا النار في شجرة عنّاب فوقف متعجبا من حسن ذلك الضوء وشدة خضرة تلك الشجرة فلا شدة حر النار تعيد حسن خضرة الشجرة ولا كثرة ماء الشجرة ولا نعمة الخضرة تغيران من ضوء النار»[249]. ورؤية موسى عليه السلام كانت ثمرتها نداء ربانيا تجلت بنيته في فعل النداء وحرف النداء والمنادى العلم. وفعل (نودي) مبني للمجهول "زيادة في التشويق على استطلاع القصة" [250]. يقول الشعراوي معلقا على هذه الآية: "وهذا معناه أن الذي يناديه يعرفه جيدا وما دام يعرفه جيدا فلعله اطمأن حينما سمع من يناديه باسمه مع أنه أخذ يبحث عن مصدر النداء فلم يعرف»[251].

أمّا النداء في قوله: (يا موسى) فقد أفاد البعد في حقيقته لكن سياقه اتجه إلى التمهيد للأمر الذي استدعى نداءه وفي ذلك تعظيم للمخاطب وإعلاء لشأنه، ويعلق د. معن توفيق على هذه الآية بقوله: "ففي سورة طه جاء الفعل المبني للمجهول نودي سابقا للنداء إشارة إلى أزلية هذا النداء، فقد بني الفعل للمجهول لبلاغة السياق هي التشويق والتعظيم إعلاما لأهمية الأمر بعده وأعقبه النداء بالأداة يا تعظيما للمخاطب»[252]. فالنداء هنا جاء صريحا لموسى عليه السلام، وهو بهذا الأمر المهيب يهيئه لما سيتلقى من الوحي.

وقال تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ (النّمل/10). إن لعصا موسى شأن عظيم، ولها

---

247 محمد رشيد رضا:تفسير المنار، دار الكتب العلمية، بيروت، م 9، ص 109.
248 محمد متولي الشعراوي:تفسير الشعراوي، م7، ص 4348.
249 القرطبي:الجامع لأحكام القرآن، تح عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب اللبناني، د ط، د ت، ج 1، ص 156.
250 الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 16، ص 195.
251 محمد متولي الشعراوي: قصص الأنبياء والمرسلين، ص 330.
252 معن توفيق:النداء في القرآن الكريم، ص 167.

تحولات سحرية معجزة، وهذه التحولات جعلت موسى عليه السلام يندهش لما رأى، وتعتريه بذلك لحظة من الخوف الشديد لكن سرعان ما وجد الإيناس والأمن إذ أنّ الله سبحانه وتعالى يحجب عنه الخوف، ويتبين ذلك من خلال النداء الإلهي الذي دل عليه سياق الفعل "التولي" وهو الرجوع عن السير في طريقه، وفعل تولى مرادف فعل ولَّى كما هو ظاهر، وإن كان مقتضى ما في فعل تولى من زيادة المبنى أن تفيد تولي زيادة في معنى الفعل[253]. والإدبار «التوجه إلى جهة الخلف وهو ملازم للتولي»[254]. ونداء موسى عليه السلام مصحوب بالنهي عن الخوف، معنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى كرمه وشرفه، وحصل ذلك بواسطة النداء بحرف الياء التي تدل على البعيد "رفعه للمنادى لأنه صاحب رسالة فهو تأمين الله تعالى إياه»[255]. والملاحظ في هذه الآيات تضافر أسلوب النداء مع النهي، وقد أدى ذلك إلى طمأنة موسى عليه السلام وزيادته أمنا.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الأعراف/104،105). لقد اتّصف فرعون بالجبروت والطغيان الأمر الذي جعله يرتكب أبشع الجرائم في بني إسرائيل من قتل الأنبياء واستحياء النساء واستخدامهم في الأعمال الشاقة وغيرها من قهر وذل وهوان من أجل ذلك خاطب موسى فرعون داعيا إياه بأسلوب يمتزج فيه الطلب بالخبر، فأما الطلب فكان أسلوب النداء (يا فرعون) وهذه المرة جاء النداء بواسطة حرف النداء يا الذي يدل على القرب، ذلك لأن موسى عليه السلام بصدد إبلاغ فرعون أن هناك ربا للعباد يجب طاعته وعبادته، فكان سياق هذا الأسلوب يتجه نحو اللين حتى يبلغ الحجة "فإن كان المنادى قريبا من المنادي أفادت بعد المنادى عن سنن الحياة وتجاوز في الطغيان والاستبداد وإن كان ظاهر هذا الخطاب إكراما لأنه ناداه بالاسم الدال على الملك والسلطان بحسب متعارف أمته فنداؤه باسمه (فرعون) وهو اسم كل ملك لمصر في ذلك الزمان نداء بأعظم أسمائه وأحبها إليه»[256]. ونتيجة هذا الطلب ومحوره كانت تقريرا للعبودية "إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (الأعراف/104) لأن قوم فرعون كانوا يعتقدون

---

253 الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 18، ص 228.
254 المصدر نفسه ، ج 18، 228.
255 معن توفيق:النداء في القرآن الكريم، ص 170.
256 المرجع نفسه، ص 198.

أن للشرق إلها وللغرب إلها[257]. ويعلق الدكتور أمير عبد العزيز على هذه الآية بقوله: «ذلك إخبار صريح وظاهر من نبي الله موسى لفرعون بأنه مرسل إليه من رب العالمين، لقد صدع له موسى بهذا الإخبار المجلجل من غير لين أو تمهل أو مصانعة أو مداهنة ليكون ذلك بداية وعنوانا لحديثه معه وفي ذلك من الجهر الصادع بالحق والجرأة الناقدة الفذة أمام هذا الطاغوت المتجبر ما يكشف عن عظمة هذا النبي الكريم بتيقنه البالغ وثقته الكاملة بربه الذي كتب الغلبة لرسله وللمؤمنين المستضعفين»[258].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (القصص/38). إنّ جبروت فرعون وطغيانه جعلاه ينفي علمه بإله غيره ولم يثق بوجود إله «وكان فرعون بعد أن سمع كلام موسى أراد أن يبين لقومه أن هذا الكلام لم يؤثر فيه وخشي أن يكون كلام موسى وهارون قد أثر في عقول قومه فأراد أن يلبس على هذه العقول مرة أخرى فقال إن هذا الكلام غير صحيح وأنه ما زال إلها»[259] لذلك فقد كان الخطاب موجها للملأ منبها إياهم بواسطة الأداتين (يا) والمنادى المعرف بأل. وسياق هذا النداء تخصيص الملأ "والملأ هم الأشراف من الناس وهو اسم الجماعة كالقوم والرهط والجيش وأصلها من الملأ وهم الذين يملؤون العيون هيبة ورواد، وقيل هم الذين يملؤون المكان إن حضروا»[260]. فالملأ هنا هم جماعة فرعون وأسياد قومه وهم بذلك يتصفون بالسيادة ولأهميتهم القصوى أراد أن يثبت لهم أنه لا إله غيره فهو المتحكم في زمام الأمور، لذلك أمر وزيره هامان أن يبني له صرحا عاليا ليصعد عليه حتى ينظر إلى الإله الذي يدعيه موسى مستعملا أداة النداء للقريب (يا هامان) وقد كان سياق النداء محيطا بأسلوب الأمر الذي ينبئ عن الأمر المستعجل حتى يتمكن من إقناع الناس بألوهيته المدعية. وسنرى شخصية فرعون في السياق النفسي إن شاء الله.

---

[257] محمد متولي الشعراوي:تفسير الشعراوي، م 7، ص 4275.
[258] أمير عبد العزيز:التفسير الشامل للقرآن، دار السلام، القاهرة، ط 1، 2000، م 3، ص 1304.
[259] محمد متولي الشعراوي: قصص الأنبياء والمرسلين، ص 378.
[260] معن توفيق: النداء في القرآن الكريم، ص 214.

4. التكرار

التكرار من الأساليب البلاغية التي تعين على زيادة المعنى. وله مصطلحات كثيرة منها التكرار والترداد والمتشابه، وهو فن قولي من الأساليب المعروفة عند العرب، بل هو من محاسن الفصاحة. يقول الجاحظ مبينا الفائدة منه: "إن الناس لو استغنوا عن التكرير أو التكرار وكفوا مؤونة البحث والتنفير لقلت أعباؤهم»[261].

1.4. مفهوم التكرار

أ- لغة: يجمع اللغويون أن (الكر) بمعنى الرجوع. جاء في لسان العرب مادة "كرر": "الكَرُّ الرجوع يقال كَرَّه وكَرَّ بنفسه يتعدّى ولا يتعدّى والكَرُّ مصدر كَرَّ عليه يَكُرُّ كرًّا وكُروراً وتَكْراراً عطف وكَرَّ عنه رجع وكَرّ على العدوّ يَكُرُّ ورجل كَرَّار ومِكَرّ وكذلك الفرس وكَرَّرَ الشيء وكَرْكَره أَعاده مرة بعد أُخرى والكَرّةُ المَرَّةُ والجمع الكَرَّات ويقال كَرَّرْتُ عليه الحديث وكَرْكَرْتُه إِذا ردّدته عليه وكَركَرْتُه عن كذا كَرْكَرَةً إِذا رَدَدْته والكَرُّ الرجوع على الشيء ومنه التَّكْرارُ»[262]. والمصدر منه (كرر): "إذا ردد وأعاد وهو تفعال بفتح التاء، وليس بقياس بخلاف التفعيل، وقال الكوفيون هو مصدر فعَّل، والألف عوض عن الياء في التفعيل"[263].

وعادة العرب في خطاباتها: «إذا أبهمت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه أو قصدت الدعاء عليه كررته توكيدا وكأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه أو الاجتهاد، وفي الدعاء عليه حيث يقصد الدعاء»[264].

ولا يختلف مفهوم التكرار من الناحية اللغوية عن الاصطلاحية، فالتكرار عن النحويين هو تكرار اللفظ إما بنصه وعينه أو بمرادف وهو ما يقال عنه إنه التوكيد اللفظي "التابع" وهو الضم الأول من قسمي التوكيد التابع[265].

وقد يستثقل تكرار اللفظ فيعدل عنه إلى معناه كما قال تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ (الطارق/17) « فإنه لما أعيد اللفظ غير مهل إلى أمهل، فلما أريد تكرار مرة ثالثة عدل عن حروف الفعل أصلا إلى ما هو بمعناه فقال رويدا»[266].

---

261 الجاحظ:رسائل الجاحظ، ص 183.
262 ابن منظور:لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3، 2001، م 13، ص 46.
263 الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تع مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1988، ج 3، ص 12.
264 المرجع نفسه، ج 3، ص 12.
265 محمد حسين عبد الفتوح:أسلوب التوكيد في القرآن، مكتبة لبنان، ط 1، 1995، ص 21.
266 محمد حسين عبد الفتوح : المرجع السابق ، ص 21 .

أما التكرار عند علماء البلاغة فهو: «دلالة اللفظ على المعنى مرددا كقولك لمن تستدعيه أسرع أسرع، فإن المعنى مرددا واللفظ واحد»[267]. يقول ابن معصوم: «التكرار وقد يقال التكرير فالأول اسم والثاني مصدر من كررت الشيء إذا أعدته مراراً وهو عبارة عن تكرير كلمة فأكثر بالمعنى واللفظ لكنتة إما للتوكيد أو الزيادة أو التنبيه أو للتهويل أو التعظيم أو التلذذ بذكر المكرر»[268]. ويعرف صفي الدين الحلي التكرار بقوله: «هو أن يكرر المتكلم الكلمة أو الكلمتين بلفظها ومعناها لتأكيد الوصف أو المدح أو غيره من الأغراض»[269]. ولعل نقطة الاختلاف بين النحويين والبلاغيين في تعريف التكرار هو كونه عند البلاغيين ظاهرة أسلوبية عدولية يتجاوز اللفظ من حيث الإعادة إلى جوانب معنوية وأغراض بلاغية كالتوكيد والتقرير وغيرهما والتي سنحاول الكشف عنها عند تطبيق آليات التكرار في القصة.

وموضوع التكرار في القرآن الكريم موضوع لا محالة شائك في طرقه نظراً لاختلاف آراء العلماء حول وجوده في القرآن، ففريق يرى في التكرار ظاهرة ملحة يرتكز عليها القرآن في بنيته لا سيما "أن من وظائفه البلاغة والتأكيد على المعنى المقصود من الألفاظ المكررة»[270]. وفي المقابل نفى فريق آخر وجود التكرارفي القرآن بإدعاء "عدم الفائدة من تكرار اللفظ نفسه في السياق نفسه للمعنى نفسه فحتى لو كانت الألفاظ مكررة فإنها تدل بنظرهم على معانٍ مختلفة»[271]. واستدل بعضهم بسورة الرحمن وفي هذا الشأن يقول أبو علي الجبائي ﴿فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (الرحمن/13) فليس بتكرار لأنه ذكر نعما بعد نعم وعقب كل نعمة من ذلك بهذا القول فكأنه قال فبأي آلاء ربكما التي ذكرتها تكذبان ثم أجرى الخطاب على هذا الحد في نعمة وعَنى بكل قول غير ما عناه بالقول الأول، وإن كان اللفظ متماثلا وهذا كقول القائل لمن ينهاه عن قتل المسلم وظلمه ويزجره عن ذلك (أتقتل زيدا وأنت تعرف فضله أتقتل عمرا وأنت تعرف صلاحه)، ويكرر ذلك فيكون حُسناً ولا يعد تكراراً، ولو أن أحدنا عظُمت نعمه على ولده ورآه أحد في طريق العقوق لحسن أن يقبل عليه فتقول

[267] محمد السيد شيخون، أسرار التكرار في لغة القرآن، مكتبة الكليات الأزهرية، ط 1، 1983، ص 9.
[268] صفي الدين الحلي، شرح الكافية، تح نسيب الشاوي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ص 198.
[269] المرجع نفسه، ص 134.
[270] الفراء، معاني القرآن، ج1، ص 287.
[271] ظاهرة التكرار في القرآن الكريم، موقع البرهان في الأعداد والأرقام.www.al.l3jaz.com

أتعصيني في كذا وقد أنعمت عليك أتغضبني في كذا وقد أنعمت عليك، فيكون تكرار ذلك أبلغ في المراد حتى لو حذفه لنقص الغرض ولم يكن بمنزلته»[272].

وبالرغم من اختلاف الباحثين حول مشروعية التكرار من عدمه يبقى الغرض من الدراسة كشف مزاياه ووظائفه الأسلوبية في التعبير القرآني وخاصة في القصص القرآني وهو موطن الدراسة. يقول د. بكري الشيخ أمين: «ونعني بالتكرار أن ترد القصة الواحدة مكررة في مواضع شتى، ولكن هذا التكرار لا يتناول القصة كلها غالبا، إنما هو تكرار لبعض حلقاتها ومعظمه إشارات سريعة لموضع العبرة فيها، أما جسم القصة فلا يكرر إلا نادراً ولمناسبات خاصة في السياق»[273].

وللتكرار في قصص القرآن أسرار ولطائف كثيرة منها:

1- أن الله تعالى لما تحدى العرب بالإتيان بمثل القرآن ربما توهم متوهم أن الإتيان بمثله مستحيل من جهة الله تعالى فكرر القصص ليعلم أنه غير مستحيل من جهته، وإنما الاستحالة متعلقة بالخلق دونه[274].

2- إنّ الرجل كان يسمع القصة من القرآن ثم يعود إلى أهله ثم يهاجر بعده آخرون يحكون ما نزل بعد صدور من تقدمهم، فلولا تكرار القصص لوقعت قصة موسى عليه السلام إلى قوم، وقصة عيسى إلى قوم آخرين، وكذا سائر القصص، فأراد الله سبحانه وتعالى إشراك الجميع فيها فيكون إفادة لقوم وزيادة تأكيد وتذكرة لآخرين وهم الحاضرون[275].

3- أنّ القصة لما تكررت كان في ألفاظها في كل موضع زيادة ونقص وتقديم وتأخير وأتت على أسلوب غير أسلوب الأخرى، فأفاد ذلك ظهور الأمر العجيب في إخراج المعنى الواحد في صور متباينة في النظم وجذب النفوس إلى سماعها لما جبلت عليه من حيث التنقل في الأشياء المتجددة واستلذاذها بها، وإظهار خاصة القرآن، حيث لم يحصل مع تكرار ذلك فيه استهجان في اللفظ ولا ملل عند سماعه شأن ما قد نجده في كلام المخلوقين[276].

---

272 حسين نصار:التكرار، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 2003، ص 6-7.

273 بكري الشيخ أمين:التعبير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط 4، 1980، ص 219.

274 محمد السيد شيخون: أسرار التكرار في لغة القرآن، ص 75.

275 محمد السيد شيخون : المرجع السابق ،ص 76.

276 المرجع نفسه ص 76.

ويُعَد ابن قتيبة من الذين أشاروا إلى بيان قيمة تكرار القصص في القرآن حيث يقول: "إن القرآن نزل منجماً في ثلاث وعشرين سنة مراعاة للأحداث وتخفيفا عن المسلمين، وكانت وفود العرب تأتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعلن إسلامها فيقرئهم المسلمون شيئا من القرآن فيكون ذلك كافيا لهم. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة، فلو لم تكن القصص مكررة لوقعت قصة موسى إلى قوم وقصة عيسى إلى قوم وقصة نوح إلى قوم وقصة لوط إلى قوم فأراد الله بلطفه أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض، ويلقيها في كل سمع ويثبتها في كل قلب، ويزيد الحاضرين في الإفهام والتحذير، وكررت القصص دون الفروض لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرسل كتبه إلى كل قوم بما فرضه الله عليهم من صلاة أو صوم أو زكاة أو حج، أما القصص فلم تكن ترسل إلى كل قوم"(277). ويُفهم من هذا القول أن تكرار القصص القرآني جاء منسقا مع السياق الحالي ففيه مراعاة لحال المخاطبين لأنهم لا يستطيعون أن يتلقوا النص كله دفعة واحدة فيعوه، ويعملوا بمقتضاه وهم متفاوتون في قدرتهم على ذلك ففي التكرار ضمان لوصول المضمون إلى جميع المتلقين وهذا ناتج عن رحمة الله ولطفه بعباده(278).

2.4. أنواع التكرار

أ- عند القدماء: نمثل لذلك برأي ابن رشيق القيرواني الذي يقسم التكرار إلى ثلاثة أقسام:

1- تكرار اللفظ دون المعنى

2- تكرار المعنى دون اللفظ وهو الأقل

3- تكرار اللفظ والمعنى

يقول في هذا الشأن: "وللتكرار مواضع يحسن فيها ومواضع يقبح فيها وأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه»(279). أما النوع الأول: فلا يخلو منه كلام، ولا يستغني عنه متكلم ووجوده في الكلام أسلوب من أساليب البلاغة، وأما الثاني فهو أمر طبيعي، إذ قد نخبر عن المعنى الواحد بأكثر من لفظ، لكن لا يكون تكرارا بالمعنى الحقيقي إذ لا بد أن يختص كل

[277] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، .تح السيد أحمد صقر،مطبعة الحضارة العربية القاهرة دط، 1973 ص 20

[278]محمد عبد الله العبيد ي:دلالة السياق في القصص القرآني، إصدارات وزارة الثقافة، صنعاء، ص 50.

[279] ابن رشيق، العمدة: تح عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 2000، ص 698.

لفظ بمعنى، فإذا ورد بأكثر من أسلوب كان في كل أسلوب زيادة لا نجدها في غيره، وأما الثالث وهو تكرار اللفظ والمعنى، أي بمعنى المطابقة التامة دون زيادة أو نقصان فهو ما حكم عليه ابن رشيق بالخذلان فإن وجد في الكلام كان عيبا[280]. والملاحظ في هذا التقسيم أنه يركز على قضية اللفظ والمعنى، ومدى قيمة كل منهما من حيث تكرارهما، وموقع ذلك في القرآن الكريم متمحور حول تجليات النوع الأول والثاني من التقسيم، فالألفاظ تتكرر في القرآن الكريم مرات عديدة دون أن يخل ذلك التكرار بجمال نظمها، ومن ذلك تكرار لفظة "الرحمن" أربع مرات في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (مريم/88..93). يقول ابن عاشور في ذلك: "وتكرير اسم الرحمن في هذه الآيات أربع مرات، إيحاء إلى أن وصف الرحمن ثابت لله والذي لا ينكر المشركون ثبوت حقيقته لله، وإن أنكروا لفظه ينافي ادعاء الولد له لأن الرحمن وصف يدل على عموم الرحمة وتكثيرها، ومعنى ذلك أنها شاملة لكل موجود مفتقر إلى رحمة الله تعالى، ولا يتقوم ذلك إلا بتحقيق العبودية فيه لأنه لو كان بعض الموجودات ابنا لله لا يستغني عن رحمته لأنه يكون بالنبوءة مساويا له في الألوهية المقتضية الغنى المطلق، ولأن اتخاذ الابن يتطلب به متخذه بر الابن به، ورحمته له، وذلك ينافي كون الله مقتض كل رحمة، فذكر هذا الوصف عند قوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾، وقوله: ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ تسجيل لغباوتهم وذكره عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ إيحاء إلى دليل عدم لياقة اتخاذ الابن بالله وذكره عند قوله: ﴿إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ استدلال على احتياج جميع الموجودات إليه وإقرارها له بملكه إياها»[281]. فتكرار لفظ الرحمن "يسجل على النصارى العبادة وعدم اللياقة إذ ليس من الملائم أن يكون لله ولد، وقد بدا ذلك بصيغة المطاوعة ﴿مَا يَنْبَغِي﴾ وتكرير اللفظ نفسه كان استدلالا على احتياج جميع الموجودات لله سبحانه بوصفه الكامل الذي لا يحتاج إلى ابن أو غيره[282].

---

280 عبد الله الجيومي:التعبير القرآني والدلالة النفسية، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط 2، 2007، ص 361.
281 الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 16، ص 177.
282 حواس بري: المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 2002، ص 298.

ونشير إلى أنّ التكرار اللفظي أسلوب عرفه العرب، فكما يكون للفظة الواحدة قد يكون للجملة، واللفظ المكرر يضيف معنى جديدا قد يفهم من سياق الحديث، وقد يفهم من طريقة الآداء، وقد يفهم من مقتضى المقام ولا يخلو ذلك من فائدة نفسية أو اجتماعية أو تربوية أو غير ذلك[283]. ومثال ذلك سورة الانفطار في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ (الانفطار/17،18) فمقتضى التوكيد بالتكرار هنا المقام لأن المقام هنا مقام تهويل وتعظيم حيث بدأت السورة بآيات تصور يوم القيامة من انشقاق السماء وتساقط الكواكب وانفجار البحار وبعثرة ما في القبور، فخوطب الكافر إذا كانت هذه هي حال يوم القيامة، فما غرك بربك أيها الكافر حتى عصيته، وإن عليكم كما تبين لأعمالكم فتحاجون عليها في هذا اليوم العظيم فما أعظم هذا اليوم وما أدراك ما يوم الدين ثم كرر الآية تعظيما لشأن هذا اليوم تهويلا وتعظيما لهذا اليوم وما يكون فيه من عذاب ونعيم[284].

أمّا التكرار من جهة المعنى « فهو في حقيقة الأمر تكرار للفكرة، فالفكرة واحدة وفي كل تعبير يكون إضافة جديدة ومثال هذا النوع ما كان في شأن القصص القرآني حيث نلحظ أن القرآن الكريم يذكر الحدث الواحد أكثر من مرة ويعرضه بأكثر من أسلوب»[285].

ويقترن تكرار المعنى في القرآن الكريم بمصطلح آخر وهو المتشابه اللفظي وهو "إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة»[286]. أما تكرار اللفظ والمعنى فهو ما تكرر فيه لفظ بعينه دون اختلاف في عدة مواضع من القرآن الكريم أي أن الكلمة أو العبارة أو الآية تأتي بنفس الصيغة والمفردات. وهذا التكرار ينقسم إلى نوعين فهو إما موصول، وإما مفصول فالموصول تكرّر فيه إما الكلمات كما جاء في قوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ (المؤمنون/36)، وإما مقاطع ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (الفجر/21،22). وإما آيات كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ (المدثّر/19،20).

أمّا التكرار المفصول فهو ما وقع فيه الفصل بين المكررين وهو ما يقع إما في سورة بعينها كما جاء في قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

283 ينظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية، ص 362.
284 محمد حسن أبو الفتوح:أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، ص 23-24.
285 التعبير القرآني، ص 362-363.
286 مشهور موسى: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2010، ص 7.

(الشعراء/9..) الذي تكرر فيها 8 مرات، أو قوله تعالى في سورة النمل: ﴿أَئِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ (النمل/60..) الذي تكرر فيها 5 مرات»[287].

أمّا أنواع التكرار عند المحدثين فقد قسمها هاليداي ورقية حسن إلى أربعة أنواع هي:

1- تكرار نفس الكلمة

2- الترادف وشبه الترادف

3- الكلمة الشاملة

4- الكلمة العامة[288].

أما تكرار نفس الكلمة فيندرج تحته ثلاثة أنواع هي: التكرار المباشر والتكرار الجزئي والإشتراك اللفظي[289].

ويقسّم بعض المحدثين التكرار إلى:

- **التكرار التام أو المحض:** ويتمثل في تكرار اللفظ والمعنى والمرجع واحد.
- **التكرار الجزئي:** وذلك بأن يستخدم الجذر اللغوي استخدامات مختلفة فتشتق من الجذر نفسه كلمات تتشابه في الكثير من معانيها.
- **تكرار المعنى واللفظ مختلف:** ويشمل الترادف وشبهه والعبارة المساوية في المعنى لعبارة أخرى[290].

والملاحظ في هذه التقسيمات أنّها تندرج كلها ضمن علاقة اللفظ بالمعنى ومدى تكرارهما وترددهما وسنرى تجليات هذه الأنواع في الجانب التطبيقي، ويعد التكرار عند المحدثين ضربا من الانزياح وذلك عن طريق التوسع والتعدد يقول لخوش جار الله: "يعد الانزياح التكراري ضربا من قانون التمدد أو التوسع عند التحويليين لأن التكرار لا يرد في السلوك الكلامي إلا لغرض بلاغي يعمل على تقوية البنية الدلالية وتقريرها وتبسيطها، كما يقوم عنصر التمدد أو التوسع التحويلي بوظيفة توسيع الإطار الدلالي للتركيب بغية خلق دلالات مؤكدة، ومن جهة أخرى يعد التكرار ضربا من أضرب الإطناب البلاغي الذي يهدف إلى تحقيق فنية التعبير ومطابقة الكلام لمقتضى الحال»[291].

---

287 موقع البرهان في الأعداد والأرقام، إعجاز القرآن.www.al.l3jaz.com

288 عزة شبل محمد:علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 2، 2009، ص 106.

289 المرجع نفسه، ص 106.

290 خليل بن ياسر: الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير، الأردن، ط 1، 2009، ص 66-67.

291 لخوش جار الله، البحث الدلالي في كتاب سبويه، دار دجلة، الأردن، ط 1، 2007، ص 340.

والتكرار في القصص القرآني يأتي لذكر أحداث متتالية لأنبياء الله تعالى وهم يؤدون الرسالة الإلهية بمقاومتهم للطغيان وهداية الناس، ودلالة التكرار في القصص القرآني هو إقامة الحجة والبرهان، وبيان الحالة النفسية لكل أبطال القصة، فالقصة الواحدة تتكرر في مواضع شتى بأساليب مختلفة يقتضيها السياق فهي: "تذكر على وجوه مختلفة في أماكن متعددة تختلف بين الطول والقصر والإجمال والتفصيل والاقتصار والكمال»[292]. وقصة موسى عليه السلام أكثر القصص تكراراً في القرآن الكريم. وقد وردت هذه القصة في حوالي ثلاثين موضعا وسارت حسب المراحل الآتية:

– في سورة (الأعلى) إشارة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (الأعلى/18،19).

– في سورة (الأعراف) بدأ التفصيل الأول للقصة في معرض قصص مشترك مع نوح وهود ولوط وشعيب عليهم السلام وجاءت في معرض تصوير الكفر في نفوس البشر من هاوية الضلالة والغواية، كما تشهد بذلك مواقف الصراع بين الهدى والضلال، وقد بدأت السورة بخبر موسى مع فرعون وخبره مع السحرة وتهديد فرعون لموسى وبني إسرائيل وعقاب الله إياهم ونعم الله على بني إسرائيل وعدم شكرهم ثم نزوحهم من مصر وعدم الاعتبار بإنجائهم وإغراق فرعون وملئه وفتنتهم وطلب موسى من ربه رؤيته ثم عودته إلى قومه وقد عبدوا العجل ثم اختيارهم سبعين رجلا لميقات ربه [293].

– وفي سورة (طه) يبدأ بتفصيل آخر من حلقة أسبق من حلقة الرسالة التي ذكرت في الأعراف تلك هي رؤية موسى عليه السلام للنار من جانب الطور. وبعد أن يكلف بالذهاب إلى فرعون يحاور ربه طالبا منه هارون يشد أزره ويكون وزيراً له، فيذكره الله تعالى بنعمته عليه في مولده ورده إلى أمه في إشارة سريعة، ثم تسير القصة كما سارت في الأعراف مع حذف آيات الجراد والقمل والضفادع والدم وعهد فرعون لبني إسرائيل، مع زيادة حلقة وهي أن السامري هو الذي صنع العجل وتفصيل لقصة صنعته»[294].

– وفي سورة (الشعراء) تبدأ القصة من حلقة الرسالة، وتسير في الخطوات التي سارت فيها إلى حلقة الخروج، ولكنها تزيد هنا أمرين الأول ذكر موسى عليه السلام أنه قتل

292 التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، ص 141.

293 أنظر أسرار التكرار في لغة القرآن، ص 167، ودلالة السياق ص 214 وسيكولوجية القصة ص 141.

294 محمد شيخون:أسرار التكرار في لغة القرآن، ص 69.

رجلا من المصريين فهو يخشى أن يؤخذ به وتذكير فرعون له بأنه قد ربى فيهم وليداً، وفعل هذه الفعلة، والثاني ذكر انفلاق البحر كالطود العظيم»[295].

– وفي سورة (النمل) لم يذكر سوى خطاب الله لموسى وتأييده بالمعجزات، ثم انتقل الحديث انتقالة سريعة إلى موقف فرعون وقومه من الرسالة. قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (النمل/14)، وهذه الحلقة من القصة جاءت منساقة مع السياق الذي ذكرت فيه، إذ ذكرت بعد قوله تعالى مخاطبا محمدا صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (النمل/6). فهو يتلقى القرآن الكريم، ويكلف بالرسالة كما تلقى موسى قبله الرسالة، وما لاقاه من أذى قومه يشبه ما لاقاه موسى عليه السلام من فرعون وقومه[296].

– وفي سورة (القصص) تبدأ القصة من أول حلقة فيها من مولده فوضعه في التابوت، وإلقائه في البحر والتقاط آل فرعون له وتحريم المراضع عليه وقول أمه لأخته أن تقص أثره ومعرفتها بأمره وإشارتها على آل فرعون بمرضع للطفل هي أمه ثم كبره ثم قتله للمصري ومحاولته قتل آخر وخروجه إلى أرض مدين والتقائه بابنتَيْ الشيخ الكبير وسقيه لهما وإعجاب إحداهما به وحثها أبيها على استخدامه وعمله مع الشيخ وزواجه بابنته حسب شرطه ثم انفصاله عنه ثم رؤيته للنار ثم تسير القصة كما سارت بزيادة واحدة هي تهكم فرعون في قوله تعالى: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ (القصص/38)[297].

– في سورة (الإسراء) إشارة سريعة إلى إغراق فرعون والتمكين لبني إسرائيل[298].

– في سورة (يونس) عرض موجز لأهم الأحداث وهي تبليغ فرعون وقومه بالرسالة وتكذيبهم واستعانتهم بالسحرة ثم ينتهي مصيرهم بغرق فرعون والتمكين لبني إسرائيل، ويظهر في هذه القصة موقف لم يذكر في غيرها، وهو إعلان فرعون إيمانه بما آمن به بنو إسرائيل وعدم قبول الله تعالى هذه التوبة[299].

---

[295] المرجع نفسه، ص 69-70.

[296] محمد عبد الله:دلالة السياق في القصص القرآني، ص 216.

[297] محمد شيخون، المرجع السابق، ص 70.

[298] المرجع نفسه، ص 70.

[299] محمد عبد الله:دلالة السياق في القصص القرآني، ص 217.

– في سورة (غافر) تبدأ القصة بإشارة إلى إرسال موسى عليه السلام إلى فرعون وقومه وتكذيبهم، ثم ينتقل إلى توعد فرعون بقتل موسى ولجوء موسى إلى الله ليحميه وظهور رجل من آل فرعون يكتم إيمانه فيعترض على قتل موسى وينصح قومه وينذرهم من عقاب الله، ثم تختم القصة ببيان مصير آل فرعون في الآخرة في قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآَلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آَلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر/45،46). وهذا المصير لم يذكر في غير هذا الموضع[300].

– في سورة (الزخرف) إشارة إلى إرسال موسى عليه السلام إلى فرعون وملئه. وتصور الآيات مشهد التكذيب بشكل آخر فهم لا يكتفون بالتكذيب وإنما يسخرون من الآيات البينات وينتقل السياق مباشرة إلى تصوير العذاب الذي نزل بهم واستعانتهم بموسى وتعهدهم بالاهتداء لكنهم ينكثون عهدهم وتنفرد هذه السورة بقوله تعالى على لسان فرعون: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ (الزخرف/52،53)[301].

– في سورة (الذاريات) إشارة خاطفة إلى إرسال موسى عليه السلام إلى فرعون سلطانا مبينا وتكذيبه وإهلاكه[302].

– في سورة (الكهف) تعرض مقابلة موسى عليه السلام لعبد من عباد الله أوتي من لدنه رحمة وعلما، وقد طلب إليه موسى أن يصحبه ليستفيد من علمه فأخبره أنه لن يصبر معه ليعلمه، فوعده موسى عليه السلام أن يصبر ثم لم يستطع لأن الرجل أخذ في تصرفات لا يدرك كنهها موسى ولا يعرف لها مغزى فشرح له الرجل العالِم سرها وافترقا وهي حلقة ذكرت مرة واحدة[303].

– في سورة (إبراهيم) يطلب موسى من قومه أن يتذكروا نعم الله عليهم لأنه أنجاه من آل فرعون[304].

300 محمد عبد الله :المرجع السابق ص 217-218.
301 المرجع نفسه : ص 218.
302 المرجع نفسه : ص72.
303 محمد شيخون: أسرار التكرار في لغة القرآن، ص 72.
304 محمد عبد الله، دلالة السياق، ص 219.

– في سورة (النازعات) عرض موجز لأهم أحداث القصة، إذ تبدأ من حلقة تكليف موسى بالرسالة وقيامه بدعوة فرعون، والتكذيب بالدعوة، وتختم ببيان مصير فرعون وملئه بسبب تكذيبهم وظلمهم[305].

– في سورة (البقرة) تذكير بني إسرائيل بنعم الله عليهم، فهي تتناول مواقف بني إسرائيل من موسى فالخطاب لليهود. وقد تفردت السورة بذكر قصة البقرة التي تصور تلكؤ بني إسرائيل عن تنفيذ أوامر الله وكثرة أسئلتهم.

– في سورة (المائدة) وهي الحلقة الأخيرة يذكّر موسى قومه بنعم الله عليهم ثم يأمرهم بدخول الأرض المقدسة لكنهم يقفون على بابها عاجزين حائرين مصرحين بجبنهم وأنهم لن يدخلوها حتى يخرج منها القوم الجبارون ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل يطلبون من موسى وربه أن يذهبا للقتال ويظلوا قاعدين فلا يملك موسى عليه السلام سوى أن يلجأ إلى الله ويتبرأ منهم، فيكتب الله عليهم التيه أربعين سنة جزاء أعمالهم[306].

هذه أهم المراحل التي ذكرت فيها قصة موسى عليه السلام، وهي كما نعلم أطول القصص لما فيها من العبر والحجج والبراهين وهي من جهة بنائها العام مواجهة مع بني إسرائيل من جهة وفرعون وملئه من جهة أخرى. وقد تموضعت في عدة مواضع لكل موضع منها زيادة أو تأكيد أو تعظيم لشأن أو دعاء واستغفار أو تحدّ لقوم جبارين وهكذا دواليك. ويتجلى ذلك في البناء اللغوي الذي يقتضي أن تكون فيه تحويلات وتغييرات تتلاءم مع موضع التكرار. وهي بالدرجة الأولى تمس محورين أساسيين هما الكلمة والجملة وذلك حسب ما يتطلبه السياق اللغوي.

5. بناء الكلمة

يقتضي بناء الكلمة النظر إلى المعاني الصرفية الناتجة عن الصيغ الصرفية والتي تأخذ تحولات عدة نتيجة الاشتقاق، والصيغة في أدق تعريفها: «هي هيئة الكلمة الحاصلة من ترتيب حروفها وكلماتها»[307]. معنى ذلك أنها بناء يشمل عدد الحروف المرتبة والحركات الزائدة والأصلية. وتتعلق الصيغة بهيئة الكلمة التي تتمثل في الحركات والحروف التي تنتظم وفق مبادئ أساسية تتجسد في العدد والرتبة والموقع، فاسم الفاعل مثلا هو اسم

305 محمد عبد الله : المرجع السابق ، ص 219.
306 المرجع نفسه، ص 219-220.
307 محمد فتحي، الأبنية في اللغة العربية، ص 59.

مشتق على وزن فاعل من الثلاثي وهو يدل على معنى مجرد حادث وعلى فاعله أيضا، ولهذا فهو يشتمل على أمرين:

1-المعنى المجرد الحادث من مورفام الجذر

2- فاعل هذا الحدث من مورفام الصيغة[308]

وتتعرّض الصيغة الصرفية إلى تحولات عدة كتحويل المفرد إلى الجمع وتحويل الفعل المبني للمجهول إلى المعلوم وغيرهما.

ويتجلى التكرار بطريق تحويل الصيغة في آيات سيدنا موسى في الآتي:

1- تحويل جمع المذكر السالم إلى جمع التكسير: وذلك في عبارة (سجّدا) من قوله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (طه/70). ونشهد إبطال عملية التحويل السّابقة في قوله جلّ وعلا: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (الشعراء/46..48). إنّ فعل السجود مقترن بالفعل المبني للمجهول (ألقي). والإلقاء مستعمل في سرعة الهوي إلى الأرض أي لم يتمالكوا أن يسجدوا بدون تريث ولا تردد[309]. والسجود هيئة خاصة لإلقاء المرء بنفسه على الأرض. ويُقصد منها الإفراط في التعظيم وسجودهم كان لله الذي عرفوه حينئذ بظهور معجزة موسى الداعي إلى الله بعنوان كونه رب العالمين[310]. وموطن الاختلاف في الصيغة تجلى في كلمتي "سُجَّدًا، سَاجِدِينَ" فالأولى جاءت بصيغة جمع التكسير، أما الثانية فجاءت بصيغة جمع المذكر السالم، وإذا عرفنا كل واحدة منهما نقول أنهما تنضويان تحت صيغة مشتركة هي الجمع، إلا أن جمع التكسير "هو ما اختلف لفظ مفرده أو كل جمع تغير فيه لفظ المفردة، أما جمع المذكر السالم فهو ما زيد على مفرده واو ونون أو ياء ونون»[311]، إلا أنّ جمع التكسير في كلمة (سُجَّدًا) دلّ على التكثير والمبالغة لأن جمع التكسير يفيد الكثرة، فعملية السجود مقترنة بقوة إيمانية معلنة من طرف السحرة. والملاحظ أن صيغة (سُجَّدًا) تدل على المبالغة في الاتصاف بالسجود والمداومة عليه وهي الأكثر ورودا في القرآن الكريم: إحدى عشرة مرة[312]. أما صيغة (سَاجِدِينَ) التي ذُكرت في سياق قصة سيدنا موسى فقد جاءت في فاصلة سورة

---

308 مصطفى شعبان، المناسبة في القرآن، ص 160.

309 الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 9، ص 52.

310 المرجع نفسه، ج 9، ص 52.

311 محمد عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص 92.

312 محمد داوود:معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، دار غريب، القاهرة، ط 1، 2008، ص 482.

الشعراء وفي (الأعراف/20). ولم تحمل في ذاتها قوة الشحن الدلالي الذي وجدناه في عبارة (سجّدا) السّابقة.

1.5. تحويل اسم الفاعل إلى صيغة المبالغة

وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ (الأعراف/111،112)، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ (الشّعراء/36،37). وموضع الاختلاف ورد بين صيغتَي "سَاحِرٍ وسَحَّارٍ" فسَاحِرٍ جاءت بصيغة اسم الفاعل وهو "يدل على الحدث الذي يتحقق من معنى المصدر ويدل على الحدوث ولا يدل على الثبوت بدرجة ثبوت الصفة المشبهة، ولا يدل على الحدوث أو التجدد بدرجة الفعل ولكنه أدوم وأثبت في المعنى من الفعل»[313]. فصيغة (سَاحِرٍ) هنا تدل على الحركية والاتصاف بالفعل أما كلمة (سَحَّارٍ) فهي صيغة مبالغة على وزن فَعَّالْ "التي تعد من أقوى صيغ المبالغة للدلالة على الشيء الذي يتكرر فعله أو الشيء الملازم لصاحبه حتى صار حرفة فلازمه في الوصف"[314]. والأصل عند العرب أن ينسبوا إلى الحرفة والصنيعة بصيغة (فَعَّالْ). قال ابن سيده: "والباب فيما كان صفة أو مبالغة أن يجيء على فَعَّالْ لأن فَعَّالْ لتكثير الفعل، وصاحب الصنعة، فيحصل له البناء الدال على التكثير»[315]. ويقول متولي الشعراوي في شأن هذه الآية: «فكلمة سَاحِرٍ تعني أن يعمل بالسحر وسَحَّارٍ تعني أنه يبالغ في إتقان السحر، والمبالغات تأتي دائما لضخامة الحدث أو تأتي لتكرار الحدث فسَحَّارٍ تعني أن سحره قوي جدا أو يسحر في كل حالة فمن ناحية التكرار هو قادر على السحر ومن ناحية الضخامة فهو قادر أيضا»[316].

وقد استعملت صيغة اسم الفاعل (سَاحِرٍ) في آية سورة الأعراف لعدم الحاجة إلى المبالغة في الوصف إذ أن الآية السابقة لم يذكر فيها السحر وهي قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (الأعراف/110) بينما استعملت صيغة المبالغة (سَحَّارٍ) في آية الشعراء لتقدم قول الله عز وجل: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ﴾ (الشعراء/35) فلما وصفه بالسحر كان جوابهم عليه أن يأتوه بمن هو أعلى منه درجة في

[313] محمد عكاشة:المرجع السابق، ص 74.

المرجع نفسه، ص 85.

[315] ابن سيده:المخصص، بيروت، د ط، دت، ج 15، ص 69.

[316] متولي الشعراوي:تفسير الشعراوي، ج 7، ص 4290.

السحر فاستخدمت صيغة المبالغة للتعبير عن هذا[317]. والغرض من هذا التكرار في هذا السياق هو تصوير الحالة الانفعالية لفرعون وملئه، ولعلّ المبالغة في صيغة (سَحَّارٍ) تصوّر فعليا تحدي فرعون وملئه لموسى عليه السلام بسحرة يتقنون فعل السحر.

2.5. التحوّل في صيغة الفعل

يعرّف الفعل بأنه: «ما دل على حدث مقيد بزمن، فالزمن عنصر أساسي في الفعل يميزه عن الاسم والحرف، ويفيد التجدد والحدوث في زمن وقوعه»[318]. ويمكن استكشاف دلالات التحوّل في الصيغ الفعلية المنطلقة من جذر واحد من خلال الآيتين الآتيتين:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ﴾ (الأعراف/141). وقال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ﴾ (البقرة/49)، فكلا الكلمتين «أَنْجَيْنَاكُمْ، نَجَّيْنَاكُمْ" صيغتا بصيغة الماضي الذي دل على تحقيق وقوع الحدث وهو النجاة و(إذ) للظرفية الزمانية أي أذكروا وقت إنجائنا لكم من آل فرعون الذين أذلوكم واستعبدوكم وامتهنوكم بأشد أنواع الامتهان»[319]. وكلا الفعلين جاء بضمير المتكلم الدال على التعظيم. يقول الطاهر بن عاشور: «إن هذا امتنان من الله اعترضه بين القصة وعدة موسى افتعالا من الخبر والعبرة إلى النعمة والمنة فيكون الضمير ضمير تعظيم»[320]، إلا أن هناك فروقاً دقيقة بين الفعلين من حيث الدلالة ففعل أَنْجَيْنَاكُمْ أصل «لأن أفعلت في باب افتعل أصل لفعلت وهو أكثر تقول نجا وأنجيته كما تقول ذهب وأذهبته ودخل وأدخلته فأما فعلته فمن القلة بحيث يمكن عده نحو فزع وفزعته وخاف وخوفته وقد يجاء معه بالهمزة فيقال أفزعته وأخفته»[321]. أما (نجَّى) فهو على بناء فعَّل الذي يأتي غالبا «للدلالة على التكثير نحو قطَّع كثَّر ويأتي للتعدية نحو خرّجته وفرّحته وقد يأتي للدلالة على نسبة المفعول إلى الفعل نحو كذّبته»[322]. أما (أفعل) فهو للتعدية نحو أجلس وأخرج وتأتي للدلالة على أن الفاعل قد صار صاحب ما اشتق منه الفعل نحو أثمر البستان وألقيت الشاة[323]. والقرآن الكريم كثيراً ما يستعمل (نجّى) "للتمهل في التنجية ويستعمل أنجى للإسراع لأنّ أنجى أسرع من نجّى في التخلص من الشدة

---

[317] محمد داوود:معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ص 447.

[318] محمود عكاشة:التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص 95.

[319] أمير عبد العزيز: التفسير الشامل للقرآن الكريم، م 3، ص 1321.

[320] الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 9، ص 85.

[321] عبد العال سالم مكرم: الترادف في الحقل القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 2009، ص 233.

[322] محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص 98.

[323] المرجع نفسه، ص 99.

والكرب"[324]. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (البقرة/49،50) فإنّه لمّا كانت النجاة من البحر لم تستغرق وقتا طويلاً ولا مكثا استعمل (أنجى) بخلاف البقاء مع آل فرعون فإنه استغرق وقتا طويلا فاستعمل نجَّى[325]. كما استُعملت عبارة (أنجيناه) في سياق الإسراع لذلك جاء الفعل متعديا. والتعدية تتطلب الإسراع في الحدث فقال في سورة البقرة (نجّيناكم) وفي الأعراف (أنجيناكم) ذلك أنه لم يذكر في سورة (البقرة) شيئا من حالهم مع فرعون والمجتمع الذي يعيشون فيه سوى هذه الآية، أما في سورة (الأعراف) فقد أطال وفصل في حالتهم مع فرعون وقومه ابتداء من الآية الرّابعة ومائة إلى الآية الحادية والأربعين ومائة، فإنه بعد أن ذكر مواجهة سيدنا موسى لفرعون ودعوته للإيمان وإظهار الآيات الدالة على صدقه ذكر بيانه مع السحرة وإيمانهم به وتهديد فرعون لهم[326]. لذلك نلاحظ أنّ سياقي الفعلين "نجى وأنجى" يحملان دلالة نفسية اقتضاها التكرار بصيغ مختلفة وهي التعدية التي دلت على الإسراع والمبالغة مرّة والتمهل مرّة ثانية، ومع ذلك تبقى دلالة التكرار هنا هي التذكير بنعمة النجاة من عذاب فرعون وملئه، وهو ما سنفصّله أكثر عند الحديث عن التّكرار في نظم الجملة.

6. التّرادف/التّكرار اللّفظي

الترادف لغةً التتابعُ. «وترادف الشيء تبع بعضه بعضا، ويقال ردفت فلان أي صرت له ردفا، والردف بالكسر المرتدف وهو الذي يركب خلف الراكب والرادف المتأخر والمردف المتقدم الذي أردف غيره، ويقال لليل والنهار ردفان لأن كل واحد منهما يردف صاحبه أي يتتبع أحدهما الآخر»[327].

أمّا اصطلاحا فليس هناك اتفاق بين العلماء على التعريف الجامع للترادف، وذلك لتقارب الآراء حوله سواء من حيث المصطلح أو المفهوم، وذِكره كان من باب علاقة اللفظ بالمعنى. وأول من تعرض لهذه الظاهرة سيبويه الذي قال: «اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف

324 ينظر فاضل صالح السمرائي:بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، دار عمان، الأردن، ط 4، 2007، ص 70.
325 المرجع نفسه، ص 71.
326 المرجع السابق ص 76.
327 ابن منظور: لسان العرب، م5 ص205.

المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو ذهب وانطلق»[328]. والملاحظ أن سيبويه يركز على أنواع كثيرة في علاقة اللفظ بالمعنى فهو يجمع في هذا التعريف جميع العلاقات الدلالية وهي التضاد والمشترك اللفظي والترادف، فكان المؤسس لها، الأمر الذي جعله يفتح باب هذه العلاقات لمجموعة من العلماء في مؤلفاتهم «كالأصمعي الذي ألف كتاب (ما اختلف لفظه واتفق معناه) للأصمعي ت 216 هـ، وكتاب (ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد) للمبرد، وكتاب (الأسماء المختلفة للشيء الواحد) لأبي عبيد وغيرها من المصنفات»[329]. ومع ذلك لم يظهر هذا المصطلح كمفهوم واضح ودقيق المعالم في مصنفات القدامى رغم ذكرهم إياه فقد ألّف الرماني (ت 384 هـ) مثلا كتابا بعنوان (الألفاظ المترادفة والمتقاربة المعنى). وهو بهذا العنوان قد ساوى بين المترادف والمتقارب. وكل هذا الغموض أدى إلى انقسام العلماء إلى رافض لظاهرة الترادف وآخر مؤيد لها، إذ يذهب المؤيدون إلى وجود الترادف في اللغة، إلا أن هناك أسماء كثيرة للشيء الواحد ومنهم ابن خالويه الذي يقر بخمسين اسما للسيف، وكتاب الفيروزآباذي الذي ذكر ثمانين اسما للعسل، ويرى ابن فارس وهو من أصحاب هذا المذهب أنه: «لو كان لكل لفظة معنى غير معنى الأخرى لما أمكن أن يعبّر عن شيء بغير عبارته، وذلك أنا نقول لا ريب فيه، لا شك فيه، فلو كان الريب غير الشك لكانت العبارة عن معنى الريب بالشك خطأ، فلما عبر عن هذا بهذا علم أن المعنى واحد»[330]. ونجد في المقابل موقفا ثابتا ينكر وقوع الترادف علّتهم في ذلك أن الترادف لا يقع بين الفروق الدقيقة التي تلاحظ سبب معنى هذه الكلمة ومعنى أخرى تبدو مرادفة لها، وفي ذلك يقول ابن دروستويه: «لا يكون فعل وأفعل بمعنى واحد، كما لم يكونا على بناء واحد، إلا أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين، فإما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد كما يظن كثير من اللغويين والنحويين وإنما سمعوا العرب تكلمت بذلك على طباعها وما في نفوسها من معانيها المختلفة وعلى ما جرت به عاداتها وتعارفها ولم يعرف السامعون لذلك العلة فيه والفروق فظنوا أنهما بمعنى واحد وتناولوا على العرب هذا التأويل من ذات أنفسهم فإن كانوا قد صدقوا في رواية ذلك عن العرب فقد أخطؤوا عليهم في تأويلهم ما لا يجوز في الحكمة، وليس يجيء بشيء من هذا الباب إلا

---

328 سيبويه: الكتاب، ج 1، ص 07-08.
329 ينظر الترادف في القرآن الكريم، نور الدين المنجد، ص 30.
330 ابن فارس:الصاحبي في فقه اللغة، ص.20.

على لغتين متباينتين أو يكون على معنيين مختلفين أو تشبيه شيء بشيء»[331]. ومعنى ذلك أن الترادف قد يحدث عند ابن دروستويه لأسباب أهمّها عدم إدراك السامع الفروق الدلالية واختلاف اللهجات والمجاز بشرط أن يكون هذا في إطار العربية بلهجاتها المتعددة أما في مجال اللهجة الواحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد[332]. ويذهب أحمد بن فارس إلى القول إنّ السيف له اسم واحد وما بعده من الألقاب صفات وغيرها. ونستنتج من كلّ هذا أن السياق اللغوي هو الذي يفرض هذه العلاقات الدلالية، وأن هناك ترادفا بين الكلمات وجب أن نبحث عن العنى المشترك بينها إضافة إلى سماتها التمييزية لنلتمس بذلك الفروق الدقيقة بين المترادفات ونحاول أن نطبق ذلك على الآيات القرآنية:

قال تعالى:﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾(البقرة/60). وقال تعالى: ﴿فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ (الأعراف/160).

نلاحظ أنّ الترادف وقع بين (انْفَجَرَتْ وانْبَجَسَتْ) وموطن الاختلاف بينهما يتمثل في أصل معنى كل واحدة منهما، وقبل تفصيل ذلك لا بأس من ذكر السياق العام للآيات، ففي سورة البقرة ذكر (انْفَجَرَتْ). وعملية الانفجار كانت عقب قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ (البقرة/60) فعملية الاستسقاء دلالة على وجود الماء قال القرطبي في ذلك: "واستسقيته دللته على الماء»[333]. وقوله تعالى (انْفَجَرَتْ) كلام حذف تقديره (وضرب فانْفَجَرَتْ)، وقد كان تعالى قادراً على تفجير الماء وفلق البحر من غير ضرب لكن أراد أن يربط المسببات بالآيات حكمة منه للعباد في وصولهم إلى المراد وليرتب على ذلك ثوابهم وعقابهم.

وإذا عدنا إلى بيان الفروق الدلالية بين الكلمتين فإننا نقتفي معانيهما من خلال المعاجم فلفظة انفجر من الفجر، «الفَجْر تَفْجيرُكَ الماء والمَفْجَرُ الموضع يَنْفَجِرُ منه وانْفَجَر الماءُ والدمُ ونحوهما من السيّال وتَفَجَّرَ انبعث سائلاً وفَجَرَه هو يَفْجُره بالضم فَجْراً فانْفَجَرَ أَي بَجَسه فانْبَجَس»[334]. أما لفظة (انْبَجَسَ) فأصلها (بجس) جاء في لسان العرب:« البَجْسُ انشقاق في قِرْبة أَو حجر أَو أَرض يَنْبُعُ منه الماءُ فإِن لم يَنْبُعْ فليس بانْبِجاسٍ والسحابُ

331 رمضان عبد التواب:فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1987، ص 312.

332 .سويس البطمان:العلاقات الدلالية في ضوء السياق،رسالة دكتوراه ،جامعة حلب 1995 ص30..

333 القرطبي:الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص 416.

334 ابن منظور:لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، د ط، د ت، ج 38، ص 3351.

يَتَبَجَّسُ بالمطر والانْبِجاسُ عامٌّ وانْبَجَسَ الماءَ أَي تَفجَرَ»[335]. وقد تكررت لفظة (الانفجار) في القرآن الكريم كثيراً، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾ (الإسراء/91). وقوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾ (الكهف/33) وقوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ (القمر/12). أما الانْبِجاسُ فقد ذكر في هذه الآية فقط في سورة الأعراف، والسر في ذلك أن "الانفجار خروج الماء بكثرة والانْبِجاسُ خروجه قليلا فالفجر الشق في الأصل والانفجار الانشقاق ومنه الفاجر لأنه يشق عصا المسلمين بخروجه إلى الفسق. والانْبِجاسُ اسم للشق الضيق القليل فهما مختلفان اختلاف العام والخاص»[336]. ويرى صاحب (الكليات) أنّ «الانْبِجاس أكثر ما يقال فيما تفجر من شيء ضيق والانفجار يستعمل فيه، وفيها يخرج من شيء واسع، وما في سورة البقرة لعله انبجس أولا ثم انفجر ثانيا»[337]. ويفرق الراغب الأصفهاني بينهما أيضا فيقول: «كل انبجاس انفجار من غير عكس»[338]. وأشار المفسرون إلى أن الانفجار بدلالته على الكثرة ناسب في آية البقرة لأنها جاءت في سياق تعداد النعم التي أنعم بها الله على نبيه موسى عليه السلام وعلى قومه، فاستعمل في هذا الموضع اللفظ المختص بملمح الكثرة والسرعة، أما سياق استعمال لفظ الانْبِجاسُ فهو إشارة إلى المعجزة التي أيّد الله تعالى بها نبيه موسى وقومه ينظرون إلى الماء وهو ينبع من الحجر منذ بداية انشقاقه وخروج الماء منه، وقبل أن تعتاد عيونهم رؤية الماء فهم يشاهدون اللحظة الأولى لخروج الماء من الحجر وتلك لحظة الدهشة والإعجاز»[339]. وثمة سبب آخر دعا إلى ذكر الانفجار في البقرة والانْبِجاسُ في الأعراف، ذلك أنه قال في البقرة "كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ" فجمع لهم بين الأكل والشرب، ولم يرد في الأعراف ذكر الشرب فناسب ذلك أن يبالغ في ذكر الماء في البقرة أما في الأعراف فقد قال تعالى: ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ وليس فيه اشربوا فلم يبالغ فيه[340].

وخلاصة القول إن السّمات التمييزية بين كلمتي الانفجار والانْبِجاسُ تتمثل في أنّ الانْبِجاس يمثل مرحلة أولى لظهور الماء، أما الانفجار فيمثل المرحلة الثانية، فهذا انتقال

335 المرجع نفسه، ج 4، ص 212.
336 الفخر الرازي:التفسير الكبير، ج 3، ص 96.
337 أبو البقاء الكفوي، الكليات، تح عدنان درويش ،مؤسسة الرسالة بيروت ج 1، ص 337.
338 عبد العالم سالم مكرم: الترادف في الحقل القرآني، 2009، ص 110.
339 محمد داود:الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ص 102-103.
340 فاضل صالح السمرائي: التعبير القرآني، دار عمان، الأردن، ط 5، 2007، ص 322-323.

من الجزء إلى الكل، كما أن الانبِجاسُ يدل على قلة الماء، والانفجار على كثرته، لذلك فهما كلمتان تتفقان في معنى الانشقاق وسيلان الماء، ويفترقان من حيث القلة والكثرة.

ويمكن أن نختبر مثالين آخرين عن الترادف فقد قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آَنَسْتُ نَارًا سَآَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آَتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (النمل/7،8). وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (القصص/30). نلاحظ أنّ الترادف هو بين فعلي (جاء وأتى). والملاحظ أنّ المعاجم العربية قد ساوت بين معنييهما حيث أن المجيء هو الإتيان. ذكر صاحب اللسان بأن : «الإتيان المجيء، أتيته اتيانا جئته، وفي التنزيل العزيز﴿لَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (طه/69). قالوا معناه حيث كان وقيل معناه حيث كان الساحر يجب أن يقتل، والميتاء آخر الغاية حيث ينتهي إليه جري الخيل والميتاء الطريق العامر وفي التنزيل العزيز ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ (البقرة/148). قال أبو إسحاق معناه يرجعكم إلى نفسه، وأتى الأمر من مأتاه ومأتاته أي من جهته ووجهه الذي يؤتى منه، وأتيت الماء إذا سهلت سبيله ليخرج»[(341)]. أما فعل (جاء) فهو مأخوذ من جيأ وجاء في تاج العروس "جاء الرجل يجيء جيئا وجيئة أتى" وقولهم ما جاءت حاجتك أي ما صارت وقال الرضي أي ما كانت»[(342)]. إلا أن الراغب الأصفهاني قد بين في (المفردات) أن المجيء هو الحصول ويكون في المعاني والأعيان[(343)]. ويفسّر ابن كثير هاتين الآيتين بقوله: "فلما جاءها أي فلما أتاها رأى منظرا هائلا عظيما حيث انتهى إليها والنار تضطرم في شجرة خضراء لا تزداد النار إلا توقدا ولا تزداد الشجرة إلا خضرة ونضرة ثم رفع رأسه فإذا نورها متصل بعنان السماء»[(344)]. وقال في: "فلما أتاها أي من جانب الوادي مما يلي الجبل عن يمينه من ناحية الغرب، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾ (القصص/44)، فهذا مما يرشد إلى أن موسى قصد النار إلى جهة القبلة والجبل الغربي عن يمينه والنار وجدها تضطرم في شجرة خضراء في لجق الجبل مما يلي الوادي فوقف باهتا

[341] ابن منظور: لسان العرب، الجزء الثاني، ص 21، 22، 23.
[342] الزبيدي: تاج العروس، تح علي هلالي، مطبعة حكومة الكويت، 1987، ج 1، ص 183.
[343] الزبيدي : تاج العروس ، ت ح علي هلالي ،مطبعة حكومة الكويت ، 1987 ، ج1 ،ص 183.
[344] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تح سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2، 1999، ج 6، ص 179.

في أمرها فناداه ربه من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة[345]. ولهذين الفعلين سياقات متعددة، إذ يفرق بينهما أبو هلال العسكري في (الفروق) فيقول: "جاء فلان كلام تام، لا يحتاج إلى صلة وقولك أتى فلان يقتضي مجيئه بشيء، ولهذا يقال جاء فلان نفسه، ولا يقال أتى فلان نفسه، ثم كثر حتى استعمل أحد اللفظين في موضع الآخر"[346]. وفي القرآن الكريم فروق دقيقة بين هذين الفعلين "فالمجيء فيه صعوبة ومشقة أو لما هو أصعب وأشق مما تستعمل له أتى فهو يقول مثلا ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ (المؤمنون/27)، وذلك لأن المجيء فيه مشقة وشدة. وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ (ق/19)»[347].

وفي آيتي النمل والقصص نجد اختلافا أو فروقا دقيقة بين الفعلين ففي سورة (القصص) سبق الإتيان شك ورجاء وذلك في قوله تعالى: ﴿لعلي آتيكم﴾ (القصص/29) فالإتيان يصحبه شك في حين سبق المجيء عزم ويقين، وذلك في قوله ﴿سآتيكم﴾ فالمجيء إذن يصحبه يقين وعزم[348]. والمجيء والإتيان متعلقان بكواليس المكان فموقع المكوث هو المكان الذي انطلق منه موسى عليه السلام مرتين باتجاه النار ففي المرحلة الأولى من الصعود انطلق موسى من الموقع الذي مكث أهله فيه بانتظار عودته فاقترب من النار دون أن يصل إليها "أتاها" وعاد إلى أهله بعد أن ولى مدبراً ولم يعقب[349]. فمعنى أتاها إذن أنه اقترب منها ففيه شك ومحاولة الوصول إلى الحقيقة بينما "جاءها" فقد قطع الشك باليقين أي وصل إلى حيث المكان المقصود. والغرض من سياق التكرار هنا بيان الحالة النفسية لموسى عليه السلام، فمن مرحلة الشك إلى مرحلة اليقين، تأتي البشرى من عند الله سبحانه وتعالى في سورة القصص: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (القصص/30).

قال تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آَيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آَيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (النمل/12،13). وقال تعالى: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾

---

345 ابن كثير :المصدر السابق، ج 6، ص 234.

346 أبو هلال العسكري:الفروق اللغوية،تعليق محمد باسل عيون السود،دار الكتب العلمية بيروت ط4 2006 ص 345

347 فاضل صالح السمرائي، لمسات بيانية، دار الفجر العراق،ط 1 ،2008ص 110.

348 نور الدين المنجد: الترادف في القرآن الكريم، ص 148.

349 صلاح الدين خليل الكلاس:موسى عليه السلام وقومه بني اسرائيل في القصص الحق، دار البشائر، دمشق، ط 1، 2007، ص 112.

(القصص/32). الملاحظ أن كلاً من الآيتين تتجهان نحو سياق عام هو بيان معجزات الله سبحانه وتعالى من خلال نبيه موسى، وفي الوقت نفسه طمأنة لموسى عليه السلام ونزع للخوف عنه. وهذه الطمأنة وبيان المعجزة، موجهان بطرق إلهية حماية له عليه السلام، وهذا باد من خلال قوله تعالى: (أدخل، أسلك، اضمم)، وهي ثلاثة أفعال مترادفة المعاني، مختلفة السمات، فما الفرق بينها؟

فيما يتعلّق بفعل (دخل) جاء في لسان العرب: «الدُّخُول نقيض الخروج دَخَل يَدْخُل دُخُولاً وتَدَخَّل ودَخَل به ودَاخِلَةُ الإزار طَرَفُه الداخل الذي يلي جسده ويلي الجانب الأَيمن من الرَّجُل إذا ائتزر لأَن المُؤْتَزِر إنما يبدأُ بجانبه الأَيمن وداخِلُ كلِّ شيء باطنُه الداخل قال سيبويه وهو من الظروف التي لا تُسْتَعْمَل إلاّ بالحرف يعني أَنه لا يكون إلاّ اسماً لأَنه مختص كاليد والرجل»[350]. أما فعل (سلك) فقد جاء في لسان العرب: « السُّلُوك مصدر سَلَكَ طريقاً وسَلَكَ المكانَ يَسْلُكُه سَلْكاً، والسَّلْكُ بالفتح مصدر سَلَكْتُ الشيء في الشيء فانْسِلَك أَي أَدخلته فيه فدخل وفي التنزيل العزيز أَلم تر أَن الله أَنزل من السماء ماءً فسَلَكَه يَنابِيعَ في الأَرض، يقال سَلَكْتُ الخَيْطَ في المِخْيَطِ أَي أَدخلته فيه، وسَلَكَ يَدَه في الجَيْب يَسْلُكها وأَسْلَكَها أَدخلها فيها»[351]. والملاحظ أنّ الفعلين في ظاهرهما لهما المعنى نفسه في اللغة العربية غير أن هناك سياقات دقيقة وجب استثمارها في تحليل هاتين الآيتين، ففعل الدخول يعتبر مرحلة أولى لبيان المعجزة، والله سبحانه وتعالى بصدد بيان تسع آيات معجزات لفرعون. وهذه العملية تقتضي السرعة في دخول اليد إلى الجيب وهو مكان آمن والجيب «فتحة الثوب من أعلى وسموها جيبا لأنهم كانوا يجعلون الجيوب مكان للأموال في داخل الثياب حتى لا تسرق»[352]. كما أن فعل الدخول يحمل خاصية مميزة لأنّ فيه انتقالا من الخارج إلى الداخل، أما فعل السلوك فهو مرحلة ثانية. فبالرغم من اقتراب معناه إلى معنى الدخول فإنه يستغرق وقتا في حدوث عملية السلك، وقد يحدث وقد لا يحدث. يقول فاضل صالح السمرائي: «فالإدخال أخص وأشق من السلك والسلوك، فإن السلك قد يكون سهلا ميسوراً قال تعالى في النحل ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ (النّحل/69)، فانظر كيف قال ذللا ليدل على سهولته ويسره، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾

[350] ابن منظور:لسان العرب، م 2، ص 1341.
[351]: المصدر نفسه، ج 17، ص 2073.
[352] الشعراوي:تفسير الشعراوي، ج 18، ص 10918.

(الزمر/21)، وهل هناك أيسر من سلوك الماء في الأرض وغوره فيها؟»[353]. ويقول أيضاً: «وناسب أن يوضع السلوك في موطن السهولة واليسر ووضع الإدخال في موطن المشقة والتكليف الصعب»[354].

ويقول أيضا: « وناسب أن يوضع الإدخال وهو أخص من السلوك مع الشهاب القبس الذي هو أخص من الجذوة وأن يوضع السلوك وهو اسم من الإدخال مع الجذوة من النار التي هي أعم من الشهاب القبس»[355]. وتمثلت المرحلة الأخيرة من هذه المعجزة الربانية في طمأنة موسى عليه السلام عن طريق الفعل(اضمم)، الذي يدل في سياقه العام على الدخول وفي دلالته النفسية عن إزالة الخوف. قال الفخر الرازي في تفسير هذه الآية: "أما قوله أضمم إليك جناحك من الرهب" ففيه معنيان أحدهما أن موسى عليه السلام لما قلب الله له العصا فزع واضطرب فألقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء، فقيل له إنّ إلقاءك بيدك فيه غضاضة عند الأعداء، فإذا ألقيتها ستنقلب حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان إلقائك بها، ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمران وهما اجتناب ما هو غضاضة عليك، وإظهار معجزة أخرى. والمراد بالجناح اليد لأنّ يدي الإنسان بمنزلة جناحي الطائر، وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم جناحه إليه والثاني أن يراد بضم جناحه إليه تخليصه وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر [356].

وخلاصة القول إنّ هذه الأفعال في مجملها كُرّرت بفروق دقيقة لهدف تثبيت موسى عليه السلام، وإذهاب الخوف عنه، فالدخول بداية نزع هذا الخوف والسلك يسره، والضم حماية له وأمن وآمان.

قال تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه/39،38). وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص/7). سبق وأن حللنا الآية الأولى في سياق الأمر، ومفادها رعاية الله سبحانه وتعالى لأمّ موسى عليه

---

[353] فاضل صالح السمرائي:لمسات بيانية، ص 127.
[354] المرجع نفسه، ص 128.
[355] المرجع نفسه ص 128.
[356] الفخر الرازي : التفسير الكبير ، ج 24، ص 247.

السلام، والحفاظ على مولودها الذي سيكون له شأن عظيم. وقد أفضى هذا الحفاظ، وهذه الرعاية إلى تكرر هذين الفعلين [ألقه، اقذفيه] بطريق الترادف فما الفرق بينهما؟.

جاء في لسان العرب مادة (ق،ذ،ف) ما يلي: « قذَفَ بالشيء يَقْذِف قَذْفاً فانْقَذَف رمى والتَّقاذُفُ الترامي، قول تعالى: ﴿قل إن ربي يَقْذِفُ بالحق علاَّمُ الغُيوب﴾ قال الزجاج معناه يأْتي بالحق، والقَذْفُ بالحجارة الرَّمْيُ»[357]. وجاء في مادة (ل،ق،ي): «لقى الشيء طَرَحَه وفي الحديث إِنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة ما يُلْقي لها بالاً يَهْوي بها في النار أَي ما يُحْضِرُ قلبَه لما يَقولُه منها»[358]. ومن خلال المفهوم اللغوي للفعلين يتبين أن القذف جاء بقوة وبسرعة، وذلك دفعا لهالة الخوف التي اعترت أم موسى عليه السلام، خاصة وأنّ هذا الفعل تكرر بفاء التعقيب الدالة على العجلة، ولنا أن ندعم قولنا برأي فخر الرازي في هذا الموضوع إذ يقول: «القذف مستعمل في معنى الإلقاء والوضع ومنه قوله تعالى : ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ (الأحزاب/26)"[359]. وقال الطاهر بن عاشور: «القذف أصله الرمي وأطلق هنا على الوضع في التابوت تمثيلا لهيئة المخفي عمله فهو يسرع وضعه في يده كهيئة من يقذف حجراً ونحوه»[360]. أمّا فعل (ألقى) فقد اقترن بشرط الخوف "فإذا خفت" ومن ثم جاء سياقه بلطف ورفقة وتأن، وكأن فعل الإلقاء يستغرق وقتا زمنيا قصيراً في انتظار وعد الله سبحانه وتعالى بردّ موسى إليها.

قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ (الأعراف/109..112). وقال تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ (الشعراء/34..36). إنّ ما يفكر فيه قوم فرعون في هاتين الآيتين هو خلق معجزة أبطالها صناع السحر وذلك لتحدي موسى عليه السلام وأخيه. وقد جاء هذا القرار عقب سؤالهم وإثارة فرعون لهم، فكان جوابهم بقول الله تعالى على لسانهم: "أرجه وأخاه". يقال أرجأته وأرجئته إذا أخرته والمعنى أخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة، وقيل احبسه وذلك محتمل لأنك إذا حبست الرجل عن حاجته فقد أخرته، وروي أن فرعون أراد قتله ولم يكن يصل إليه

---

[357] ابن منظور: لسان العرب، م 5، ص 3560.
[358] المرجع نفسه، م 5، ص 4066.
[359] الفخر الرازي: التفسير الكبير، ج 22، ص 52.
[360] الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 16، ص 216.

فقالوا له لا تفعل فإنك إن قتلته أدخلت على الناس في أمره شبهة، ولكن أرجئه وأخاه إلى أن يحشر السحرة ليقاوموه فلا تثبت له عليك حجة»[361]. وبين التأخير والحجة تولد هناك فعلان مترادفان هما(أرسل وابعث) فما الفرق بينهما؟

أصل الإرسال في اللغة: توجيه الشيء برفق ورحمة ومنه الترسل في الكلام والمشي أي الهدوء والثاني عدم العجلة ومنه قولهم: على رسلك أي ترفق وتأنّ في القول أو الفعل. والاسترسال الطمأنينة والسكون[362]. أمّا أصل البعث فهو «الإشارة والتوجيه والتنبيه، ثم يختلف البعث باختلاف ما علق به فتارة يكون عاما في معنى التوجيه والإشارة كما يقال بعثت البعير أي سيرته، وبعثت رسولا أي وجهته والبعث إيقاظ من النوم وتنبيه من الغفلة والضلالة، وإحياء الله للموتى بعث لهم وتجتمع هذه المعاني في التوجيه والتنبيه»[363]. وسياق الإرسال في سورة (الأعراف) ينبئ عن ذلك التأني والتريث، عند قوم فرعون، هؤلاء القوم محتاجون إلى مزيد من الوقت، حتى يأتي السحرة ليبين معجزاتهم أمام موسى عليه السلام.

أمّا سياق البعث في سورة (الإسراء) فقد جاء لإثارة انتباه هؤلاء القوم. والمستنتج من ذلك أنّ كلا الفعلين يشتركان في معنى التوجيه، لكن الفروق الدلالية بينهما هي تلك الفترة الزمنية التي يحتاج فيها المرء إلى أن يرتب أموره ويستعد لفعل شيء مهم ينتظر منه النتيجة، فقوم فرعون ينتظرون بعد الإرسال تلك الإشارة التي يتوقعون منها الفوز في يوم السحرة. ولنا أن نستدل في هذا الإطار بقول فاضل صالح السمرائي في شأن هذا التكرار إذ يقول: «قال في الأعراف وأرسل وقال في الشعراء وابعث، وذلك لكثرة تردد فعل الإرسال في الأعراف، فقد تردد فعل الإرسال ومشتقاته ثلاثين مرة في الأعراف وتردد في الشعراء سبعة عشرة مرة فناسب ذلك ذكر الإرسال في الأعراف دون الشعراء، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أن المقام في الشعراء يقتضي ذكر الفعل ابعث دون أرسل ذلك أن البعث فيه معنى الإرسال وزيادة فإن فيه معنى الإشارة والإنهاض والتهييج»[364]. وقال أيضا: «فلما كان المقام في الشعراء مقام زيادة تحد وقوة مواجهة قال ملأ فرعون وأبعث فلم يكتفوا بالإرسال بل أرادوا أن

361 تفسير الفخر الرازي، ج 23، ص 132.
362 محمد محمد داوود:معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ص 136.
363 محمد محمد داوود : المرجع السابق، ص 136.
364 فاضل صالح السمرائي: التعبير القرآني، ص 329.

ينهضوا من المجتمع حاشرين علاوة على الرسل، وهؤلاء من مهمتهم الإثارة وتهييج الناس على موسى، وهذا المعنى لا يؤديه لفظ أرسل»[365].

قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ (طه/40). وقال تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (القصص/13).

لا تزال رعاية الله سبحانه وتعالى لموسى مستمرة. وكانت هذه الرعاية مرافقة له منذ الصغر، وأوّلها ذلك الوحي الذي أوحاه الله إلى أمه بإلقائه في اليمّ حتى لا يؤذى، فالآية الأولى خطاب لموسى وسياقها تثبيت قلبه بالمعجزات التي ستكون تحديا لفرعون وقومه، أمّا الآية الثانية فهي خطاب لأمّه وبيان حالتها النفسية وهي تتلقى وليدها، عودة الرضيع إلى أمه يبينها الفعلان [فرجعناك، رددناه] ويقول الفخر الرازي في شأنهما "أما قوله تعالى: (فَرَجَعْنَاكَ) أي رددناك، وقال في موضع آخر فرددناه إلى أمه وهو كقوله تعالى: "قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ" أي ردوني إلى الدنيا»[366]. فالفعلان عند الرازي يحملان المعنى نفسه، إلا أن بينهما فروقا دلالية طفيفة نراها في بطون المعجمات. قال الراغب في مفرداته: «الرجوع العود إلى ما كان منه البدء، أو تقرير البدء مكانا كان أو فعلا وبذاته كان رجوعه أو بجزء من أجزائه أو بفعل من أفعاله، فالرجوع العود والرجع الإعادة ورجع إليه كرَّ»[367].

أمّا (ردّد) فقد جاء في تاج العروس: «رده عن وجهه يرده ردا ومردا صرفه ورجعه، ويقال رده عن الأمر أي صرفه برفق، وفي التنزيل: فلا مرد له، وفيه يوم لا مرد له، قال ثعلب يعني يوم القيامة لأنه شيء لا يرد ونقل شيخنا عن جماعة من أهل الاشتقاق والتصريف أن رد يتعدى إلى المفعول الثاني بإلى عند إرادة الإكرام، وبعلى للإهانة واستدلوا نحو قوله تعالى: "فرددناه إلى أمه، ويردوكم على أعقابكم" وفي الصحاح ترددت عليه رجعت مرة بعد أخرى»[368]. ويقول الشعراوي في شأن قوله فرجعناك : «حيث نستقرء مادة رجع في القرآن الكريم نجدها تأتي مرة لازمة كما في ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ﴾ (الأعراف/150)، وتأتي متعدية ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ﴾ (طه/40)، وفي ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾

---

365 فاضل صالح السمرائي: المرجع نفسه ، ص 330.

366 الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج 22، ص 54.

367 الزبيدي: تاج العروس، ج 21، ص 78.

368 ا: المصدر نفسه ، ج 8، ص 88، 89، 94.

(التوبة/83)، والفرق بين اللازم والمتعدي أن اللازم رجع بذاته أما المتعدي فقد أرجعه غيره، فالرجوع إن تصير إلى حال كنت عليها وتركتها، فإن رجعت بنفسك دون دوافع حملتك على الرجوع فالفعل لازم، فإن كانت هناك أمور دفعتك للرجوع فالفعل متعدٍ»[369]. ويقول في شأن (رددناه): «سبق أن وعدها الله إنا رادوه إليك" فقوله سبحانه وتعالى فرددناه يدل على أن الأسباب في يد المسبب سبحانه وتعالى فنحن الذين رددناه لا أخته ولا فرعون لأنا تغيير الأمور وفق مرادنا»[370]. ويقول الكرمالي: «قوله فرجعناك إلى أمك في القصص فرددناه لأن الرجع إلى الشيء والرد إليه بمعنى والرد على الشيء يقتضي كراهة المردود ولفظ الرجع ألطف فخُص بطه، وخص القصص بقوله فرددناه تصريفا لقوله إنا رادوه إليك»[371]. والغرض من هذا التكرار تثبيت قلب موسى عليه السلام، وتثبيت جأش أمه والتأكيد على وعد الله سبحانه وتعالى لها.

7. التّكرار بنظم الجملة

المقصود بنظم الجملة كلّ ما يتعلق بترتيب الكلمات في الجمل. وهي تلك العلاقات المتبادلة في سياق تركيب الجملة كعلاقات الحذف والزيادة، والتقديم والتأخير وغيرها. ويتمثل التكرار بنظم الجملة في آيات موسى عليه السلام بين إثبات حرف وحذفه في آخر أو تقديم وتأخير في ألفاظ الآيات وغيرها.

1.7. حذف الواو وإثباتها

قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (البقرة/49)، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (إبراهيم/6). هاتان الآيتان هما بيان لألوان العذاب التي لقاها بنو إسرائيل من فرعون، وتتجلى في ثلاثة أنواع يصور الله سبحانه وتعالى من خلالها فضاعة فرعون وهي (يسومونكم، يذبّحون أبناءكم، يستحيون نساءكم). أما يسومونكم فهي حال من آل فرعون «يحصل بها بيان ما وقع الإنجاء منه وهو العذاب الشديد الذي كان الإسرائيليون يلاقونه من معاملة القبط لهم، وسوء العذاب

---

[369] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج 15، ص 9272.
[370] المرجع نفسه، ج 17، ص 10896.
[371] الكرمالي، أسرار التكرار في القرآن الكريم، تح عبد القادر أحمد عطا، دار بوسلامة، تونس، د ت، د ط، ص 138.

أشده وأفضعه وهو عذاب التسخير والإرهاق وتسليط العقاب الشديد بتذبيح الأبناء وسبي النساء»[372]. والتكرار بنظم الجملة هنا يكمن في حذف الواو في سورة البقرة وإثباتها في سورة إبراهيم والسرّ في ذلك كما يقول المفسرون أن كلمة يذبّحون "يحتمل أن تكون مفسرة للجملة قبلها وتفسيرها لها على وجهين أحدهما أن تكون مستأنفة فلا محل لها من الإعراب كأنه قبلُ كان يسومهم سوء العذاب فقيل يذبحون والثاني أن تكون بدلا منه[373]. فقوله (يذبّحون أبناءكم) كما فسرها القرطبي في قوله «يفسر الواو على البدل من قوله يسومونكم سوء العذاب كما نقول أتاني القوم زيد وعمر فلا تحتاج إلى الواو في زيد، ونظيره "من يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب»[374]. أمّا في سورة إبراهيم فقد ذكرت بالواو وهي من حروف العطف وأصل الواو: "إفادة مطلق الاشتراك والجمع في المعنى بين المتعاطفين"[375]. وقال القرطبي في ذلك «يذبحون بالواو لأن المعنى يعذبونكم بالذبح وبغير الذبح فقوله ويذبحون أبناءكم جنس آخر من العذاب لا يفسر لما قبله»[376]. وسبب الذبح هو خوف فرعون من ضياع ملكه. وقد فرض الذبح حتى يتأكد قوم فرعون من موت المولود، ولو فعلوه بأي طريقة أخرى كأن ألقوه من فوق جبل أو ضربوه بحجر غليظ أو طعنوه بسيف أو رمح قد ينجو من الموت، ولكن الذبح جعلهم يتأكدون من موته في الحال فلا ينجو أبداً[377].

وخلاصة القول إنّ الذبح في الآية الأولى حذفت منه الواو لتخصيصه ولشدة وقعه على النفس، لأنه جاء على الاستئناف، أما في الآية الثانية فقد ورد معطوفا على ما قبله وكان غرضه تعداد ألوان العذاب والله أعلم.

2.7. إثبات حرف الجر

قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف/123). وقال تعالى: ﴿قَالَ آَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الشعراء/49).

372 الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 492.
373 الدر المصون، تح أحمد محمد الخراط ،دار العلم دمشق ،دط،دت ج 1، ص 345.
374 تفسير القرطبي، ج 1، ص 384.
375 حسن عباس:النحو الوافي، ج3، ص 557.
376 تفسير القرطبي، ج 1، ص 384.
377 تفسير الشعراوي، ج 1، ص 327.

يدور محور هاتين الآيتين حول غضب فرعون على المؤمنين بالله وبنبيه موسى عليه السلام، فجاءت الآية الأولى بواسطة حرف الجرف الباء، والثانية بواسطة حرف الجر اللام، والملاحظ أن كلمة (آمنتم) مادتها (ء،م،ن). وقد أخذت حيزاً كبيرا في القرآن الكريم والأصل فيها أمن فلان أمنا يعني اطمأن، فليس هناك ما يخوفه، لكن هذه المادة تأتي مرة ثلاثية أمن، وتأتي مرة مزيدة وقد يُتعدى إليها بالباء كما في آمنت بالله أو يتعدى باللام كما في قوله تعالى فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه" وأمن له بمعني صرفه فيما جاء به[378]، فأمنه يعني أعطاه الأمن وأمن به يعني اعتقده، وأمن له يعني صدقه، ومعنى قول فرعون آمنتم له أي صدقتموه، فالآية الأولى ورد حرف الباء فيها عائدا لله سبحانه وتعالى، أما الآية الثانية فقد جاء فيها حرف اللام عائدا على موسى عليه السلام، وفي ذلك يقول الكرملي: "قوله في السورة أمنتم به، وفي السورتين [الشعراء، طه] آمنتم له لأن الضمير هنا يعود إلى رب العالمين، وهو المؤمن به سبحانه وتعالى وفي السورتين يعود إلى موسى وهو المؤمن له لقوله تعالى"إنه لكبيركم" وقيل أمنتم به، وآمنتم له واحد»[379].

3.7. إثبات حرف التوكيد المصدري

قال تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآَهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل/10)، وقال تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآَهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآَمِنِينَ﴾ (القصص/31).

الملاحظ في الآية الأولى أنّ خطاب الله سبحانه وتعالى بإلقائه العصا كان مباشرا ويقينيا، ويبين ذلك قوله تعالى في السورة نفسها ﴿نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (القصص/8، 9)، فالآية مسبوقة بمقام تعظيم الله سبحانه وتعالى وموسى عليه السلام يهيئ نفسه لتلقي هذه البشرى العظيمة، أما الآية الثانية فقد وردت بإثبات (أن) وهي حرف مصدري للتأكيد وذلك لبيان ما قبلها وتفسيلره، وهي قوله (أن يا موسى)، فاقتران أن بحرف النداء، وبالفعل (ألق) يبين تأكيد الفعل وبيانه أكثر، كيف لا وهذه العصا سيكون لها شأن عظيم مع السحرة، وفي ذلك يقول السامرائي "فهناك فرق بين قولك أشرت إليه أن أذهب، وقلت له أذهب، فالأول معناه أشرت

---

378 تفسير الشعراوي، ج1، ص 9324.

379 الكرملي:أسرار التكرار في القرآن الكريم، ص 90-91.

إليه بالذهاب، بأي لفظ أو دلالة تدل على هذا المعنى، وأما الثاني فقد قلت له هذا القول نصا"[380]. ومقام التكرار في هاتين الآيتين جاء لغرض تعظيم رب العزة وبيان معجزاته من خلال عصا موسى عليه السلام.

8. الحذف والزيادة

قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (البقرة/60). وقال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف/160).

الملاحظ في الآية الأولى ذكر سيدنا موسى عليه السلام إذ يمثل الدور الأساسي في طلب الدعاء، أنه يدعو ربه لقومه لطلب الإسقاء، وأما في الآية الثانية فإن قوم موسى هم من طلبوا السقيا من موسى عليه السلام. وبالتالي يقتضي سياق الآية الأولى دعاء موسى عليه السلام بعودة الحياة إلى القوم وبيان معجزات هذه النعم التي كان مصدرها العصا. أما سياق الآية الثانية فهو لحظة الوحي والتحقق والتذكير بقوم موسى وهم يطلبون السقيا من موسى عليه السلام.

9. الربط والإحالة

الربط لغة: «رَبَطَ الشيءَ يَرْبِطُه ويَرْبُطُه رَبْطاً فهو مَرْبُوطٌ ورَبِيطٌ شدَّه والرِّباطُ ما رُبِطَ به والجمع رُبُطٌ وربَط الدابةَ يربِطُها ويربُطُها رَبْطاً وارْتَبَطَها»[381].

أما اصطلاحا فلم يرد لهذا المصطلح تعريف جامع، وإنما هناك اختلافات عدة تتوقف على مدى استعماله في سياقات معينة لدى النحاة، فقد ذكر سيبويه أحد سياقاته دون ذكر المصطلح إذ يقول: "وسألت الخليل عن قوله جلا وعلا ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ (العنكبوت/36)، فهذا كلام معلق بالكلام الأول، كما كانت الفاء معلقة

---

380 فاضل السمرائي: لمسات بيانية، ص 121.

381 ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3، 2004، ج 6، ص 82.

بالكلام الأول"[382]. فسيبويه هنا يجعل الفاء رابطا بين الجملتين، وأساس ذلك هو ارتباط الجملتين الواحدة منهما بالثانية.

ونجد هذا المصطلح عند ابن السراج إذ يقول: «واعلم أن الحرف لا يخلو من ثمانية مواضع، إما أن يدخل على الاسم وحده مثل الرجل أو الفعل وحده مثل سوف أو ليربط اسما باسم جاءني زيد وعمرو، أو فعلا بفعل أو فعلا باسم أو على كلام تام أو ليربط جملة بجملة أو يكون زائدا»[383]. والملاحظ أنّ ابن السراج هنا تحدث عن حروف الربط ومعايير تصنيفها سواء بالنسبة إلى الاسم أو إلى الفعل. أمّا ابن هشام فقد فصل الحديث في الربط ودرس الروابط في مبحثين من كتابه، فتحدث في المبحث الأول عن روابط الجملة بما هي خبر عنه، وهي الضمير والإشارة وإعادة المبتدأ بلفظه، وإعادته بمعناه وعموم يشمل المبتدأ وغيره. وتحدّث في المبحث الثاني عن الأشياء التي تحتاج إلى الضمير الرابط فذكر الجملة المخبر بها، والجملة الموصوف بها، والجملة الموصول بها الأسماء، والجملة الواقعة حالا والجملة المضمرة لعامل الاسم المشتغل عنه، وفي بدل البعض والاشتمال وغيرها[384]. كما ذكر هذا المصطلح بصورة واضحة عند البلاغيين، فهذا عبد القاهر الجرجاني يتحدث بإسهاب عن حروف العطف باعتبارها أدوات ربط إذ يقول: "يكون في الجمل ما تتصل من ذات نفسها بالتي قبلها، وتستغني بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها"[385]. وقد بنى نظريته في النّظم على أساس التعليق وهو ربط الجمل بعضها ببعض بواسطة روابط سواء أكانت حروف العطف أو أسماء الموصول أو حروف المعاني إذ يقول في ذلك: "وأعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلام ولا ترتيب حتى يتعلق بعضها ببعض ويبني بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك"[386]. فالربط إذن هو تجاوز العلاقات في الجملة، عن طريق روابط تتمثل في حروف العطف، والضمائر القبلية والبعدية، معنى ذلك أن الربط من العلاقات السياقية التي تعتمد على التماسك بين الأجزاء المكونة للنص، وقد بحث فيه في الدرس اللغوي الحديث تمام حسان الذي يقسّم أدوات الربط حسب هذا المخطط:

---

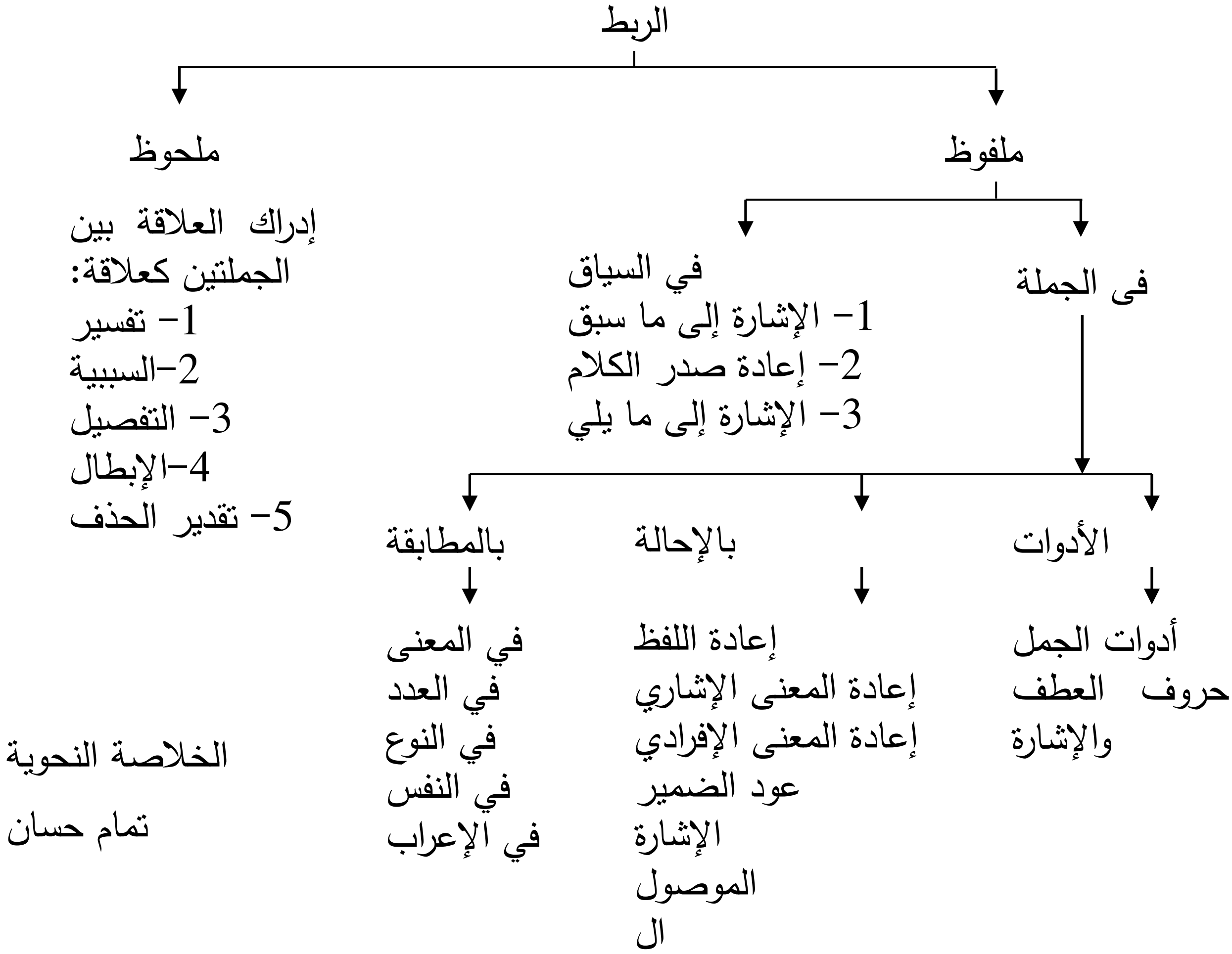
[382] ابن السراج:الأصول في النحوتح عبد الحسين الفتلي،مؤسسة الرسالة بيروت،ط3 1985 ج1 ص 42

[383] المصدر نفسه، ج1 ، ص 42.

[1] جمعة عوض الخباص:نظام الربط في النص العربي،دار كنوز المعرفة العلمية عمان ،ط1 ،2008 ص18

[385] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 227.

[386] المصدر نفسه، ص 55.



يتبين من خلال هذا المخطط أن النص يقوم على تركيب الجمل. وهذا التركيب تحكمه علاقات الربط والارتباط التي تتم بحروف العطف والضمائر القبلية والبعدية.

وتتجلى أدوات الربط فيما يلي:

1- الربط بالضمير. والضمير إما أن يعود إلى منطوق أو يعود إلى مفهوم

2- الربط باسم الإشارة

3- الربط بالحرف

4- الربط بإعادة اللفظ

5- الربط بإعادة المعنى

6- الربط بالعهد الذكري(387).

387 نجم الدين قادر: نظرية السياق، دراسة أصولية،دار الكتب العلمية بيروت ط1 2006 ، ص 220.

وقد اخترنا في قصّة سيدنا موسى عليه السلام مواضع الربط والإحالة معتمدين في ذلك على اختيار نماذج منها وهي حروف العطف واسم الإشارة واسم الموصول وضمير الشأن وضمير الفصل، باعتبار أنّها روابط إحالية تحيل إلى مذكور سواء كانت قبلية أو بعدية.

1.9. الربط بحروف العطف

المقصود بالعطف هنا عطف النسق، الذي عرّفه ابن الحاجب بأنه «تابع مقصود بالنسبة مع متبوعه يتوسط بينه وبين متبوعه أحد الحروف العشرة» ويعرفه ابن عصفور بأنه: «حمل الاسم على الاسم أو الفعل على الفعل أو الجملة على الجملة بشرط يتوسط حرف بينهما من الحروف الموضوعة لذلك»[(388)]. وحروف الربط عند النحاة هي الواو، والفاء، وثم، وحتى، ولا، وبل، ولكن، وأو، وإما وأم. وقد يُلجأ إلى هذه الأدوات لتخليص المعاني طلبا للإيجاز والاختصار. يقول مصطفى حميدة: «ومن هنا قامت في اللغة أدوات العطف والشرط والنفي والاستفهام والنداء والتوكيد وغيرها لتخليص معانيها على سبيل الإيجاز والاختصار. ومن هنا أيضا كان التعليق بالأداة وهو الربط أساسا مهما في فهم التراكيب، لأن التركيب العربي يعتمد في معظم صوره على الأداة في تخليص العلاقة بين أجزائه»[(389)]. والملاحظ أن حروف العطف تنحو منحا سياقيا في ربط الجمل فالمعاني الدالة عليها هي معان يقتضيها التركيب في مقام معين، كالتشريك والاختيار وغيرهما، فالتركيب يقوم بتحديد نوعية الحرف المستخدم، نظرا للمعنى الذي يقتضيه عليه في الدلالة على ما يراد التعبير عنه فما يشترط في استخدام كل حرف من هذه الحروف هو في حقيقته تحديد للتركيب الذي يستخدم فيه حتى يؤدي الترابط المقصود منه بين المتعاطفين على الوجه الذي يحدده نظام اللغة[(390)]. وحروف العطف المختارة للدراسة في قصة سيدنا موسى عليه السلام هي الواو وأو والفاء وثم.

1.1.9. الواو

تحتل الواو المرتبة الأولى في حروف العطف وذلك من حيث دلالتها المفردة وهي الإشراك. يقول ابن يعيش في شأنها: «الدليل على أن الواو هي أصل حروف العطف أنها لا

---

[388] مصطفى حميدة:أساليب العطف في القرآن الكريم،الشركة العالمية لونجمان القاهرة،ط1 1999 ص 24.
[389] مصطفى حميدة:المرجع السابق ص 45.
[390]رابحة محمد سعد: وسائل الربط في القرآن الكريم من خلال السياق، رسالة ماجستير، جامعة الكويت، 2000، ص 33، 34.

توجب إلا الإشراك بين شيئين فقط في حكم واحد، أما بقية حروف العطف فإنها توجب زيادة حكم على ما توجبه الواو مثل الفاء توجب الترتيب، وبل للإضراب وغيرها، أي أن هذه الحروف فيها زيادة معنى على حكم الواو الأمر الذي جعل الواو بمنزلة المفرد وبقية حروف العطف بمنزلة المركب مع المفرد»[391]. ومن معانيها مطلق الجمع والاشراك، أي تعطف الشيء على مصاحبه: نحو ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ (العنكبوت/15)، وعلى سابقه نحو ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ﴾ (الحديد/26)، وعلى لاحقه نحو "كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ" (الشورى/3)[392]. ومعنى الجمع هنا، أنها لا تكون لأحد الشيئين أو الإشارة، وإنما تجمع بين المعطوف والمعطوف عليه في الحكم والإعراب جمعا مطلقا، فلا تفيد ترتيبا ولا تعقيبا[393]. يقول سيبويه: "وإنما جئت بالواو لضم الآخر إلى الأول وتجميعهما، وليس فيه دليل على أن أحدهما قبل الآخر"[394]، ومثال ذلك في القصة قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (القصص/9). يدلّ سياق هذه الآية أنّ الذين انتشلوه جعلوه بين أيدي فرعون وامرأته، فرقت له امرأة فرعون وصرفت فرعون عن قتله[395]. وقرّة العين كناية عن السرور. ولما كانت كذلك جاءت الواو العاطفة لتكون أداة وصل بين امرأة فرعون وزوجها أو بالأحرى رغبة امرأة فرعون في تقسيم هذه الفرحة بينها وبينه، فاقتضى ذلك التشريك الاجتماع في هذه الفرحة. والسياق القرآني جعل الواو تجمع بين المتعاطفين عن طريق الترتيب لي ولك، أي للمرأة ثم لزوجها، لماذا؟ لأن هذه المرأة جعلها الله سبحانه وتعالى الحامية لهذا الصبي والراعية له. والهدف من ذلك إبراز الخوف من بطش فرعون الذي عاث في الأرض فسادا.

2.1.9. أو

الأصل في (أو) أن تكون لإحدى الشيئين أو الأشياء. قال ابن جني: «إنما أصل وضع أو أن تكون لأحد الشيئين، أين كانت وأين تفرقت، فهي عندنا على ذلك، وإن كان بعضهم قد نفى عليه هذا من حالها في بعض الأحوال حتى دعاه إلى نقلها عن أصل بابها»[396]. ومن معانيها التخيير فلا يقع إلا بعد طلب، وقيل ما يمتتع في الجمع، معنى

---

391 ابن يعيش، شرح المفصل ج6 ص 962

392 ابن هشام، مغني اللبيب، ا ج 2، ص 409.

393 رابحة محمد سعد:وسائل الربط في القرآن الكريم من خلال السياق، ص 37.

394 مصطفى حميدة:أساليب العطف، ص 50.

395 الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ص 77.

396 ابن جني: الخصائص، ج 2، ص 457،

ذلك أن المخاطب يملك حرية اختيار أحد المتعاطفين فقط مقتصرا عليه دون الجمع بينهما لوجود سبب يمنع الجمع سواء كان هذا السبب عقليا أو عرفيا أو شرعيا[397]. والشاهد على ذلك قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آَنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آَتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ (طه/9، 10)، إذ تبيّن الآية الكريمة لحظة التشويق التي أرادها الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام، الأمر الذي جعله يقع بين خيارين، وقرينة ذلك فعل الأمر (امكثوا)، عقبته مباشرة الرؤية البينة التي لا شبهة فيها، وهي رؤية النار التي من خلالها ستحدد مصيره ومصير أهله، وجاء ذلك عن طريق "أو" الدالة على التخيير ﴿"أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ أي "ألقى عارفا بالطريق قاصدا السير فيما أسير فيه فيهديني إلى السبيل" و "أو" هنا للتخيير لأنّ إتيانه بقبس أمر محقق، فهو إما أن يأخذ القبس لا غير، وإما أن يزيد فيجد صاحب النار قاصدا الطريق مثله فيصحبه"[398].

3.1.9. الفاء

الفاء حرف عطف غالبا ما يفيد الترتيب مع التشريك. قال الرضي: اعلم أن الفاء تفيد الترتيب سواء أكانت حرف عطف أو لا»[399]. وقد قسم النحاة دلالة الترتيب التي تؤديها فاء العطف إلى قسمين:

1. **ترتيب معنوي:** وهو أن يكون المعطوف بالفاء لاحقا للمعطوف عليه في الزمان كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق/22).

2. **ترتيب لفظي أو ذكري:** وهو كما قال الرضي: "أن تفيد الفاء العاطفة للجمل كون المذكور بعدها كلاما مرتبا على ما قبلها في الذكر، لا لأنّ مضمونها عقب مضمون ما قبلها في الزمان"[400]، معنى ذلك أن المراد بالترتيب الذكري أن يكون وقوع المعطوف بها بعد المعطوف عليه بحسب التحدث عنهما في كلام سابق وترتيبهما فيه، لا بحسب زمان وقوع المعنى على أحدهما[401]. وألحقوا بهذا النوع من الترتيب عطف المفصّل على المجمل لأن موضع ذكر التفصيل يكون بعد الإجمال مثل قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ

397 عباس حسن:النحو الوافي، ج3، ص 604.
398 الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 16، ص 195.
399 مصطفى حميدة:أساليب العطف، ص 124.
400 المرجع نفسه، ص 127.
401 عباس حسن: النحو الوافي، ج 3، ص 573.

عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ (النساء/153)، فالسؤال لا يسبق الرؤية أي لا يكون في الواقع هكذا وإنما من حيث اللفظ فقط»[402].

ومن دلالات الفاء حسب السياق القرآني دلالة التريث الزمني مع التعقيب، يقول تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (القصص/11)، فالخوف الشديد للأم على طفلها جعلها تتقصى كل الطرق لاخفائه، وجاء الحل بتوفيق من الله سبحانه وتعالى عن طريق أخته التي تتبع أثره بأمر من والدته، وسرعان ما بصرت به، والدليل على ذلك الرابط الفاء على التعقيب، وسرعة التنفيذ، فالفاء هنا أوجبت أن الثاني بعد الأول وأن التقصي والبصر بينهما قرب في الزمان، والبصر وإن كان بمعنى الرؤية إلا أنه يدل على العناية والاهتمام بالمرئي، ومعنى عن جنب من ناحية بحيث لا يراها أحد ولا يشعر بتتبعها له واهتمامها به[403].

4.1.9. ثمّ

حرف عطف يفيد التشريك في الحكم والترتيب مع التراخي، قال ابن يعيش في شأنها: «وثم مثل الفاء إلا أنها أشد تراخيا تقول ضربت زيداً ثم عمراً وأتيت البيت ثم المسجد»[404]. ويُقصد بالتراخي أن هناك فترة زمنية طويلة بين وقوع المعنى على المعطوف عليه ووقوعه على المعطوف[405]. وقد امتازت (ثم) عن الواو بالترتيب والمهلة، وعن الفاء بدلالتها على التراخي، «لكن هذا التراخي يخضع لاعتبارات نفسية وعقلية وتقديرات في تصور المتكلم حيناً، وفي عقل المخاطب وحسه حينا آخر ولأحوال ودواع تقتضيها مقامات الكلام وسياقاته حينا ثالثا»[406]. ومن سياقات (ثم) قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآَيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف/103)، فالله سبحانه وتعالى يبين تاريخ رسول من أولي العزم من الرسل وقبلها بيان أخبار الرسالات السابقة

403 مصطفى حميدة:أساليب العطف، ص 127.
404 ابن يعيش: شرح المفصل، ج 6، ص 96.
405 رابحة محمد سعد:وسائل الربط في القرآن الكريم في ضوء نظرية السياق ، ص60..
406 محمد الأمين الحضري: من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم، مكتبة وهبة، ص 159.

وكيف أن قومها جحدوا دعوة رسلهم، فلم توفى حق الشكر، فكان العصيان والتمرد وبين هذه الرسالة تأتي الدعوة لنبي الله موسى، وذلك في قوله تعالى: "ثم بعثنا" فالحرف (ثم) هنا دلّ على البعد الزمني بين الأمم السابقة ولحظة إرسال موسى عليه السلام، وكلمة بعث توحي إلى أنه سبحانه وتعالى قد أرسل موسى رسولا إلى فرعون واختيرت كلمة بعث للرسالات لأن البعث يقتضي أن شيئا كان موجودا ثم انصهر ثم بعثه الحق من جديد[407]. يقول الطاهر بن عاشور: «دلت ثم على المهلة لأن موسى عليه السلام بعث بعد شعيب بزمن طويل فإنه لما توجه إلى مدين حيث خروجه من مصر رجا الله أن يهديه فوجد شعيبا، وكان اتصاله به ومصاهرته تدريجا له في تسليم قبول الرسالة عن الله تعالى، فالمهلة باعتبار مجموع الاسم المحكي عنها قبل، فإن منها ما يبينه وبين موسى قرون مثل قوم نوح وعاد وثمود، فالمهلة التي دلت عليها ثم متفاوتة المقدار مع ما تقتضيه عطف الجملة بحرف ثم من التراخي الرتبي وهو ملازم لها إذا عطفت بها المجمل»[408].

2.9. الرّبط باسم الإشارة

اسم الإشارة قسم من المعرفة. وهو ما وُضع لمشار إليه أي لمعنى يشار إليه إشارة حسية بالجوارح والأعضاء[409]. يقول ابن يعيش: «اعلم أن هذا الضرب من الأسماء هو الباب الثاني من المبنيات، هي الأسماء التي يشار بها إلى المسمى وفيها من أجل ذلك معنى الفعل، ولذلك كانت عاملة في الأحوال وهي ضرب من المبهم، وإنما كانت مبنية لتضمنها معنى حرف الإشارة، ومعنى الإشارة الإيماء إلى حاضر بجارحة أو ما يقوم مقام الجارحة فيتعرف بذلك، فتعريف الإشارة أن تخصص للمخاطب شخصا يعرفه بحاسة البصر»[410]. وهو بذلك اسم يعيّن مدلوله تعيينا مقرونا بإشارة حسية إليه، وغالبا ما يكون المدلول شيئا محسوساً[411].

وتتكون عملية الإشارة حسب المخاطب مما يلي:

- المشير ويمثله المتكلم
- المشار إليه ويمثله المخاطب وهو محور الحديث

[407] تفسير الشعراوي، م 7، ص 4272.
[408] الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج.25 ص229.
[409] محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب، ج 2، ص 1061.
[410] ابن يعيش:شرح المفصل، ص 126.
[411] عباس حسن: النحو الوافي، ج 1، ص 321.

- المشار به وهي الأداة

أنواع الإشارة: تقسم معاني اسم الإشارة إلى أنواع وذلك حسب طبيعة كل عنصر في النظام اللغوي وهي:

1- يكون معنى اسم الإشارة مفردا ومنه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (مريم/34).

2- يكون نوعا ذاتا ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف/123)، فمعنى اسم الإشارة في الآية الإيمان بموسى قبل إذْن فرعون وهذا المعنى هو مجموعة ذات موصوفة.

3- يكون اسم الإشارة نوعا صفة ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ (طه/63)[412].

ويتجلى اسم الإشارة في قوله تعالى على لسان فرعون: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الزخرف/51)، فهذه الآية تبيّن تسلط فرعون وجبروته ويبدأ بقوله تعالى (نادى). و«النداء رفع الصوت، وإشارة إلى فرعون مجاز عقلي لأنه أمر بالنداء في قومه»[413]. إن هذا الرجل يريد أن يملك الدنيا يريد أن يتولى أمور السيادة والقيادة، لذلك فملك مصر تحت يديه فهذا ملك عام، وقد خصص ملكا آخر وهو الأنهار وقد عبر عنه بضمير الإشارة "هذه" إشارة إلى التخصيص، فالأنهار دليل الحياة ورخائها، وهي مصدر للرزق ومؤونة للأرض، خاصة وأن لها تفاريع كثيرة، يقول الطاهر بن عاشور: "إن الأنهار إشارة إلى تفاريع النيل التي تبدأ قرب القاهرة فيتفرع النيل بها إلى فرعين عظيمين فرع دمياط، وفرع رشيد وتعرف بالدلتا، فالإشارة إلى جداول النيل وفروعه المشهورة بين أهل المدينة كأنها مشاهدة لعيونهم"[414]، لذلك فلفظ الأنهار لا يكفي وحده وإنما جاء اسم الإشارة للإحالة عليه، إشارة إلى مصاحبة اللفظ وما يريده من التوضيح والتحديد.

ويتجلى اسم الإشارة أيضا في قوله تعالى: ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (القصص/28).

---

412 الفة يوسف: تعدد المعنى في القرآن، ص 47.
413 الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 25، ص 229.
414 المرجع نفسه، ج 25، ص 229-230.

إنّ أمانة موسى عليه السلام جعلت والد الفتاتين يعرض زواجه بإحدى ابنتيه، وكان شرطه أن يكون له أجيراً عنده لمدة ثماني سنوات، فإن أكمل عشراً فهذا كرم منه، فكان جوابه الموافقة، وقد تضمنت هذه الموافقة جملة: ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾. والملاحظ أن اسم الإشارة تعيين لمذكور قبله، وهو اختصار لكل ما اتفقا حوله، فاسم الإشارة هنا هو بديل عن جملة (على أن تأجرني ثمان حجج)، والكاف هنا كاف الخطاب، وهو دليل المخاطبة، يقول النحاة في شأنها: "الكاف اللاحقة بأسماء الإشارة دون معنى الاسمية[415]. وقال ابن يعيش: «الكاف في جميع ذلك للخطاب مجردا من معنى الاسمية والذي يدل على تجردها من معنى الاسمية أنها لو كانت باقية على اسميتها لكان لها موضع من الإعراب إما رفع وإما نصب وإما خفض»[416].

3.9. الربط باسم الموصول

الموصولات كلها اسمية أو حرفية غامضة المعنى مبهمة المدلول، فلابد لها من شيء بعدها واجب التأخير عنها، يزيل غموضها وإبهامها، وهو ما يسمى الصلة، فالصلة هي التي تعين مدلول الموصول وتفصّل مجمله، وتجعله واضح المعنى، ومن أجل هذا لا يستغني عنها الموصول[417]. يقول ابن يعيش: «ومعنى الموصول أن لا يتم بنفسه ويقتصر إلى كلام بعده تصله به ليتم اسما فإذا تم بما بعده كان حكمه حكم سائر الأسماء التامة يجوز أن يقع فاعلا ومفعولا ومضافا إليه»[418]. والموصول «ما لا يتم حتى تصله بكلام بعده تام فيصير مع ذلك الكلام اسما تاما بإذا مسمى، فإذا قلت جاءني الرجل الذي قام فالذي وما بعده في موضع صفة الرجل بمعنى القائم»[419]. ومن بين أسماء الموصول "ما" وهي موضع الشاهد في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آَتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (الأعراف/144).

وأكثر استعمال (ما) في غير العاقل وتكون للمفرد بنوعيه والمثنى والجمع بنوعيهما، وقد تكون للعاقل في مواضع:

---

415 سعيد حسن بحيري:دراسات لغوية، ص 146.

416 ابن يعيش: شرح المفصل، ج 3، ص 134.

417 .محمد السيد متولي البغدادي: قضية الربط في الجملة العربية، مطبعة الأمانة مصر ،ط1 1988 ص 65.

418 ابن يعيش:شرح المفصل، ج 3، ص 139.

419 المرجع نفسه، ج 3، ص 150.

أ- إذا اختلط العاقل بغيره، وقُصِدَ تغليب غير العاقل لكثرته نحو قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (الجمعة/1).

ب- أن يلاحظ في التعبير أمران مقترنان هما ذات العاقل وبعض صفاته معا نحو أكرم ما شئت من المجاهدين الأحرار فكأنك تقول أكرم من الرجال ما كانت ذاته موصوفة بالجهاد أو بالحرية، فأنت تريد بتعبيرك أمرين مجتمعين هما الذات ووصف آخر معها، ولا تريد أحدهما وحده.

ج- المبهم أمره كأن ترى عن بعد شبحا لا تدري أهذا إنسان أم غير إنسان فتقول ما ذاك أو أني لا أتبين ما أراه[420]. ونتبين من خلال هذه الآية الكريمة مدى اهتمام الله سبحانه وتعالى بنبيه موسى ويتجلى ذلك في قوله إنّي اصطفيتك والاصطفاء افتعال مبالغة في الإصفاء وهو مشتق من الصفو، وهو الخلوص مما يكدر. والاصطفاء هنا تفرد وتميز عن الناس والمراد بالناس جميعهم ممن هم حوله أو الموجودين في زمنه" حيث أنه اصطفاه بالرسالة الإلهية التي سيمليها له ليدعو الناس إلى الحق، واشترط في ذلك جملة خذ ما أتيك، فالرابط ما الموصولة يمكن أن تحيل إلى مرجعين الأولى هي عوده على الرسالات والكلم، فإتيان الرسالة من باب الدعوة وهداية الناس وهو المرجع الأساس، أما الثاني فقد تكون تفسيراً للآية الموالية ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف/145).

ومن أنواع اسم الموصول "الذي" وقد ورد في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ (طه/49..53). والآية في بدايتها بيان لعناد فرعون، هذا العناد الذي سرعان ما يتلقى الإجابة من موسى عليه السلام قال ربنا، وهي إثبات لذات الله عز وجل، ولم يكتف بذلك فقد كان اسم الموصول الذي المخبر عنه، المؤكد عليه، وحاملا لنعم الله الكثيرة في الآية أنه أعطى ثم هدى، ويفسر الرازي هذه الآية بقوله: «في قوله الذي أعطى وجهان أحدهما التقدير والتأخير أي أعطى خلقه كل شيء يحتاجون إليه ويرتقون به، وثانيهما أن يكون المراد من الخلق الشكل والصورة المطابقة للمنفعة، فكأنه سبحانه وتعالى أعطى كل شيء الشكل الذي يطابق منفعته ومصلحته»[421].

---

[420] عباس حسن: النحو الوافي، ج 1، ص 351.
[421] تفسير الفخر الرازي، ج 22، ص 66.

ويأتي اسم الموصول مرة أخرى في قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ﴾ فالتعيين هنا باسم الموصول جاء للماهية أي تعداد النعم والفرق بينهما أن الأولى تأكيد ذات الله تعالى لأن موسى في هذا المقام بصدد بيان أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق الهادي بينما الثانية فهي تفسير للأولى وتوضيح لنعم الله.

4.9. الربط بضمير الشأن

هو ضمير يستعمل للتفخيم. يقول ابن يعيش: «واعلم أنهم إن أرادوا ذكر جملة من الجمل الاسمية أو الفعلية فقد يقدمون قبلها ضميراً يكون كناية عن تلك الجملة وتكون الجملة خبراً عن ذلك الضمير وتفسيراً له، ويوجدون الضمير لأنهم يريدون الأمر والحديث لأن كل جملة شأن وحديث، ولا يفعلون ذلك إلا في مواضع التفخيم والتعظيم»(422). ويتفق النحاة أنّ ضمير الشأن مبهم غائب مفرد يتصدر الجملة بتفسيره ما يليه فهو كناية عن الجملة بعده وتكون الجملة خبراً له ويطلق عليه ضمير الجملة(423). ومن أمثلة ضمير الشأن قوله تعالى: ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (النمل/9)، فالله سبحانه وتعالى يريد أن يثبت لموسى ذاته الإلهية لذلك جاءت الآية تأكيدا بأن مقترنة بضمير الشأن دلالة على هذا الإعلام يقول الطاهر بن عاشور: «المعنى إعلامه بأن أمراً مهما يجب علمه وهو أن الله عزيز حكيم أي لا يغلبه شيء ولا يستصعب عليه تكوين وتقدير هذا بين ما سيلقى إليه من الأمر لإحداث رباطة جئش لموسى ليعلم أنه خلعت عليه النبوة إذ ألقي إليه الوحي»(424)، فوظيفة ضمير الشأن هنا هو الإشارة إلى اللاحق، فالله تعالى يستعمل ضمير المتكلم حينا وضمير المعظم ذاته حينا آخر، فضمير المتكلم يستعمله عندما يكون الكلام موجها إلى المقربين من عباده وبالأخص أنبيائه(425).

5.9. الربط بضمير الفصل

سُمّي ضميَ كذلك لأنّه يفصل في الأمر حين الشك واختفاء القرينة، فيرفع الإبهام ويزيل اللبس بسبب دلالته على أن الاسم بعده هو الخبر لما قبله من مبتدأ وما أصله المبتدأ وليس صفة ولا بدلا ولا غيرهما من التوابع والمكملات التي ليست أصلية في المعنى الأساسي، كما يدل على أن الاسم السابق مستغن عنها لا عن الخبر وفوق ذلك كله يفيد في

---

422 ابن يعيش، شرح المفصل، ج 3، ص 114.
423 ينظر حسن بحيري، دراسات لغوية، ص 125.
424 الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 18، ص 227.
425 تمام حسان، خواطر من لغة القرآن الكريم،عالم الكتب القاهرة،ط1 2006 ص 37.

الكلام معنى الحصر والتخصيص[426]. يقول عنه ابن يعيش: «يقال له فصل وعماد، فالفصل من عبارات البصريين كأنه فصل الاسم الأول عما بعده وأذن بتمامه والعماد من عبارات الكوفيين كأنه عمد الاسم الأول وقواه لتحقيق الخبر بعده»[427].

وضمير الفصل تقيده شروط:

- أن يكون منفصلا مرفوعا مطابقا للمبتدأ في الجنس والعدد
- أن يكون موضعه بين المبتدأ والخبر أو ما في منزلتهما، اسم الناسخ وخبره
- أن يكون بين معرفتين أو بين معرفة وما يشابهما من النكرات[428].

ومن شواهد هذا الضمير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة/54).

إنّ توبة عبَدة العجل كان سخرية إذ كان جزاءهم هو القتل. وهذا القتل كان بين بعضهم البعض حسب المفسرين وجملة (إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)، جاءت مقترنة بضمير الفصل (هو) لتأكيد التوبة. يقول الطاهر بن عاشور: «أنه هو التواب الرحيم خير وثناء على الله وتأكيده بحرف التأكيد لتنزيلهم منزلة من يشك في حصول التوبة عليهم لأن حالهم في عظم جرمهم حال من يشك في قبول التوبة عليهم وإنما جمع التواب مع الرحيم لأن توبته تعالى عليهم كانت بالعفو عن زلة اتخاذهم العجل، وهي زلة عظيمة لا يغفرها إلا الغفار لحكم قتلهم وذلك رحمة فكان للرحيم موقع عظيم هنا وليس هو لمجرد الثناء»[429].

---

426 عباس حسن، النحو الوافي، ج 1، ص 244.
427 ابن يعيش:شرح المفصل، ج 3، ص 110.
428 الشادلي الهيشري: الضمير بنيته ودوره في الجملة، منشورات كلية الآداب منوبة ،2003ص 119.
429 الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 505.

الفصل الثّالث: السّياق النفسي ودلالته في القصّة

1. الخوف

تدور مادة (خ،و،ف) حول أصل واحد يدل على الذعر والفزع. جاء في لسان العرب الخوف "الفزع خافه يخافه خوفا وخيفة ومخافة"(430). والخوف هو«توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة وضده الأمن ويستعمل في الأمور الدنيوية والأخروية»(431). والخوف حالة نفسية تعتري شخصية الإنسان فهو في علم النفس «وجدان غريزة الهرب باعتباره انفعالا أوليا نتيجة لمثير خطير ويكون نزوعا للهرب كما أنه انفعال نفسي عنيف يعرض عند تصور شيء قريب الوقوع يستجيب له الجسم بتعبيرات واسعة المدى قد تدفعه إلى الهرب والفرار أو الكتمان أو الإخفاء أو جمود الحركة»(432). والخوف شعور فطري لدى الإنسان فهو يسلك سلوكا يبعده عن كل خطر أو أذى «فعندما نقف على سطح عمارة بدون سياج نجد أنفسنا ونحن نبتعد عن حافة السطح شعورا منا بالخوف من السقوط وعندما نسمع ونحن نسير في طريق ما صوت إطلاق الرصاص فإننا نسرع إلى الاحتماء في مكان أمين خوفا من الإصابة والموت»(433). وبالتالي يصبح الخوف طريقة للوقاية وردع الخطر فهو خوف إيجابي غير ضار كما أنه يمثل انفعالا وهروبا وقلقا يعتري الإنسان.

وقد فرق علماء النفس بين الخوف الغريزي المتولد عن غريزة البقاء وهو متقدم على كل تجربة فردية وبين الخوف المكتسب الذي يتولد من التجربة «فإذا أخذنا خوف الأطفال مثلا فإنه يعتري لأسباب عديدة منها الظلام، والأصوات العالية كقصف الرعود أو صفير الرياح والحيوانات والوحوش وغيرها»(434). فهذا خوف غريزي فطري، أما الخوف المكتسب من التجربة فترى ملامحه أثناء تحليلنا لمظاهره في القصة. وقد صور الخطاب القرآني الخوف في سياقات عديدة فبيّن ما يعتري النفوس أثناء الشدة والكرب والحروب كما بين حالات النفوس وما يظهر من علامات في ملامح الوجه وما يشعر به المرء من ازدياد في ضربات القلب وغيرها، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ

---

[430] ابن منظور: لسان العرب ،دار المعارف،القاهرة دط، دت ج15 ص1290

[431] ،زينب الكروي: التصوير البياني في آيات الأمن والخوف،دار غراس الكويت، ط1 2008 ،ص28

[432] فرح عبد القادر طه،:موسوعة علم النفس والتحليل النفسي دار غريب القاهرة،ط1 2003 ص213 وزينب الكروي،التصوير البياني في آيات الأمن والخوف ص28

[433] عمرو حسن أحمد بدران: كيف نتخلص من الخوف،الدار الذهبية المنصورة دط،دت ص15

[434] عاطف الزين:معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة،دار الكتاب اللبناني بيروت،ط1 1991ج1 ص161

إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (الأحزاب/19). وقال تعالى:﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ (محمد/20). و«إسناد الدوران إلى العيون وتشبيهه بنظر المغشي عليه الذي يعاني سكرات الموت تعبير دقيق عن حالة الخوف والرهبة وفي هاتين الآيتين تصوير دقيق لأن الفعل دور يعني اللف حول الشيء وهذا يوضح اضطراب أنفسهم وتغلغل الخوف فيها مما يجعلهم يبحثون عن مفر يلجؤون إليه أو حل لما هم فيه لذا تدور الأعين في أرجاء المكان ينظرون أحدهم في وجه الآخر ونسبة الفعل نظر إلى المغشي عليه أو استعمال أداة التشبيه الكاف يصور عظم الخوف ويقرب صورته لما يكون عليه حال المغشي عليه من انهيار وخوار فلا يرى الأشياء كما هي بل يشعر بدوران الأرض حوله ثم فقدان الوعي وهكذا حال الخائفين»[435]. كما بيّن الخطاب القرآني أنواعا للخوف "منها ماهو محمود كالخوف من الله حينما يحول بين الإنسان وبين المعاصي ويدفعه إلى الاجتهاد في العبادة فيحقق له السكن والاطمئنان،قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآَيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (السجدة/15). أما حين يؤدي إلى اليأس والقنوط والتمادي في المعصية فيكون مذموما»[436].

ويذكر الخطاب القرآني سياقا آخر أو نوعا آخر للخوف وهو الخوف الطبيعي أو الفطري وهذا النوع لا يلام عليه العبد إلا إذا كان سببا لترك واجب أو فعل محرم كالخوف من الفقر لقوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ﴾ (الإسراء/31) أو الخوف من الظواهر الطبيعية كما قال تعالى ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آَذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة/19).

ويأتي سياق الخوف في الرعب الذي يقذفه الله سبحانه وتعالى في قلوب الأعداء حتى ينصر أولياءه قال تعالى ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ (الأحزاب/26). كما يأتي الخوف في صورة الأهوال يوم القيامة أين تشل الحركة والتفكير ،ويصاب الإنسان بالذهول يوم الفزع الأكبر أين

[435] كريم حسين ناصح الخالدي:الخطاب النفسي في القرآن الكريم دار صفاء للنشر والتوزيع عمان، ط1 ،2007ص81
[436] زينب الكروي:التصوير البياني في آيات الأمن والخوف،ص32

«تتعدى الأهوال البشر إلى مظاهر الطبيعة الصامتة المتحولة هولا وفزعا،قال تعالى يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا (المزمل/14)»[437]. كما يتجسد الخوف الأعظم في الخوف من الله سبحانه وتعالى ويستوجب هذا الخوف فعل ما أمرنا به وترك ما نهينا عنه، فالخوف هنا لا يراد به الشعور الذي ينتاب الإنسان عند شعوره بالخطر من حاكم طاغ أو وحش ضار أو مرض أو ما شابه. يقول تعالى في هذا الشأن: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ (الرحمن/46) ويقول في موضع آخر: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (السجدة/16). وفي قصة سيدنا موسى عليه السلام مظاهر متعددة للخوف تجسدها الشخصيات المحيطة بنبي الله، وكانت مسؤولة عن مسار حياته. وقد مرّت هذه الشخصيات بما فيها موسى عليه السلام بظروف وحالات نفسية مختلفة الأمر الذي جعل الخوف يكون جزءا من هذه الحالات. وتختلف سياقات الخوف عند كل من أم موسى وموسى عليه السلام وقوم فرعون وسنرى ذلك في القصة.

1.1. خوف أم موسى

لقد جعل الله سبحانه وتعالى عاطفة الأمومة تمتثل لأمره حينما قال: "وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ" (القصص/7). ويصل الصبي بعد ذلك إلى قصر فرعون ويتربى هناك ويصير له العدو الموعود بتخطيط من الله عز وجل. وكان من الأجدر أن يتربى الطفل على يد أمه، لكنّ انفعال الخوف حال دون ذلك إضافة إلى ما أوحى الله به إليها في أمر ولدها، فخوف الأم هو خوف غريزي فطري على وليدها من جهة كيف لا والولد بالنسبة إليها قرة العين ومهجة القلب، ومن جهة ثانية هو خوف عليه من الظلم والقهر الذي عاشته في ظل مستبد طاغية يمحو أثر الحياة على الأرض، فتجبرُ فرعون وطغيانه وقتله الأطفال هو دافع الخوف لهذه الأم فخوفها لم يكن من الظلام أو من المرض أو العجز، إنما خوفه من إنسان متصف بالأذى الجسدي والمعنوي، الأمر الذي جعلها قلقة على وليدها خائفة من المصير ومن المجهول وهو ما يصيب ولدها من أذى. وقد قال تعالى في شأنها: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ

[437]زينب الكروي ،المرجع السابق ص33

قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (القصص/10، 11). والفؤاد هو القلب «لكن لا يسمى القلب فؤادا إلا إذا كانت فيه قضايا تحكم حركتك»[438]. والفراغ في هذا السياق هو فراغ القلب من الصبر. والمعنى «خلا من كل شيء وانحسر عند كل شيء إلا ذكر موسى وفراغ الفؤاد هو الخوف والاشتياق»[439]. معنى ذلك أن الفراغ هو مصدر خوفها. كما أنه يذكرها بفراق ولدها ليزداد قلقا وخوفا عليه "وحالة الخوف تولد نفسية مضطربة غير قادرة على التحكم في الآليات الذهنية والفكرية عند الفرد،ما يجعل هذا الفرد في حالة انهيار وعدما القدرة على توقع ما يمكن أن يحدث له مستقبلا"[440]. والتحوّل من الحالة العادية إلى الحالة الانفعالية التي صاحبها خوف الأم يبيّنه فعل (أصبح) الذي يحمل معنى الصيرورة الذي يقتضي التحول من حالة إلى أخرى. والفراغ حسب قول المفسرين هو أنه «فارغ من الخوف والحزن فأصبحت واثقة بحسن عاقبته تبعا لما ألهمها الله من أن لا تخاف ولا تحزن فيرجع إلى الثناء عليها وهذا يوضح قوله تعالى "لولا ربطنا" لأن ذلك الربط من توابع ما ألهمها الله من أن لا تخاف ولا تحزن، فالمعنى أنها لما ألقته في اليم، كما ألهمها الله زال عنها ما كانت تخاف عليه من الظهور عليه عندها وقتله»[441]. وإن كان سياق تفسير هذه الآية ينفي الخوف والحزن فمعنى ذلك أن أم موسى قابلت الخوف بنوع من الحذر فهي تخفي خوفها ولا تظهره خشية ضياعه أو قتله وهذا النوع من الخوف يعرفه علماء النفس بأنه:«حالات مستترة منه حيث يحتفظ الشخص الذي تواجهه هذه الحالات بقدر كبير من ضبط النفس إذ يحاول عدم الظهور على حقيقته من المشاعر التي تتحرك في داخله بسبب هذا الخوف الذي يواجهه»[442].

ومن مظاهر الخوف عند أمّ موسى عليه السلام ذلك التردد والاضطراب في قوله تعالى: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ (القصص/10)، أي أنها كادت أن تظهر أمر ابنها من شدة الاضطراب وهذا ما يجعلها في حالة من الحيرة وصعوبة الاختيار وصعوبة اتخاذ الموقف، الأمر الذي أدى إلى محاولتها بأن تظهر ابنها وهي لا تستطيع في الآن نفسه. والكلام واتخاذ القرار في إنقاذ ابنها مظهر آخر من مظاهر الخوف عند هذه الأم، فهي توصي

---

438 محمد متولي الشعراوي:تفسير الشعراوي ج17 ص10890
439 ينظر الدر المصون ج8 ص633 والفخر الرازي ج22 ص 219
440 عبد العزيز خواجة:أنماط العلاقات الاجتماعية في النص القرآني ص 184
441 الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير،ج16 ص79
442 يحي عرودكي:الخوف داء ودواء دمشق،دط،دت ص34-35

ابنتها بحمايته "وقالت لأخته قصيه" أي تتبعي أثره وهي حالة تعبيرية عن الخوف بالحركة والانتقال والبعد عن مصدر الخوف «فالشخص قد يخطط للتخلص من مصدر الخوف الذي يهدد أمنه وذلك بالبعد المكاني عن ذلك المصدر»[443]. والأم تزداد خوفا وقلقا لهذا البعد لذلك تطلب من ابنتها تقصي الأثر حتى تطمئن عليه، فهي إذن تحاول منحه الهروب من الخطر بوحي من الله إليها بعدما كانت في حيرة من اختيارها "فهي تختار بين أن تحتضنه فيذبح بين يديها أم تتركه يتلقى قدر الله"[444].

2.1. خوف موسى عليه السلام

تتوزع درجات الخوف عند موسى عليه السلام بين خوف الإنسان من أي خطر يحدق به أيا كان نوعه وخوف النبي الذي أوكلت له الرسالة. ويظهر الخوف في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص/21..15). وتبدأ الحوادث هنا من الشجار الذي دار بين موسى عليه السلام والقبطي مع تحديد زمن الحادثة في قوله تعالى: ﴿علَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها﴾ "أي «وقت القيلولة لأن قوم موسى كانوا مضطهدين وهناك بعض المدن يمنعون من دخولها لأن بها أكثرية من أعدائهم وكان موسى واحدا منهم، لكن الله جعل موسى يعزم على دخول المدينة فلما دخل وجد فيها رجلين يتشاجران مِن شِيعَتِهِ أي من بني إسرائيل والآخر من القبط»[445]. وكانت نتيجة التشاجر

[443] توفيق ميخائيل أسعد:سيكولوجية الخوف دار نهضة مصر،دط،دت ص256
[444] محمد قطب :صورة المرأة في قصص القرآن مكتبة مصطفى الحلبي مصر،ط1 1996 ص74
[445] محمد متولي الشعراوي:قصص الأنبياء والمرسلين ص322

هي القتل ولكنه لم يكن عمدا بل جاء دفاعا. وكلمة (وكزه) تحمل معنى لغويا هو الضرب بكف اليد وهي تشير إلى القوة العضلية لموسى عليه السلام مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أشدَّه واسْتوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْما﴾ (القصص/14) والأشد في بلوغ الثلاثين والاستواء هو بلوغ الأربعين. وهذه الكلمة "أشد" توحي بالقوة وتعطي فكرة عن صورة البطل الجسدية والعضلية فضلا عن الدال المشددة وما تحمله كلمة (استوى) من وصول البطل إلى مرحلة نضجت فيها كل قواه.

والملاحظ أن هذه القوة الجسدية تقابلها صورة نفسية مناقضة لها هي صورة الإنسان الخائف المنتظر لمكروه سيلحق به في أي وقت. قال تعالى: ﴿فأَصْبَحَ فِي المَدِينَة خَائِفًا يترَقبُ﴾ (القصص/18) فالمدينة مرتع كل الأجناس تعج بالحركة والضجيج. وهي بالنسبة إلى موسى مصدر الخوف من أهلها ممن يتربصون به لأن ثمة علاقات وشيجة واتصالات تصل قصر فرعون «فالظرف المكاني للخطر أو الضرر المسبب للخوف يلعب دورا بارزا في تكوين المظاهر والعلامات التي تنبئ عن الخوف،فإذا كان المكان مما يساعد على إمكانية مواجهة أسباب الخوف بشكل أفضل فإن تلك المظاهر والعلامات والدلالات تختلف عن تلك التي يمكن أن تتبدى فيما إذا كان المكان يساعد على زيادة الخطر أو الضرر أو الأذى»[446]. وعلامات الخوف جعلته يقف موقف الحذر "يترقب". إنها الكلمة القرآنية التي لها وقع في النفس من حيث الدقة في انتقاء الألفاظ المناسبة لإصابة المعنى النفسي فلفظة يترقب ترسم هيئة الحذر المتلفت الذي يبدو في قلق شديد ولا يعقل الخوف هنا، وهو يترقب في المدينة وهي موضع الأمن والاطمئنان فالعبارة هنا تصور قيمة اللفظ المصور للفزع في موضع الأمان. وتقديم كلمة خائفا على "يترقب" إيحاء بالفزع الذي استولى على موسى وأثقل كاهله وجعله يحس بالوحدة والاغتراب فكان أفضل حل له وهو الهروب. والملاحظ أن هذا النوع من الخوف هو خوف من الأذى الجسدي لأن المشهد يتعلق بالعصبية القبلية فموسى قد ظاهر الإسرائيلي فلابد لعدوه أن يثأر له. وكيف تكون عملية الثأر؟ إنها بلا شك قتل وذبح ودون ذلك. وبالتالي تشتد لحظات الخوف لدى موسى.

---

[446] يحي عرودكي،الخوف داء ودواءص 34

وبالرغم من اندفاع موسى عليه السلام لقتل القبطي لمناصرة الإسرائيلي فإنّ هذه الشخصية الفذة تدرك خطأها وكأنها تريد أن تعوض ذلك الخوف والاضطراب في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام ﴿قالَ هذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾. وهو قرار صائب ثابت ينم عن شخصية خائفة لا من هروبها ولكن من الله سبحانه وتعالى الذي أودع لها الرسالة لتبليغها إلى أعدائه وسنتعرض لتفاصيل هذه الآية أكثر في عنصر النّدم.

وتتجلى مظاهر الخوف عند سيدنا موسى عليه السلام في قوله تعالى على لسان نبيّه: ﴿رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (الشعراء/12..14)، فقد دعا الله سبحانه وتعالى نبيه لمواجهة فرعون بالرسالة وإقناعه بالحق، فما كان لموسى إلا أن يبدي هواجس نفسه لربه الكريم، وهي هواجس الخوف من فرعون وقومه. وأوّل سبب للخوف هو التكذيب خاصة وأن فرعون يدعي الألوهية فكيف له أن يقتنع بما يقوله الرسول. والخوف هنا جاء «لعلمه بأن مثل هذه الرسالة لا يتلقاها المرسل إليهم إلا بالتكذيب وجعل نفسه خائفا من التكذيب لأنه لما خلعت عليه الرسالة عن الله وقر في صدره الحرص على نجاح رسالته فكان تكذيبه فيها مخوفا منه»[447]. معنى ذلك أن خوفه إيجابي وهو خوف من الإساءة لقيم الرسالة المرسلة إليهم ومن علامات الخوف قوله تعالى: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ (الشعراء/13). والضيق «ضد السعة وهو هنا مستعار للغضب والكمد لأن من يعتريه ذلك يحصل له انفعال وينشأ عنه انضغاط الأعصاب في الصدر والقلب»[448]. وضيق الصدر يجعل لسانه يتعثر في الكلام وبالتالي تفشل العملية الاتصالية بينه وبين هؤلاء. وهذا ما يشير إليه علم النفس بالخوف الظاهر وهي حالة تجعل ضحيتها في وضع يختلف كليا عن وضعه في الأحوال العادية التي يعرف بها، إذ ينتابه الانقباض والتبدل في قسمات وجهه وحركات أطرافه وطريقة كلامه والتعبير عن حالة الخوف في هذا السياق جاءت عن طريق اللسان لطلب النجدة «فالخوف عندما يعتمل في قلوب الأفراد والجماعات فإن طلب النجدة باللسان أو بالقلم يكون من أهم الوسائل التي يعبر بها الفرد الخائف أو الزعيم الذي يعبر عن خوف المجموعة التي يتزعمها فيطلب النجدة»[449]. ونبي الله موسى عليه السلام يطلب النجدة من

---

[447] الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج19، ص105

[448] المصدر نفسه ،ج 19 ،ص106

[449] يوسف ميخائيل أسعد،سيكولوجية الخوف ،نهضة مصر الجديدة ،دط،دتص 255

الله سبحانه وتعالى بأن يرسل إليه هارون حتى يكون معينا له في دعوته. وبالتالي تكتمل المهمة المنوطة به.

وتتعدى مسألة الخوف بطريق التكذيب لينتقل إلى سياق آخر أكثر خطورة وهو الخوف من القتل لقوله تعالى:﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذنب فأخافُ أن يَقْتُلُونِ﴾ (الشعراء/14). وقد أطلق الذنب على المؤاخذة بدم القتيل الذي وكزه موسى وقضى عليه، فقوله تعالى: "فأخَافُ أَنْ يَقْتُلونِ" ليس هلعا وخوفا من الموت «فإنه لما أصبح في مقام الرسالة ما كان بالذي يبالي أن يموت في سبيل الله، ولكنه خشي العائق من إتمام ما عهد إليه مما فيه له ثواب جزيل ودرجة عليا»[450]، فالخوف على هذه الرسالة من الضياع جعله يقرن بينها وبين الخطر المحدق به وهو خطر الانتقام خاصة وأن فرعون مشهور بالقتل والتعذيب والانتقام فموسى عليه السلام يعبّر عن خوفه عن طريق استحضار الحادثة التي فر منها هاربا وهي الحادثة التي تكرر سياقها في سورة الشعراء بتصريح من موسى عليه السلام في قوله تعالى على لسانه ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الشعراء/21).

وينتقل سياق الخوف لدى موسى عليه السلام إلى العصا التي تنقلب حيّة. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آَنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آَتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآَهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آَيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (النمل/7..12)، فالمتأمل لهذه الآيات يجد ظروفا وملابسات نفسية أحاطت بموسى عليه السلام وهو في رحلته مع أهله تنتابه لحظات البحث عن الطريق المنشود. وفي ظل كل هذا تظهر دلائل الخوف في هذه الرحلة التي تبدأ في ظلام دامس، يسعى فيه موسى عليه السلام أن يجد حلا لهذا الضياع الذي يمثل لديه مصدرا آخر للخوف فإذا بالحل يظهر. إنه ذلك الشعاع من النار الذي يتحول إلى معجزة

---

[450] الطاهر بن عاشور،تفسير التحرير والتنوير،ج19 ص 107-108

الهية فالنار تمثل انجلاء الوحشة كما تمثل مصدرا للرهبة والخشية يعقبها بعد ذلك التحول المفاجئ من المصدر النباتي إلى الحيواني ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رآها تَهتَزّ كَأَنَّهَا جَانّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ (النمل/10). فأوّل مصدر للخوف هو ذلك الاهتزاز الذي اعترى العصا وحوّلها إلى جان «والاهتزاز الاضطراب وهو افتعال من الهز وهو الرفع كأنها تطاوع فعل هاز يهزها والجان ذكر الحيات وهو شديد الاهتزاز وجمعه جنان»[451]. فخوف موسى عليه السلام كان من المجهول فهو لم يكن يتوقع ما سيرى، فأكثر ما يسبّب الخوف للبشر في حياتهم اليومية هو «مواجهة الفرد منهم للمجهول من الأمور والأحداث والأشخاص والحيوانات وبصورة عامة كل شيء غير معلوم أو واضح لدى الفرد أو الجماعة ويرتكز الخوف من المجهول على توقع الخائف أن يواجه شيئا أو أمرا غير معلوم لديه»[452]. وهذا الأمر غير المعلوم جعل موسى عليه السلام في هيئة نفسية يعبر بها عن خوفه عن طريق حركة سريعة غير متوقعة "فولى مدبرا ولم يعقب" فالتولّي «الرجوع عن السير في طريقه وفعل تولى مرادف فعل ولى والإدبار التوجه إلى جهة الخلف. وهو ملازم للتولي والتعقيب الرجوع بعد الانصراف مشتق من العقب لأنه رجوع إلى جهة العقب أي الخلف فقوله لم يعقب تأكيد لشدة توليه أي ولى توليا قويا لا تردد فيه»[453] ذلك لأن العصا عود من خشب كان فرعا من شجرة، فجنسه نباتي ولما قطعت وجفت صارت جمادا، فذلك التحويل الذي حولها الله سبحانه وتعالى هو مصدر الخوف الحقيقي لموسى عليه السلام، فتلك الصورة المنقلبة على ما كانت عليه جعلت موسى عليه السلام يضطرب ويخاف.

3.1. خوف قوم فرعون

قال تعالى:﴿فَمَا آَمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (يونس/83).

إنّ الإيمان برسالة النبي موسى عليه السلام جعل فئة قليلة من الذين آمنوا –وعلى الرغم من ذلك الإيمان بما رأوا من معجزات– يقترن إيمانهم بالخوف من فرعون وحاشيته. وجاءت صيغة الخوف "على خوف" التي تفيد الاستعلاء. وفي هذا السياق "يكون المستعلي متمكنا

[451] الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير،ج19 ص228
[452] يحي عرودكي:الخوف داء ودواء،ص68
[453] الطاهر بن عاشور:،تفسير التحرير والتنوير، ج19 ص228

من المستعلى عليه[454]. والكلام هنا من الحق الأعلى سبحانه يبيّن لنا «أن الخوف ليس من فرعون لأن فرعون، إنّما يمارس التجويف بمن حوله وفرعون في وضعه ومكانته لايباشر التعذيب بنفسه، بل يقوم به زبانيته. والإشارة هنا تدل على الخوف من شيعة فرعون وملئهم»[455]. وبهذا، فخوف القوم إذن مصدره فرعون وحاشيته لِمَا ادّعى لنفسه من الألوهية وتهديده اللاذع لكل من خرج عن طوعه خاصة وأنه يستعمل كل ألوان التعذيب والتهديد خشية زوال ملكه، فقد سبق وأن ذبح وقتل من بني اسرائيل الكثير، الأمر الذي جعل بعضا منه يخافونه أشد الخوف وهنا يظهر هذا النوع من الخوف وهو الخوف من البشر "فكثير من الناس يخافون أن يبطش بهم الأقوياء وذوو النفوذ والسلطان والطغاة والظالمون"[456]. والخوف هنا جاء معنويا وتمثل في قوله تعالى: "يفتنهم". والفتن «إدخال الروع والاضطراب على العقل بسبب تسليط ما لا تستطيع النفس تحمله»[457].

2. الفرح

الفرح نقيض الحزن. وهو :«أن يجد في قلبه خفة. قال تعالى ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (القصص/76) فمعناه والله أعلم لا تفرح بكثرة المال في الدنيا لأن الذي يفرح بالمال يصرفه في غير أمر الآخرة، والفرحة المسرة وفرح به سُرّ»[458]. والإنسان يشعر بالفرح إذا قال ما يتمناه وابتغاه، وهو أمر نسبي يتوقف على أهداف الإنسان في الحياة، فكلٌّ يفرح حسب انقضاء حاجاته وأمنياته في الحياة . وقد عبّر الخطاب القرآني عن سياقات الفرح في مواضع كثيرة كيوم الحشر إذ يقول تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ» (القيامة/22)[459] فالنضارة من علامات الفرح إذ يطفح الوجه بالبشر فتتورد وجنتاه وتلمع عيناه فرحا برؤية الحق".

ونعثر على سياق آخر للفرح في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِية﴾ (الحاقة/19،21) «فالعبارات

---

[454] محمد متولي الشعراوي،تفسير الشعراوي،م10 ص6149
[455] المرجع نفسه،م10
[456] محمد عثمان نجاتي:القرآن وعلم النفس،دار الشروق،القاهرة،ط7،2001،ص78
[457] الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير،ج11،ص260
[458] ابن منظور:لسان العرب م5 ،ص3371-3372
[459] كريم حسين ناصح الخالدي:الخطاب النفسي في القرآن الكريم ص 83

التي ينطق بها تفصح عن حالة الفرح الشديد الذي يعتري الإنسان وهو يكسب شيئا يثلج صدره فيسعى لإظهاره للناس ويتمنى أن يعرف الناس جميعا خبر هذا الجزاء المبهج الذي ناله وقد عبر عنه الخطاب بعبارة تنطق بحروفها المتجانسة وأصواتها وبنية التركيب الذي ضمها بالتباهي بذلك»(460)

وتتجلى سياقات الفرح في القصة في شخصية أم موسى عليه السلام وامرأة فرعون.

1.2. فرح أم موسى

قال تعالى:﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ (طه/40).

إنّ وعد الله حقّ فقد طمأن سبحانه وتعالى أم موسى وأعطى لها الأمان بإرجاع طفلها إليها بعد أن جال وولج عباب الموج إلى أن وصل إلى بيت فرعون. قال تعالى: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص/7). وهي بشارة ربانية ستزرع الفرح في قلب الأم، وتُذهب الخوف وتزيل الحزن. وفوق كل هذا نلاحظ رسولا مبشرا برسالة الحق فقد كان الوعد عن طريق أخته التي خبرت به فكانت المراقب له تقتفي أثره حيث كان، فبعد أن علمت بنجاته من اليم ورفضه للمرضعات تدخلت بطريقة مباشرة لتدلهم على المرضعة الحقيقية التي يطمئن لها الصبي، فكان ما أرادت الأم التي انتظرته بفارغ الصبر أن يعود إليها بعدما كانت خائفة عليه. وكان شغلها الشاغل كيف تخفيه عن أعين الناس والموت يحيط به من كل صوب، وكيف تكفه عن بكائه، وكيف تداري ذلك كي لا يسمعه أحد. لقد كانت نتيجة كل هذا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَرَجّعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ (طه/40). ففرح الأم سيكون عن طريق حسي ومعنوي في الآن ذاته "قرة العين" "كي تقر عينها" وتقر العين «أي تثبت لأن التطلعات إما أن تكون معنوية أو حسية فالإنسان لديه أمان يتطلع إلى تحقيقها فإذا ما تحققت تقول لم يتطلع إلى شيء لأن الإنسان لا يتحول من الجميل إلا إذا رأى ما هو أجمل وهذا ما يسمونه قرة العين يعني الشيء الحسن الذي تستقر عنده العين ولا تطلب عليه مزيدا في الحسن»(461)، فالله سبحانه وتعالى ينفي الحزن عن أم

460المرجع نفسه، ص85

461الشعراوي:تفسير الشعراوي،م15،ص9272

موسى، «وعطف نفي الحزن على قرة العين لتوزيع المنة ،لأن قرة عينها برجوعه إليها وانتفاء حزنها بتحقق سلامته من الهلاك ومن الغرق وبوصوله إلى أحسن مأوى»[462]. وما دامت هذه أمنيتها الوحيدة فلا يجب أن تحزن. معنى ذلك أن الفرح ملازم لها، فتلك الأيام المريرة التي عاشتها عوضت بكلمة قطعية "لا تحزن" بمعنى أنها لن تعرف اليأس بعد اليوم ولا الكآبة ولن تشعر بذلك العذاب الذي حز في نفسها بفقدها لولدها.

2.2. فرح امرأة فرعون

قال تعالى:﴿ وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (القصص/29). وقرة العين في هذا السياق «بمعنى ثباتها وعدم حركتها. وثبات العين واستقرارها إما أن يكون ثباتا حسيا أو معنويا. والثبات المعنوي أن تستقر العين على منظر أو شيء بحيث تكتفي وتقنع به ويغنيها عن التطلع لغيره ومنه قولهم فلان ليس له تطلعات أخرى يعني اكتفى بما عنده»[463]. والمعنى هنا قرة عين. ولك «تعني أن يكون نعمة ومتعة لنا نفرح به ونقنع فلا ينظر إلى غيره»[464]. وقد فرحت امرأة فرعون لأنّ أمنيتها تحققت بفوزها بالولد فالله سبحانه وتعالى قد رزقها الولد بعد أن حرمت منه. وفرحها نجم عنه التفكير في المستقبل، فهذا الولد الذي هو سبب فرحتها سيصبح مصدر نفع لهما، سينشأ في ذلك القصر ويعيش فيه عيشة رغدة تتوفر فيها كل ملذات الحياة الكريمة، فمحور الفرح بالنسبة إلى امرأة فرعون هو الولد فإذا كان أصحاب القصور العظيمة يفرحون ويأنسون بالأموال والثروات ووفرتها فإن امرأة فرعون فرحت بالصبي الذي سيكون لها سندا قويا في الحياة. وهذه حكمة الله سبحانه وتعالى فقد عوضها بالولد البار المطيع ما جعل نفسها تطمئن وترتاح من تلك الحياة القاسية الظالمة التي يعيشها فرعون.

3. التسلط

[462]الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير،ج 16 ص219
[463]الشعراوي:تفسير الشعراوي م،15،ص9273
[464]المرجع نفسه،ج17ً ص 10889

يحمل هذا المصطلح كل معاني السطوة والغلبة والقهر. جاء في لسان العرب مادة (س،ل،ط): «السلاطة هو القهر وقد سلطه الله فتسلط عليهم. وسلطان كل شيء شدته وحدته وسطوته»[465].

أمّا عن التعريف الاصطلاحي فيعرف في مجال علم النفس بأنه :«اتجاهات في سياسة الأفراد والجماعات وإدارتهم تتصف بممارسة السلطة عليهم وعدم احترام آرائهم ومشاعرهم وتخويفهم بالعقاب إن خالفوا ما يرفضه السلطان أو صاحب السلطة عليهم أو اعترضوا عليه»[466]. وبهذا يلتقي التعريف اللغوي مع الاصطلاحي في ممارسة السلطة والاعتراض في الرأي والتعصب والتهديد لكل من يمس سلطة المتسلط وتتجسد الصفة عند فرعون بظلمه وجبروته وتنبثق عن هذه الصفة صفات نفسية أخرى تندرج تحت حقل التسلط وهي الطغيان والكبر والانتقام .

1.3. الطغيان

كلمة طغيان مأخوذة من طغى يطغى طغيانا. جاء في لسان العرب"طغى طغيانا جاوز القدر وارتفع وعلا في الكفر. وكل مجاوز حده في الطغيان طاغ وطغى الماء والبحر ارتفع وعلا على كل شيء فاخترقه وفي التنزيل العزيز:﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ (الحاقة/11)»[467]. أما اصطلاحا فيعرفه الشريف الجرجاني بأنه :«مجاوزة الحد في العصيان[468]. وصفة الطغيان تمثلها شخصية فرعون المستبد. يقول تعالى: "اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى" (النازعات/17). والطغيان في هذا السياق هو إفراط التكبر مصداقا لقوله تعالى: ﴿لِلطَّاغِينَ مَآبًا﴾ (النبأ/22)، فكلمة فرعون بالذات تعني «ابن الشمس الآلهة. وكان قدماء المصريين يسمون هذه الشمس رع وإليها كان ينتسب فرعون وكانت كل امرأة تعتلي السلطة في مصر تقدم نفسها للناس على أنها سليلة الشمس الآلهة. وكان كل حاكم يجلس في كرسي الحكم فيها يتخذ لنفسه لقب فرعون ويؤكد لأهل البلاد أنه ربهم الأعلى»[469]. والفرعنة هي «الدهاء والمكر والكبر والتجبر والتفرعن هو الخلق بخلق الفراعنة وقيل الفرعون

---

[465]ابن منظور:لسان العرب م3 ص2065
[466]فرج عبد القادرطه،موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ص
[467]ابن منظور،لسان العرب،دار المعارف القاهرة دط،دت ج30 ص2677
[468]الشريف الجرجاني،التعريفات ص 126
[469]أبو الأعلى المودودي:فرعون في القرآن،المختار الإسلامي،القاهرة،دط،دت ص11

هو التمساح في لغة القبط»[470]. وقد نتج عن طغيان فرعون مفاسد في الأرض وأعمال إجرامية جمة تجسدت في قوله تعالى في سورة القصص: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص/4). والعلو هنا "القهر والغلبة ويعني أرض مملكته ويعني الأرض مملكته التي طغى فيها وجاوز الحد في الظلم والفسق[471]". ومعنى علا من العلو أي "استعلى والمستعلى عليه هم رعيته بل علا على وزرائه والخاصة من رعيته وعلا حتى على الله عز وجل فادعى الألوهية وهذا منتهى الاستعلاء والطغيان والتكبر»[472].

وتتجسد صفة الطغيان والعلو في آية أخرى في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ﴾ (يونس/83). والفرق بين الآيتين هو أن الثانية بدأت بحرف التوكيد "إن" التي تجعل القارئ مستعدا لتلقي الخبر وتأكيد هذه الصفة على فرعون بينما الآية الأولى فقد ورد فيها الفعل ماضيا دلالة على سرد الأحداث وبيان سلسلة الجرائم التي اقترفها فرعون.

وتجسد آية القصص هذه الشخصية في أوج علوها من خلال قوله تعالى:"علا في الأرض" فقد قرنت بين متناقضين صفة العلو ومكان العلو، فمن المعروف أن العلو يكون في مكان مرتفع أو هو كل ماهو فوق. لكنّ فرعون علا في الأرض والأرض مهبط الطيب والخبيث والحر والعبد فهو علو إذن يوحي بالسخرية والوضيعة والاستهزاء. كما أن العلو مناقض للعلو الإلهي الحق ونتصل بعالم أرضي يسوده الفساد والظلم فمعنى العلو في هذا السياق هو "الكبر وهو المذموم من العلو المعنوي"[473]. وهذا الطغيان والعلو جعله يرتكب مفاسد جمة جسدها الله تعالى في قوله: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص/4). فالمفسدة هنا تنبئ عن شخصية مفرقة بين الناس حيث جعلهم شيعا «أي فرقا يتبعونهم فيما يريد ويطيعونه، ولا يملك أحد منه مخالفته أو يشيع بعضهم بعضا في استخدامه أو أصنافا في استخدامه أو فرقا مختلفة قد أجرى بينهم العداوة ليكونوا له أطوع»[474]. ومن أنواع الفساد الاستضعاف فقد كان فرعون يستضعف طائفة من أهل مملكته فيجعلها مهضومة لا مساواة بينها وبين فرق

[470] الزبيدي:تاج العروس،ج9 ص301
[471] الزمخشري: الكشاف ،ج4،ص481
[472] الشعراوي:تفسير الشعراوي، ج،17 ص10871
[473] الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير،ج10 ص66
[474] الفخر الرازي:التفسير الكبير ج 24 ص 225

أخرى. وهو بذلك يمارس كل أنواع العذاب للذين خرجوا عن طوعه. وتأتي بعد ذلك مرحلة من أشد أنواع الفساد تتمثل في خلخلة نظام النسل وهي الذبح والاستحياء، فالفعل (يذبّح) ورد بالتشديد دلالة على التكبر وبالتالي وقع تأثير في النفس وتصوير للشخصية المنتقمة. والذبح في الأصل الشق وهو المذبوح. أما فعل (يستحي) فيدل على ترك النساء أحياء ليستخدمهن في تحقيق أغراضه. وهذه المفسدة هي تشجيع للرذيلة وتفشي المعاصي. وتنتهي الآية الكريمة بقوله تعالى: "إنه كان من المفسدين". والإفساد "أن تأتي إلى شيء صالح في ذاته فكون فرعون يقتل الذكور من أطفال بني اسرائيل ويستحي النساء فهذا إفساد كبير لأن هناك شيئا اسمه استبقاء النوع فهو حين يقدم بهذا العمل يهدد بقاء النوع فهو يقتل الأولاد خشية أن يناله منهم شر، لكن النساء يستبقيهن للخدمة والإذلال لأنهن ليس لهن شوكة ولا خطر منهن على ملكه"[475]. وقد قال تعالى في شأن المفسدين: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ ((البقرة/205). معنى ذلك أنّ فرعون لا يقرب من مكان في الأرض إلا ليفسد فيه وهو بذلك يتطاول على النسل الذي يمثل امتدادا للحياة البشرية. وهذه الآية تبين «أن إهلاك النسل كناية عما يعتمل في نفس هذا المخلوق من الحقد والشر والغدر والفساد أي كل مافيه ضرر وأذى لبني الإنسان»[476]، فشخصية فرعون شخصية قمعية تمارس ذاتها بطريق القوة الجسدية والمعنوية، لذلك كانت وسائل القمع لدى الدولة الفرعونية منقسمة منها وسائل القمع الجماعية، وهي «وسائل استخدمها في الإبادة الجماعية والعرفية لمجموعة من الأقليات داخل دولته وترتكز خاصة على الحد من التزايد السكاني وإضعاف القوة البشرية "الرجل" وتشويه الموروثات الجينية لسلالة تلك الأقليات»[477]. وتتمثل أدوات القمع في «تذبيح الأبناء قصد الحد من السلالة وإضعاف القوة البشرية للجماعات التي يحتمل أن تشكل قوة بشرية مستقبلا وتجسد هذه القوة الأطفال الذين يذبحون (يذبّحون أبناءكم). كما تتمثّل في استحياء النساء بهدف تشويه الموروثات الجينية من جهة وضمان الحد الأدنى من الشعور بالدونية نحو السلطة (ويستحيون نساءكم)[478]. فطغيان فرعون إذن تمثل في الفساد والتسخير فكل من على الأرض مسخر لتلبية رغباته فهو لا يعترف بحقوق الآخرين ولا يحترم إنسانيتهم، فشخصيته

[475]متولي الشعراوي:قصص الأنبياء والمرسلين،ص 310-311
[476]سميح عاطف الزين،معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة، ج2 ص504
[477]عبد العزيز خواجة:أنماط العلاقات الاجتماعية في النص القرآني،ص215
[478]المرجع نفسه، ص 215

الطاغية تعاني من عقد نفسية يحاول إخفاءها عن طريق السيطرة وإخضاع الآخرين له بصفة دائمة، الأمر الذي يجعلهم يخافون ويفزعون في كل ثانية وكل دقيقة خشية منه.

2.3. الكبر

جاء في لسان العرب:«الكبر والكبرياء المتعالي على صفات الخلق والكبرياء العظمة والملك. وقيل هي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود ولا يوصف بها إلا الله تعالى»[479]. والكبر عبارة عن خلق في النفس، وهو شعورها بعظمتها وأنها فوق الآخرين، معنى ذلك أنّ الكبر مصحوب باحتقار الناس والترفع عليهم. والمتكبر يحاول أن يتعالى بكلامه وتصرفاته وحركاته ليضع نفسه في مكانة أعلى من الآخرين. والكبر منبوذ في الدين الإسلامي. قال صلى الله عليه وسلم (لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ) (رواه مسلم). وهي صفة إبليس وفرعون كما جاء في القرآن الكريم. ومن مظاهر كبر فرعون إدعاؤه الألوهية فهو يؤله نفسه ويتطاول على التوحيد «والتأليه تطاول على التوحيد وهو وضع الذات البشرية فوق الحدود المقررة لها كبشر يعلن الشخص المتكبر بأنه إله ولما يكون حاكما مطلقا لا يعطي لنفسه مهمة وضع القانون فحسب بل يضع نفسه فوق القانون فلا بد إذن من إعطاء أوامره للمحكومين لعبادته والعبادة هنا ليست طقوسا بقدر ما هي أداة لتجريد الناس من قوة التفكير الحي الذي يحفظ لهم إنسانيتهم وكرامتهم»[480]. وتتجلى ألوهية فرعون في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء/23)، وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ (طه/49). نلاحظ أسئلة شكّية تبين صفة الاستهزاء لفرعون والتي تنم عن الكفر والجحود. وقد وردت الآية الأولى استفهاميّة عن طريق أداة الاستفهام "ما" التي تستعمل لغير العاقل ويُستفاد منها الاستهزاء والتحقير. وهذا يدلّ على جبروت فرعون وجهله برسالة الحق. أما الآية الثّانية فقد استُعمل فيها اسم الاستفهام "من" الدالة على العاقل. ولكنها في هذا السياق تدلّ على الاستخفاف بكائن ليس من طينته في قوله "من ربكما". وقد أسند الرب إلى موسى وأخيه ولم يضفه إلى نفسه للتشكيك ونفي العلم بأمر الألوهية. ويواصل جبروته وطغيانه فهو في هذه المرة يريد أن يبلغ أسباب السماوات والأرض وفي ذلك يقول تعالى:\﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ

[479] ابن منظور:لسان العرب،م5 ص2807

[480] ينظر:المفهوم القرآني والتوراتي عن موسى عليه السلام وفرعون ونفسية بني اسرائيل ،زاهية راغب الدجاني ص55 وص170

عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (القصص/38). فهذه الآية تتضمن هدفين لفرعون الأول "نفي إله غيره والثاني إثبات ألوهية نفسه»[481] ففرعون أراد بذلك أن يبني عالمه الخاص المسيطر عنه فخطابه للملأ هو «خطاب للجهاز المنتفع الذي يهمه بقاء فرعون بأي ثمن. وطبعا لهذا الجهاز سلطة على فئة الغالبية من الناس»[482] وحتى يبلغ هدفه وهو الارتقاء إلى السماء –والعياذ بالله– يستعين بوزيره هامان الذي خصه الله مع فرعون بالعذاب في قوله تعالى: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ (القصص/6). وشخصية هامان لا تختلف كثيرا عن شخصية فرعون إلا أنه يظهر في نص الآية رفيقا لفرعون وتابعا له فهو إذن شخصية مستضعفة خاضعة لتسلط فرعون. وهو يأخذ صورة المؤتمر بأمر فرعون والآمر للعمال ببناء الصرح. وبهذا تتضح شخصيته علانية بسمة الإذعان والقيادة والخوف. وبناء الصرح يتمثل في قوله تعالى: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾ (القصص/38). قال الطبري في شأنه: «المطبوخ الذي يوقد عليه وهو من طين يبنون به البنيان»[483]. والبناء« يدل على وصوله إلى اليقين بأن هناك إلها آخر فهو مجتهد في الوصول إليه أو لعله ظنه في مكان كما هو في مكان وذلك يدل على إفراط جهله»[484].

والملاحظ في هذه الآية استعمال حرف الترجي "لعل" الذي يجعل فرعون يحاول الارتقاء إلى السماء. وبالرغم من هذه المحاولة فإن شعورا بالخوف والقهر ينتابه وهو يواجه موسى عليه السلام بالرغم من هالة الملك والكبرياء. وهكذا تتصارع مفاهيمه العقائدية فيزداد توترا وقلقا فيلوذ إلى التهديد بقتل موسى تبريرا لخوفه الخفي في أغوار نفسه من صدق الوحي "ذروني أقتل موسى وليدع ربه"، فصفة الخوف طاغية على فرعون. وسبب هذا الخوف هو المنافسة على الملك وتحدي موسى عليه السلام له.

ومن علامات الكبر والاستكبار التي يتصف بها فرعون إعراضه عن آيات الله قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف/103). والظلم بالآيات أو اقتراف الظلم في حقها يعني «تكذيبها

481 الفخر الرازي:التفسير الكبير ج24 ص252
482 زاهية راغب الدجاني،نفسية بني اسرائيل في القرآن الكريم المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ،ط1 2000ص71
483 الطبري،تفسير الطبري ج 18 ص 255
484 مصطفى عليان،بناء الشخصية في القصة القرآنية دار البشير عمان ،ط1 1992ص 79

وعدم الإيمان بها ومحاولة رفضها باعتبارها سحرا ودجلا»[485]. فتكذيب الآيات يعني نفي الحق من طرف فرعون، لذلك تعتريه ظلمات تختزن في طياتها القلق والاضطراب ونتيجة كل هذا ظلمات العقل الجاهل المنحرف الضال المتكبر، فهو بهذا الكبر لا يرضي إلا نفسه، فلا يميز بين ظلام ونور ولا بين علم وجهل ولا بين إيمان وكفر. وهي بذلك تلازمه صفات ثابتة تتمثل في اتباع شهواته وأهوائه. تلك الأهواء التي يدخل في شهواتها مما يبعد عنه التأمل والتكبر في الآيات المرسلة إليه لذلك فهو مستكبر عن الأمر العجيب الذي يقف عنده العقل مشدوها خاصة وأن كلمة الآيات تحمل عدة معاني منها «أنها تطلق على الآيات القرآنية لأنها عجيبة أسلوبيا معبرة عن كل كمال يوجد في الوجود إلا أن تقوم الساعة وكل قارئ لها يأخذ منها على قدر ذهنه وقدر فهمه وتطلق على المعجزات الدالة على صدق الأنبياء»[486]. لذلك كان الظلم أحد دلائل الكبر لأن فرعون وقومه رفضوا اتباع منهج الحق وظلوا على فسادهم، وهم بهذا أعرضوا اعتراضا تاما على هذا المنهج.

وفي آية أخرى يقول تعالى:﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ (المؤمنون/46،47). والملاحظ في هذه الآية الإعراض الشديد عن الآيات المعجزات من طرف فرعون. وجاء ذلك عن طريق اللفظ الصريح (استكبروا). وهذا الاستكبار نتج عنه قوله تعالى على لسانهم (أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما عابدون). يقول الطاهر بن عاشور في شأن هذه الآية: «وهذا ليس من قول فرعون ولكنه قول بعض الملأ لبعض ولما كانوا قد تراضوا عليه نسب إليهم جميعا،وأما فرعون فكان معيقا لرأيهم ومشورتهم وكان له قول آخر حكي في قوله تعالى "وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري"، فإن فرعون كان معدودا في درجة الآلهة لأنه وإن كان بشرا في الصورة لكنه اكتسب الإلهية بأنه ابن الآلهة»[487].

ويبلغ الاستهزاء في الاستفهام الإنكاري أعلى درجاته عند قوله "أنؤمن" "أي ما كان لنا أن نؤمن بهما وهما مثلنا في البشرية وليسا بأهل لأن يكونا ابنيين للآلهة لأنهما جاءا بتكذيب إلهية الآلهة»[488]. وهم بذلك يطالبون بعدم المساواة بينهم وبين البشر المؤمن بآيات

---

[485]أبو الأعلى المودودي:فرعون في القرآن ص10
[486]الشعراوي:تفسير الشعراوي، م 7 ص4270
[487]الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير،ج 18 ص64
[488]الطاهر بن عاشور :المرجع السابق، ج18 ص64

الله،لأنهم يعتقدون أن إلههم مميز ومتفرد عن الإله الحق –والعياذ بالله– والإعراض والإكبار في هذه الآية جاءا بطعن في الرسالة من جهة وطعن في مرسليها وقومهم من جهة أخرى "وقومهما لنا عابدون" وهذه أعلى درجات الاستعلاء. وتزداد درجات الكبر والاستعلاء في قوله تعالى على لسان فرعون ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ (الزخرف/52). وبالتالي فقد "أجرى موازنة بينه وبين موسى عليه السلام في متطلبات الملك والرئاسة من الفصاحة والإبانة وكثرة العدد وآلات السياسة وتقاليدها [(489)]. وإحساس فرعون بواقع الملك وما ينضوي تحته من الكبرياء والعلو جعله عازفا عن التفكير بما يحاول أن يبنيه موسى عليه السلام من تفاصيل لرسالة الحق فهو إذن"متجاف عن طريقة التفكير الصائبة السليمة التي تنشأ في العادة عند الإنسان من إحساسه بالواقع مع تلقيه من غيره معلومات فيصبح عنده من ذلك فكر»[(490)]. وقد تجلت أعلى درجات العلو والكبر في قوله تعالى على لسان فرعون: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (النازعات/21..24). والآية حقيقتها "العلامة والأمارة وتطلق على الحجة المثبتة لأنها علامة على ثبوت الحق"[(491)]. وقد انجر عن هذه الحجة القاطعة التي بينها الله سبحانه وتعالى لفرعون موقفا معاديا من طرف فرعون ليصل إلى أعلى درجات الشرك في قوله تعالى على لسانه :"أنا ربكم الأعلى" وهذا الموقف تجسده أفعال تتدرج ضمن حقل الشرك وهي الأفعال المتوالية الذكر: كذب، عصى، أدبر، فحشر، فنادى". وأولى درجات الكبر هي التكذيب بما جاء به الله وهذا الفعل يمثل أولى المراحل ثم العصيان وهو أشد درجة من التكذيب كما أنه مقرون به الوقت ذاته ويزداد كبرا مرة أخرى في قوله "ثم أدبر يسعى". والإدبار هو "المشي إلى الجهة التي هي خلف الماشي وهو هنا مستعار للإعراض عن دعوة الداعي»[(492)]. والإدبار والسعي مقرون الواحد منهما بالثاني، فالسعي حقيقته شدة المشي وقد أنهى هذه المراحل برحلة أخيرة وهي جمع الناس حوله وهذا يمثله قوله تعالى فحشر فنادى. لقد حاول أن يقنع الناس بألوهيته لذلك فقد جمعهم ليضمهم إليه حتى يسيطر عليهم ويبطش بكل من يخالف أوامره ونواهيه. ولذلك وصف نفسه بالرب الأعلى لأنه"ابن أمون رع وهو الرب الأعلى فابنه هو القائم بوصفه أو لأنه كان في عصر اعتقاده أن فرعون

---

[489]مصطفى عليان: بناء الشخصية في القصة القرآنية ص 75-76
[490]المرجع نفسه :ص 75-76
[491]الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج30 ص 78
[492]الطاهر بن عاشور:المصدر السابق، ج 30 ص80

رب الأرباب المتعددة عندهم"(493). وفرعون بهذا الاتجاه المتسلط المحب للسلطة الدنيوية يؤله نفسه للإبقاء على مصالحه»(494)، فالتأليه يضعه في مركز الأمر والنهي بلا حدود ومن خلاله يستطيع تنفيذ أهدافه في السلطة المطلقة، ولكن دون شعور منه بأن الله تعالى له بالمرصاد.

3.3. الانتقام

يدلّ لفظ الانتقام بمفهومه اللغوي على معنى الكره والنقمة. وهو مأخوذ من مادة (ن،ق،م). جاء في لسان العرب: «النقمة والنقمة المكافأة بالعقوبة وانتقم الله منه أي عاقبه والاسم منه النقمة والجمع نقمات وانتقم ونقم الشيء ونقمه أكرمه وفي أسماء الله عز وجل المنتقم هو البالغ في العقوبة لمن شاء وهو مفتعل من نقم ينتقم إذا بلغت به الكراهة حد السخط» (495).

أمّا الانتقام من الناحية الاصطلاحية «فهو نزعة عدوانية تغلب على الإنسان جراء انفعال الغضب هذا الانفعال يأخذ منه كل مأخذ، فيعمد إلى الرد على الفعل السيئ بمثله أو ربما بأشد منه»(496). والانتقام «لا يولد مع الإنسان ولكن الظروف والأحداث الفردية هي التي تغرسه في الأنفس كما أن للتربية والعادات أثرها أيضا في توليد الانتقام وإشاعته مما يجعل آثاره السيئة تطال المجتمع والأفراد على حد سواء»(497). معنى ذلك أن الانتقام مقترن بالغضب وتنتج عنه عبارات وتصرفات تدل على إرادة الانتقام سواء أكانت هذه التصرفات معنوية أو حسية. وقد صرح الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (الزخرف/25). وقال تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآَخِرِينَ﴾ (الزخرف/54..56). لذلك فسياق الانتقام في القرآن نتيجته الغضب. وهو غضب الله سبحانه وتعالى من القوم الظالمين الجاحدين المكذبين بآياته»(498). وانتقام فرعون انتقام آخر ينم عن عدوانية شخص متسلط، فادعاؤه الألوهية وإيمانه بهذه الحياة المادية التي يغيب فيها

[493] الطاهر بن عاشور،ج30 ص81

[494] زاهية راغب الدجاني:المفهوم القرآني والتوراتي،عن موسى عليه السلام وفرعون دار التعريب بيروت،ط1 1998 ص44 '

[495] ابن منظور،لسان العرب،م6،ص4531

[496496] عاطف سميح الزين:معرفة النفس الإنسانية ج2 ص 222

[497] المرجع نفسه ج 2 ص 222

[498] ينظر:كريم حسين الخالدي،الخطاب النفسي في القرآن الكريم ص 77-78

المنطق والتفكير السليم جعلاه يواصل طغيانه أكثر وأكثر. وقد خضع السحرة سجدا للآيات التي جاء بها موسى عليه السلام «إذ سرعان ما استجاب السحرة لربهم بالإيمان برسالة موسى بعد أن بدت لهم حقيقة معجزته فأزاحت ما غشي أبصارهم من زيف الواقع وبطلانه وهم يعلنون إسلامهم تحديا لفرعون»[499]. قال تعالى على لسانهم: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (طه/72). ورغم ذلك كان جواب فرعون كاشفا عن شخصية انتقامية تريد التخلص من الحقيقة، فما عليه إلا أن ينتقم من هؤلاء الذين صدوا عن طريقه. قال تعالى في هذا الشأن: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الأعراف/123،124).

يبدأ تهديد فرعون بالقول قبل الفعل. وهي أولى خطوات الانتقام. وهذا القول بمثابة تهيئة للجو النفسي الذي سيكون عليه هؤلاء الذين آمنوا بآيات الله، إنه يعارض كل من يشكك في ألوهيته حتى لا ينهدم الصرح الذي بناه على أكاذيب ملفقة فهو يتهمهم بالمكر. ونتيجة لهذا المكر المتوهم يتوعدهم بأشد ألوان العذاب. إنه انتقام عن طريق التعذيب بشدة ويتجلى ذلك في:

1.3.3. قطع الأيدي والأرجل

القطع في اللغة: «إبانة بعض أجزاء الجرم من بعض فصلا، وقطعه واقتطعه فانقطع وتقطع شدد للكثرة، وتقطعوا أمرهم بينهم زبرا أي تقسموه وقوله تعالى (وقطعن أيديهن) أي قطعنها قطعا بعد قطع»[500]. وجاء سياق القطع في هذه الآية بصيغة المبالغة "لأقطعن" عن طريق اللام والنون. وهما من أدوات التوكيد وهذا دلالة على التأثير الجسدي العنيف ضد هؤلاء، ففرعون لم يكتف بتشويه صورة الدعوة أمام الناس بل لجأ إلى التعذيب –كما أشرنا– عن طريق القطع أولا فهدد بقطع الأيدي والأرجل من خلاف معنى ذلك «أن يقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى والعكس بالعكس»[501]. وأسلوب التعذيب متبع ومعروف في

[499] مصطفى عليان،بناء الشخصية في القصة القرآنية،ص 77
[500] ابن منظور،لسان العرب م5 ص3674
[501] محمد متولي الشعراوي،قصص الأنبياء والمرسلين ص374

السياسة الفرعونية بشكل واضح فقد كان أول الحلول الفرعونية لمواجهة الدعوة أملا منه في رد الدعاة إلى ما كانوا عليه قبل تبنيهم دعوتهم ، كما كان ترهيبا للناس ووعدا ووعيدا[(502)].

2.3.3. التصليب

التصليب في اللغة يطلق على الشدة. نقول «صلب الشيء صلابة فهو صليب وصلب أي شديد. ويقال تصلب فلان أي تشدد وصلبه جعله صلبا شده وقواه والصليب الودك وفي الصحاح ودك العظام، وقد صلبه صلبا صلبه شدد للتكثير، وفي التنزيل العزيز "وما قتلوه وما صلبوه "وفيه "لأصلبنكم في جذوع النخل»[(503)]. والتصليب «أن تأتي بمصلوب عليه وهو الخشبة أو الحديد وتأتي بمصلوب وتربط المصلوب على المصلوب عليه وتشد الرباط»[(504)]. فالتصليب إذن من المضايقات الجسدية التي نادى بها فرعون قصد الانتقام وهو طريقة من طرقه التي يتفنن فيها "ويسبق الطغاة إليها ويجعلها سنة له من بعده، ينقلها عنه غيره من الطواغيت الذين يشتركون في الصفات والسياسات»[(505)]. والتّصليب في سياق الآية جاء في جذوع النخل تأكيدا ومبالغة في التعذيب معنى ذلك أن السحرة والنخل شيئان ملتصقان الواحد منهما بالآخر لا فكاك بينهما «إنه سيجعلهم فيها تنكيلا بهم وتفننا في أنواع التعذيب»[506]. وقد دلت "ثم" في قوله تعالى "ثم لأصلبنكم أجمعين" على «الارتقاء في الوعيد بالصلب الذي سينالهم كلهم»[(507)]. وفي آية أخرى يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ (طه/71).

ويحضر الزمان بطريقة غير مباشرة عن طريق الفعل "أبقى" فالعذاب الذي سينزل بهم سيدوم ويتركهم على هذا الحال نكاية بهم، فانتقام فرعون إذن يقوم على دوام الزمن في الشدة والعذاب. ويتجلى دافع الانتقام لدى فرعون في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ (الأعراف/127)، فخوف فرعون من الهزيمة جعله يسأل قومه ويستنجد بهم بطريقة غير مباشرة فهو ينتظر تلك الفرصة المواتية لوقوفهم إلى جانبه فتحول بذلك الحوار

---

[502] ينظر :رأفت المصري:شخصية الحاكم في ضوء القصص القرآني،دار الفاروق عمان ،ط1 ،2009ع ص 298
[503] ابن منظور ،لسان العرب،م4 ص 2476-2477
[504] محمد متولي الشعراوي:قصص الأنبياء والمرسلين ص 374
[505] رأفت المصري،شخصية الحاكم في ضوء القصص القرآني ص299
[506] رأفت الحاكم:المرجع السابق، ص 299
[507] ينظر الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير،ج9 ص 55

بينه وبين قومه الذين ما زالوا تحت سلطانه، هؤلاء القوم الذين أقنعوا فرعون بحقيقة الإفساد. والإقناع هنا ناتج عن ذلهم واستعبادهم من طرفه الأمر الذي أدى بهم إلى سؤاله عن ترك ألوهيته وعبادته فما كان جواب فرعون إلا بدافع الانتقام الذي يقضي على الحياة والنماء. إن سلطته وجبروته عوداه على القتل والتعذيب. قال تعالى على لسانه: "قال سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون" أي «سنقتل أبناءهم الذكور من أولاد بني إسرائيل ونستحيي نساءهم»[508]. ثم يختم قوله "وإنا فوقهم قاهرون". ويفسر الشعراوي هذه الآية بقوله: «والقوي حين يملك القدرة على الضعيف لا يشد الخناق عليه شدا ليفتك به لأنه يعرف ضعفه ويستطيع أن يناله في أي وقت، لكن لو كان الخصم أمامك قويا فأنت ترهبه حتى يخضع لك»[509]. فقتل الأبناء واستحياء النساء من أشد أنواع القهر، فالأبناء الذكور يشكلون العدة والوقوف والتصدي، وفرعون لا يريد ذلك، فالسلطة له وحده واستحياء النساء ذل وهوان وهتك للحرمات. ودافع الانتقام يتولد من جديد عند فرعون لذلك نراه يعيد ما فعله من قبول العادة وإعادة الكرة مرة أخرى حتى يحافظ على سلطانه.

وخلاصة القول إن صفة التسلط التي انبثقت منها صفات ذميمة جعلت من فرعون شخصية طاغية سريعة الغضب، وشخصية فيها من العناد والشك الشيء الكثير، الأمر الذي أدى إلى استمرارية الفعل الفرعوني المشهور بالقتل والتعذيب والتهديد والوعيد خصوصا عند مواجهته مع موسى عليه السلام وظهور الحجة القاطعة التي هي رسالة الحق.

4. النّدم

الندم في اللغة الأسف. جاء في لسان العرب: «ندم على الشيء وندم على ما فعل ندما أسف وفي الحديث الندم توبة»[510].

أما اصطلاحا فهو «حالة انفعالية تنشأ من شعور الإنسان بالذنب وأسفه على ارتكابه ولومه لنفسه على ما فعل وتمنيه لو أنه لم يفعل ذلك»[511]. ويعرف الندم أيضا بأنه "التحسر من تغير الرأي في أمر فات وانقضى. جاء في الآية الكريمة: ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ

[508] الطبري:تفسير الطبري،جامع البيان عن تأويل آي القرآن م 13 ص41
[509] الشعراوي:تفسير الشعراوي،م7 ص4305
[510] ابن منظور:لسان العرب م 6 ص4386
[511] محمد عثمان نجاتي:القرآن وعلم النفس ص 103

النَّادِمِينَ﴾ (المائدة/31). وأصل الندم من منادمة الحزن للنادم أي ملازمة الحزن له»[512]. فللندم تأثير في النفس لأنه تغيير من حالة انفعالية تنشأ من تقصير الإنسان أو الأسف على فعل ارتكبه. وقد وصف الخطاب القرآني حالات الندم في سياقات عديدة. وفيها وصفٌ لحالات النفس حين يدرك المرء خطأه وسوء عمله فيلوم نفسه عما اقترف من ذنب وهي حالات يصاحبها الحز والألم لذا جاءت موصوفة بعبارات يتمنى فيها النادم ان تتاح له فسحة من العمر لكي يدرك الخطأ ويصحح ما فات. وهذه العبارات دالة على حسرة وأسف. نذكر على سبيل المثال الياء الدالة على التمني أو التحسر في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (الفرقان/27،28).

ويقابل الندم في الخطاب القرآني مصطلحا آخر هو النفس اللوامة لقوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة،1،2)، لأن النفس في القرآن مصدر كل الوشائج فهي «المتهمة بالشح والوسواس والفجور والطبيعة الأمارة. وهي كذلك ذات ترق وعروج يمكن أن تتزكى وتظهر فتوصف بأنها لوامة ومطمئنة ولراضية ومرضية»[513]. كما تقابل النفس اللوامة ما نسميه «الضمير وما يسميه فرويد والمحللون النفسيون بالأنا الأعلى أو الأنا المثالي وهو الجزء من النفس الذي يحاسب الإنسان على أفعاله ويؤنبه على أخطائه ويجعله يشعر بالندم على ما ارتكبه من ذنوب»[514]. والقصص القرآني مليء بمواقف الندم التي اعترت أبطال القصص. و أوّل ندم شعر به الإنسان ما حدث لآدم عليه السلام وحواء وهما في الجنة وقبل هبوطهما إلى الأرض، فقد عصيا أمر ربهما وأكلا من الشجرة التي نهاهما الله عن الاقتراب منها وظهرت سوءاتهما فشعرا بالندم وتوجها إلى الله يطلبان منه المغفرة والتوبة»[515]. قال تعالى على لسانهما :﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف/23). ويتجلى الندم في قصة سيدنا موسى عليه السلام في مواقف عدة تتعلق به كنبي وبالأشخاص المحيطين حوله.

1.4. ندم موسى عليه السلام

---

512 عاطف سميح الزين:معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة ج 2 ص 310

513 عبد العالي الجسماني:القرآن وعلم النفس ،الدار العربية للعلوم ط1 1997 ص 67

514 محمد عثمان نجاتي:القرآن وعلم النفس ص 106

515 المرجع نفسه ص 106

جاء سياق هذا الندم وقت خروج موسى عليه السلام إلى المجتمع أين سيواجه المواقف الصعبة، وذلك حين أكرمه الله بالقوة وتمام العقل. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (القصص/14)، فموسى عليه السلام وهو بهذه الصفات يصبح مستقلا بنفسه يخرج إلى زخم المجتمع ليكون جزءا منه. وسيندمج مع المجتمع وأهله. وسيلج عالمهم حتى يتمكن من مساعدتهم للوصول إلى عالم يسوده الحق من كل جانب. ولكن البشر كعادتهم يخطئون ويصيبون بحكم طبيعتهم، فالكمال لله سبحانه وتعالى والأخطاء البشرية ناتجة عن دوافع نفسية أو سرعة في الفعل، لذلك كانت أول تجربة لموسى عليه السلام وهو في ظل هذا المجتمع. قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (القصص/15،16). إنه المشهد الذي يعتري موسى عليه السلام والذي يحيط به نوع من السكون في البداية ثم سرعان ما يعج بالحركة ويعود السكون مرة أخرى فيدخل موسى المدينة في وقت يستريح فيه الناس «علت أصوات منبعثة من رجلين أحدهما قبطي والآخر اسرائيلي ووصل موسى وإذ بالإسرائيلي يستغيث به لنصرته على القبطي فيقوم موسى بضربه بقوة أدت إلى قتل القبطي»[516]. وجاء في تفسير القرطبي: «إنه لم يقتل عن عهد مريدا للقتل وإنما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه»[517]. وسرعان ما يدرك موسى عليه السلام خطأه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين «لقد ندم موسى عليه السلام على ذلك الوكز الذي كان فيه ذهاب النفس وحمله ندمه على الخضوع لربه والاستغفار من ذنبه»[518]، لذلك انتابه شعور بالذنب وأرجع ذلك إلى عمل الشيطان الذي يوسوس في الصدور والذي يغرس الغضب والانفعال في النفوس، فالشيطان هو المسؤول عن هذا الفعل «إنه عدو لابن آدم مضل له عن سبيل الرشاد ظاهر العداوة»[519]. وهذا تصريح أولي لموسى عليه السلام والذي يعتبر ردا للفعل الذي قام به، لذلك فتجليات الندم ظهرت في ثلاثة ردود ومواقف تنبئ عن قلق هذه النفس التي تريد أن تصبو إلى الحق. وهي على التوالي:

[516] زاهية راغب الدجاني:المفهوم القرآني والتوراتي عن موسى عليه السلام وفرعون ص 54
[517] القرطبي:الجامع لأحكام القرآن ،ج16 ص 247
[518] القرطبي:المصدر السابق ج16 ص 247
[519] زاهية راغب الدجاني:المفهوم القرآني والتوراتي عن موسى عليه السلام وفرعون ص 54

1-هذا من عمل الشيطان إنه عدو مبين

2-رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي

3-رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين

فأصل الخطأ يتجه إلى الشيطان بالدرجة الأولى، ثم بعد ذلك يتجه إلى ربه عز وجل بنداء خفي دال على القرب بحذف حرف النداء. إنه يقر بظلم النفس عبر هذه الجريمة بالرغم من أنها لم تكن عمدا ويختم ذلك الندم ليعلن التوبة من الفعل وليحدث التغيير في النفس ويقدِم على التحول. إن موسى عليه السلام «يعلمنا أن الإنسان ساعة يقترف الذنب ويعتقد أنه أذنب لا يكابر، إنما ينبغي أن يعترف بذنبه وظلمه لنفسه ثم يبادر بالتوبة والاستغفار»[520].

وفي الأخير يقرّ بما أنعم الله عليه وذلك أن لا يظاهر مجرما أو يعين مجرما على آخر. والندم هنا يحمل معنى التغيير الذي تدركه النفس الإنسانية التواقة إلى الخير والتي تكبح جماح الغضب وتستقر على الالتزام بموقف واحد، «فالنموذج الذي تقدمه الحادثة لموسى عليه السلام نموذج حيّ عن الطبيعة النفسية والخلقية التي تحتاج إلى إعداد خاص لمواجهتها والتكيف مع تقلباتها فإذا الموقف فيه من الابتلاء ما يمحص فيه العهد المقطوع على النفس بعدم مظاهرة المجرمين في أي خندق كانوا»[521]. ويقر موسى عليه السلام بندمه ردا على فرعون في قوله تعالى على لسانه: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الشعراء/20،21) فموسى عليه السلام لم يكن يعلم النتيجة بعد شجار القبطي والإسرائيلي، ولم يكن يعلم أن الوكزة تؤدي إلى القتل لذلك قال سبحانه وتعالى "قال فعلتها إذا وأنا من الضالين"، فموسى عليه السلام كان يدرك الخطأ في قرارة نفسه وهو الضلال الذي تسبب فيه الشيطان. هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن لفظ الضلال "لا يعني عدم الهدى فمن هذا المعنى للضلال قولهم ضل الطريق ومنه قوله تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ (البقرة/287)، وقوله تعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ (الضحى/7) أي محتارا بين الباطل الذي يمارسه قومه وبين الحق الذي لا يجد له بينة»[522]. والندم في هذا السياق

---

[520] الشعراوي:تفسير الشعراوي ج17 ص10898

[521] حبيب مونسي:التردد السردي في القرآن الكريم ديوان المطبوعات الجامعية، 2010 ص 160-161

[522] الشعراوي:تفسير الشعراوي،ج 17 ص 10555

هو «إنكاره نفسه ضلالها حين الفعل لعدم اتباعها سنن التغيير التي تعلمها وتتجاوز فيها المراحل المحددة لها وذلك هو الضلال الذي تسبب فيه همس الشيطان وتحريضه ونفخه في الشعلة المتقدة في قلبه»[523]. وهذا الاعتراف بالخطأ جاء نتيجة مستمرة لموسى عليه السلام. قال تعالى "فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين". والحكم «الحكمة والعلم وأراد بها النبوءة وهي الدرجة الأولى حين كلمه ربه»[524]. معنى ذلك أن يقرّ بمهمته الصعبة التي تكشف عن الرسالة المرسلة للعالمين.

ومن سياقات الندم لموسى عليه السلام قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأعراف/151)، فالندم كان وليد الغضب الذي اعترى موسى عليه السلام عندما جاء من الميقات ووجد قومه يعبدون العجل. وشعور الغضب أدى بأخذ رأس أخيه يجره إليه تأنيبا له لعدم أخذه بالشدة على عبدة العجل واقتصاره على تغيير ذلك عليهم بالقول. وعلى ذلك يكون الغضب إيجابيا لأنه في هذا السياق «انفعال هام يؤدي وظيفة هامة للإنسان حيث إنه يساعده على حفظ ذاته، فحينما يغضب الإنسان تزداد طاقته على القيام بالمجهود العضلي العنيف مما يمكنه من الدفاع عن النفس أو التغلب على العقبات التي تعوقه عن تحقيق أهدافه العامة»[525]، فموسى عليه السلام غضب لهدف أسمى هو عبادة الله لا عبادة العجل، الأمر الذي جعل غضبه يتوجه به إلى أخيه. وهذا الغضب صدر عنه فعل عدواني وهو جره لحية أخيه فكان رد فعل أخيه هارون ممثلا في ذلك اللين والرقة عندما يرد ذلك الفعل. وهذا الرد من طرفه جعل موسى عليه السلام يعود إلى الوراء يعود إلى حيث الحكمة والتعقل، إلى النفس اللوامة وشعورها خاصة أن موسى عليه السلام قد أدرك ما في نفسه من ألوان حياته الداخلية وما مرّ به من الصعاب والشدائد فما عليه إلا أن يقف لحظة تأمل للنفس مع ذاتها، فكان منه هذا الاستغفار والعودة إلى النفس الهادئة المطمئنة في قوله تعالى على لسانه: "قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين"، فالإنسان في حالة الغضب يفقد القدرة على التفكير السليم ولذلك يجدر به أن يسترجع تلك اللحظات الانفعالية ويتعلم كيف يكبح جماح

---

[523]حبيب مونسي:التردد السردي في القرآن الكريم ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ص 237

[524]الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير ،ج19 ص 115

[525]محمد عثمان نجاتي:القرآن وعلم النفس ص81

الغضب، فكانت السيطرة في هذه الآية الكريمة توجه موسى عليه السلام بالدعاء الدال على التقرب منه. وجاء الدعاء متضمنا مرحلتين أو بالأحرى خطوتين:

1.1.4. طلب المغفرة

أصل الغفر «التغطية والستر. غفر الله ذنوبه أي سترها. والمغفرة التغطية من الذنوب والعفو عنها»[526]. وقد جاءت جملة "قال رب اغفر لي" في سياق "جواب عن كلام هارون حيث ابتدأ موسى دعاءه فطلب المغفرة لنفسه تأدبا مع الله فيما ظهر عليه من الغضب، ثم طلب المغفرة لأخيه فيما عسى أن يكون قد ظهر منه من تفريط أو تساهل في ردع عبدة العجل عن ذلك»[527]. وطلب المغفرة هنا تولد جراء صائبة وألم اعتريا موسى عليه السلام وهو يرى قومه بعيدي المنال فيما يصبو إليه فهذا الدافع الداخلي أدى به إلى العودة إلى الله تعالى ليغفر له ولأخيه. وهو بهذا الطلب يوطد الصلة بينه وبين ربه عز وجل القادر على احتواء هذه النفس الضعيفة. والإسلام بذلك يأخذ بيد الإنسان في حالات قوته وضعفه ويرى فيه مخلوقا يعمل السيئة كما يعمل الحسنة وهو يسهل له السبيل القويم للخلاص من حالات الضعف بأن يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى الذي يغفر الذنوب جميعا. قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر/53). وكثيرا ما يسيء الإنسان إلى غيره فيذهب إليه طالبا الصفح عن إساءته، بل وكثيرا ما يلجأ الإنسان إلى جميع وسائل الرجاء والاعتذار والتذلل، غير أن موسى عليه السلام كان على عكس ذلك فقد توجه إلى الأعلى فوق كل شيء فهو الغفور الودود ذو الرحمة. وهو سبحانه لا يعفو عمن يذكره ويستغفره فحسب، بل ويتفضل عليه بالأجر العظيم والثواب الجزيل.

2.1.4. طلب الرحمة

الرحمة في اللغة "الرقة والتعطف. وقد رحمته وترحمت عليه وتراحم القوم، رحم بعضهم بعضا والرحمة المغفرة وقوله تعالى في وصف القرآن: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف/52). وقال عز وجل: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ

[526]ابن منظور:لسان العرب م 5 ص 3273-3274
[527]الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير،ج 9 ص 118

وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ (البلد/17)، أي أوصى بعضهم بعضا برحمة الضعيف»[528]. والإدخال في الرحمة «استعارة لشمول الرحمة لهما في سائر أحوالهما بحيث يكونان منها كالمستقر في بيت أو نحوه مما يحوي»[529]، فموسى عليه السلام يلجأ مرة أخرى إلى ربه عز وجل كي يرأف به وبأخيه لأن الله سبحانه وتعالى لم يمنع الرحمة من خلقه على خلقه، فمن رحم أخاه سمي رحيما وراحما لكن الله سبحانه وتعالى أرحم الراحمين، لذلك شملت رحمته كل شيء. وطلب الرحمة من موسى عليه السلام وأخيه حد من الغضب والقلق والندم. وأنّ رحمة الله عليه لا حدود لها فهي الشافية الكافية لكل انفعال إنساني.

2.4. ندم السحرة

يمكننا القول إن السحرة هم من حاشية فرعون التي عول عليها في بادئ الأمر في الوقوف ضد رسالة موسى. كما أنها تمثل العنصر الهام المساند لفرعون في إقامة الحجج والبراهين كيف لا وهي المتخصصة في علم الخدع السحرية التي تقوم على المخادعة والمراوغة وخلق الخوارق. ونستطيع القول إنها من الأجهزة القمعية الردعية التي استثمرها فرعون لمواجهة موسى عليه السلام لكن سرعان ما تنقلب الموازين وكان ذلك يوم الزينة أين تثبت الحجة القاطعة التي كانت فوق سحرهم جميعا. وهنا يتدارك السحرة الخطأ ويخرون ركعا سجدا رغم تهديدات فرعون. وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (الأعراف/117..122). نلاحظ أنّ الغلبة كانت للأقوى حجة موسى وهارون. وهما ينتصران بقوة إلهية فوق كل شيء فتنقلب الموازين والهزيمة كانت مصدر الندم. وقد غُلب السحرة ووطئت رؤوسهم الأرض، فما أروع المفردة القرآنية في وصف ذلك: ﴿فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين﴾. وقد حدث الانقلاب الذي جعلهم أذلاء مذ كانوا مع أعلى سلطة يستدلون بها ويركضون تحت قدميها، فالانقلاب إذن "تغيير الحال وتبدله والأكثر أن يكون تغييرا من الحال المعتادة إلى حال غريبة[530]. وهذا الانقلاب الرهيب جعلهم يحتاجون إلى فعل قوي

---

[528] ابن منظور:لسان العرب م 3 ص1611

[529] الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير

[530] الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير،ج 9 ص 51

يتجاوز القول وهو السجود فقد «كانوا أعلم الناس بالسحر فلا يخفى عليهم ما هو خارج عن الأعمال السحرية، ولذلك لمّا رأوا عصا موسى تلقف حبالهم وعصيهم جزموا بأن ذلك خارج عن طوق الساحر فعلموا أنه تأييد من الله لموسى وأيقنوا أن ما دعاهم إليه حق»[531].

وفعل السجود عملية انبهارية مما حصل معهم، وكأن الندم محصور فيه لا غير. والعقل كان أسبق من القول الذي جاء عن يقين "قالوا آمنا برب العالمين". إنه الاعتراف بالذنب عن طريق القول الصريح، وهو الإيمان، إنّه الإعلان بإيمانهم لله وهذا تخصيص «لئلا يظن الناس أنهم سجدوا لفرعون، إذ كانت عادة القبط السجود لفرعون، ولذلك وصفوا الله بأنه رب العالمين بالعنوان الذي دعا به موسى عليه السلام»[532]. وتأتي بعد ذلك لحظة التحدي بعدما هددهم فرعون بشتى ألوان العذاب. ﴿"قالوا إنا إلى ربنا منقلبون وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين﴾ (الأعراف/125).

جاء الاعتراف الأول لله رب العالمين، إنّه اليقين والثقة اللذين غُرسا في نفوسهم فجعلتهم أقوياء بعيدين كل البعد عن حياة الذل والمهانة والتسلط التي عاشوها تحت ظل فرعون. إنها الدعوة إلى القوة والكبرياء أمام فرعون بعد الغلبة والقهر. انظر كيف يتحول الانقلاب من الذل إلى الرفقة ﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ تغيير من حال إلى حال أأمن وأعز «إنه التوجه إلى الله سبحانه وتعالى فقد جاء هذا الجواب موجزا إيجازا بديعا لأنه يتضمن أنهم يرجون ثواب الله على ما ينالهم من عذاب فرعون ويرجون منه مغفرة ذنوبهم ،ويرجون العقاب لفرعون على ذلك»[533]. وهكذا كان الندم، وهكذا كان الاعتراف عن طريق التحول، فالانقلاب كان الفاصل بين توعّد فرعون وإيمان السحرة الثابت. وكان ذلك الاحتواء من الله سبحانه وتعالى لهؤلاء «إن الله تعالى لما هداهم إلى الإيمان أكسبهم محبة لقائه»[534]. والاعتراف بالذنب يوجب الدعاء إلى الله سبحانه وتعالى بالرحمة والمغفرة. وكذلك كان شأن السحرة. قال تعالى "ربنا افرغ علينا صبرا". وفراغ الصبر يعني الحماية من وعيد فرعون. إنه لعذاب شديد، قتلٌ وتصليب على جذوع النخل. والله سبحانه وتعالى من فوقهم رقيب. ولما كان كذلك سألوا الله سبحانه وتعالى أن يجعل لنفوذهم صبرا على هذا العذاب الموعود من

---

[531] المرجع نفسه ج9 ص52
[532] الطاهر بن عاشور: المصدر السابق،ج 9 ص 53
[533] الطاهر بن عاشور:المصدر السابق : ج9 ص 55
[534] المصدر نفسه، ج 9 ص55

طرف فرعون. ويزداد اليقين أكثر والندم أكثر والرجوع أكثر، إنها الشهادة في سبيل الله "وتوفنا مسلمين"، "لقد دعوا لأنفسهم بالوفاة على الإسلام إيذانا بأنهم غير راغبين في الحياة ،ولا مبالين بوعيد فرعون ،وأن همتهم لا ترجو إلا النجاة في الآخرة"[535].

ويتجسد ردّ الفعل مرة أخرى من طرف السحرة تجاه فرعون عبر قوله تعالى :﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آَمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (طه/72،73). ورغم الوعد والوعيد والتهديد من طرف فرعون فإنّ السحرة كانوا في موقف اختيار الأفضل، اختيارٌ يضمن لهم الأمن والأمان في رعاية الله سبحانه وتعالى. وقد جزموا جزما قاطعا على مواجهة فرعون وعذابه، وحلت محله الآيات البينات التي جعلتهم يسجدون أمامها. والندم هنا في هذا السياق استهزاء وسخرية من السحرة لفرعون. كيف لا ودماء اليقين تسري في عروقهم. وهذا الإيثار وهذا التفضيل جعلهم لا يبالون بعذابه لقوله تعالى "فاقض ما أنت قاض". وهو أسلوب أمر لاذع نابع من قوة إلهية تسيرهم. وهذا الأمر جعلهم يحسمون أمرهم بالقول لفرعون سواء أفعلت فعلتك أم لم تفعل فإننا تائبون إلى ربنا منقلبون.

ويزداد الاعتراف أكثر في الكشف عن مكنوناتهم إذ يقرون بحتمية السحر فهو السبب والمسبب له. وهم بهذا يقرون بالسيطرة والخنوع والخضوع الذي كانوا تحت ظلاله. لذلك فموقف الندم تجلى في قوة الضبط الداخلي، أي ضبط النفس بتأكيد فرعون أن القمع والسيطرة هما الأبقى وإصرار السحرة على أن الاعتقاد الداخلي أبقى وأدوم[536]. كما يتجلى أيضا في فضح مكائد فرعون في إكراههم بالسحر حتى يواجهوا موسى عليه السلام وعدم الاكتراث للتعذيب أمام شعورهم الداخلي بالإيمان بالله. وتنتهي نتيجة الإيثار بقوله تعالى:"والله خير وأبقى" كهدف أسمى يسير عليه كل من آثر رسالة الحق على رسالة الباطل.

3.4. ندم فرعون وحسرته

---

[535] المصدرنفسه ، ج 9 ص 55

[536] عبد العزيز خواجة:أنماط العلاقات الاجتماعية في النص القرآني ص 228

جاء هذا العنصر بعنوان الندم والحسرة معا لأن الحسرة أكثر من الندم فالحسرة هي «الغم على ما فات والندم عليه كأنما ينحسر عن الفاعل الجهل الذي حمله على ما ارتكبه أو انحسرت قواه من فرط غم أو أدركه إعياء عن تدارك ما فرط منه »[537]. قال الله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ (الزمر/56). وكذلك كان شأن فرعون الذي عاث في الأرض فسادا وادعى الألوهية فكان عاليا من المسرفين. يقول الله تعالى في شأنه :﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آَمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس/90)، فاجتياز البحر لم يكن بفعل البشر بل بفعل خالق قادر. وبالرغم من ذلك فقد أصر فرعون على اللحاق بهم قصد إذلالهم وسرعان ما تأتي اللحظة الحاسمة التي هي انتقام من رب العالمين يغرق فرعون الذي عاث في الأرض فسادا، فهذه اللحظة هي التي ولدت تلك الحسرة على ما فات ﴿حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين﴾.

لقد جاء هذا الاعتراف في غير أوانه لأن الندم والحسرة هنا جاءا بفعل الغرق ففرعون لا يريد ذلك بل يريد التسلط ويريد أن يبقى عاليا ويستمر في طغيانه لحظة الغرق. ويعلن إيمانه وهذا مرفوض فهذا إيمان إجبار وليس إيمان اختيار. إيمانٌ لم يكن عن قناعة، بل خوفا من الغرق. إضافة إلى ذلك فإنه لم يؤمن بالله صراحة بل أعلن أنه آمن بالإله الذي آمن به بنو إسرائيل. لذلك فندم فرعون لم يكن ندما بالمعنى المعروف أي ندم التوبة والاستغفار وطلب الرحمة إنما كان حسرة على ما أصابه فكان ندما شكليا حتى ينال مراده ويفر بفعلته.

5. الأمن

تدور مادة (ء،م،ن) حول أصلين متقاربين أحدهما التصديق وهو أصل الإيمان والآخر الأمانة وهي سكون القلب، وضدها الخيانة والأمان ضد الإخافة. جاء في لسان العرب :«الأمان والأمانة بمعنى واحد. وقد أمنت فأنا آمن وآمنت غيري من الأمن والأمان والأمن ضد الخوف والأمانة ضد الخيانة وآمنته المتعدي ضد أخفته وفي التنزيل العزيز

[537] سميح عاطف الزين:معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة ج 2 ص 311

﴿وآمنهم من خوف﴾ (قريش/4)»[538]. والأمن كما عرفه بعض العلماء «طمأنينة النفس وزوال الخوف أو عدم توقع مكروه في الزمان الآتي»[539]. وقد ذكره الله ممتنا به على عباده فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (قريش/4،3). والأمن يحققه الإيمان بحقيقة وجود الله تعالى إذ أنه مصدر طمأنينة النفس وشعور المؤمن بالسكينة قال تعالى: "الَذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ" (الرعد/28). «والنفس عندما تطمئن إلى خالقها وبارئها تصبح في انعتاق كلي من كل سوء قد يشوبها ومن كل أمر قد يؤذيها وهي ترنو دائما إلى لقاء ربها والرجوع إليه غير خائفة ولا وجلة من أي شيء حتى من الموت»[540]. والقارئ لهذه القصة يجد أن ظلال الأمن قد حفت أبطال القصة ذلك الأمن الذي كان نقيضا للخوف الذي اعترى تلك الشخصيات. وأوّل الأشخاص المؤمنين هي أم موسى عليه السلام تلك الأم التي ملأ فؤادها إشفاقا وتعبا على وليدها فكان الوحي هو بداية الأمان. وهو الذي يزرعه الله تعالى في قلبها ليعطيها الحلول الناجعة للتخلص من الفزع والخوف اللذين اعترياها، ويشعرها بالأمن والسكينة. وكان بداية ذلك قوله تعالى :﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه/39). إنها بداية أولى مراحل الأمن في قوله: إذ أوحينا «فالوحي إليها كان إلهاما وقذفا في القلب وهو وحي جاءها من الله فقذف في قلبها أو في نفسها باختلاف الرواية»[541]. ولما كان القذف في القلب، فإنه اكتسى نوعا من السكينة والهدوء اللذين يعدّان من درجات الأمن. والملاحظ أن هذا الأمن يبدأ بالمكان وهو اليمّ وهو على سعته يوحي بالخوف لأول وهلة، لذلك فقد اختار الله سبحانه وتعالى التابوت حماية للرضيع وهو موضع الأمان في قوله فاقذفيه. والقذف هنا «أصله الرمي وأطلق هنا على الوضع في التابوت تمثيلا لهيئة المخفي عمله فهو يسرع وضعه من يده كهيئة من يقذف حجرا ونحوه»[542]. ويأتي التفصيل أكثر في الحادثة، فهذا الصندوق الذي يمثل موضع الأمان سينتقل إلى أبعد مكان. ومن جهة أخرى هو إعداد الأم وتهيئتها لفراقه لتعرف النتيجة بعد أيام. يقول الشعراوي في هذا

---

[538] ابن منظور:لسان العرب م1 ص 140
[539] زينب الكروي:التصوير البياني في آيات الأمن والخوف ص 27
[540] سميح عاطف الزين:معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة ،ج2 ص286
[541] ستار جبر حمود:الوحي ودلالاته في القرآن الكريم دار الكتب العلمية بيروت،ط1 2001ص 164
[542] الطاهر بن عاشور :تفسير التحرير والتنوير، ج ص

الشأن: «فسوف يكون للأمومة ترتيب ووسائل تساعد على النجاة فصنعت له صندوقا جعلت فيه مهدا لينا واحتاطت للأمر»[543]. ورحلة الأمان هذه جاءت بسرعة فائقة تربطها الفاء الدالة على التعقيب، فمن التابوت إلى اليم إلى الساحل رحلة أمان وطمأنة للأم «فعندنا لموسى ثلاث إلقاءات، إلقاء الرحمة والحنان في التابوت وإلقاء التابوت في اليم تنفيذا لأمر الله وإلقاء اليم للتابوت عند قصر فرعون»[544].

وأعلى درجات الأمن المحبةُ من الله و«وصف المحبة بأنها من الله للدلالة على أنها محبة خارقة للعادة لعدم ابتداء أسباب المحبة العرفية عن الإلف والانتفاع»[545]. والمحبة هي الود، فمحبة الإنسان للإنسان تولد الطمأنينة والتفاهم والتحاور بينهما عكس الكره الذي يولد الحقد والبغضاء، فما بالك بمحبة الله تعالى لهذا الصبي الذي سيتولاه برعايته الخاصة "ولتصنع على عيني" من أول يوم ولد فيه.

وهكذا تتوالى السكينة التي غرسها الله في قلب الأم في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص/7)، فمرحلة الرضاعة أعلى درجات الأمن لأنّ الرضيع إذا رضع ثدي أمه زال عنه البكاء. وبالتالي يحس بالأمان. وحتى يزيل عنها الفزع فقد نهاها عن الخوف والحزن لأن هناك بشارة عظيمة ستجعل من هذه الأم الخائفة الفزعة على وليدها تتحول إلى أم هادئة مطمئنة فرحة بعودة وليدها "إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين" فهذه البشارة كانت نتيجة النهي عن الخوف والحزن. وحتى تتحقق وجب أن يكون قلب الأم هادئا مطمئنا من هاذين الشعورين الشعور بالخوف الذي هو هم من أمر قد مضى. ورده إلى الأم مرفق ببشارة عظيمة، وهو أنه النبي الذي سيرسل وسيكون وجها للظلم الذي ساد بني اسرائيل تحت سطوة الطاغية فرعون، إن الله حفظه لأمه وحفظه له لأن مهمة أسمى ستنتظره، وهذا قمة الأمن والأمان.

وهكذا كان القذف رغم قوته مصدرا للأمان فالله سبحانه وتعالى سيحفظه ويعيده إلى أمه سالما غانما. ولسوف ترى أيضا ذلك القلب الفارغ للأم حينما كادت تودي بابنها لولا ذلك

---

[543] الشعراوي،تفسير الشعراوي ج 15 ص 9267
[544] المصدر نفسه، ج 15 ص 9268
[545] الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير ص 217

الربط من عند الله سبحانه وتعالى الذي كان الأمن فيه في سياق من الخوف والهلع «فالقصة ترينا صورة أم مضطربة منزعجة خائفة وإذا الإلهام يخبئها بإلقائه باليم مع إثلاج قلبها بألا تخاف وألا تحزن. ومنّ الله عليها بالاطمئنان بأنه سيعود إليها. وهكذا يكون الاطمئنان في موطن الخوف والقرار في موطن الاضطراب والسكون في موطن الهلع»[546]. وقد قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (القصص/10). لا مجال للعاطفة ولا لرقة الأمومة الآن فهناك إمساك وكبت للعواطف. وكل هذا يكون عن طريق الربط "وربطنا على قلبها". والربط على القلب «معناه الاحتفاظ بالقضايا التي تتدخل في النزوع، فإن كان لا يصح أن تفعل فلا تفعل. وإن كان يصح أن تفعل فلتفعل، فهذه القضايا الراسخة هي التي تضبط التصرفات. وكان فؤاد أم موسى فارغا منها»[547]. وربط القلب هنا هو الصبر «وهو حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسهما عنه»[548]. والصبر هنا هو راحة لنفس الأم. وبالتالي مظهر من مظاهر الأمان. وكل ذلك بفضل التوكل على الله سبحانه وتعالى من طرفها. إنه جزاء عظيم من الله، وهو يرد لها وليدها وقرة عينها ومهجة قلبها. قال تعالى في هذا الشأن: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (القصص/13). صدق الوعد وتحقق «فلقد سبق أن وعد الله سبحانه وتعالى "إنا رادوه إليك" وهاهو أوان تحقيق الوعد الأول وهو بشرى بتحقيق الوعد الثاني وجاعلوه من المرسلين لكن هذا في مستقبل الأيام وسوف يتحقق أيضا»[549].

وينتقل الأمن من الأم إلى الابن عن طريق الحوار الإلهي مع نبيه عليه السلام. وهذا الحوار قائم على الأمن والطمأنة التي هي مصطلح حديث في علم النفس. وهي «أسلوب من أساليب الإرشاد النفسي وهي سلوك من حيث المرشد النفسي ونوع من المساندة الانفعالية وشرح الأفكار وتفهم المشاعر ومنافسة الاستجابات»[550]. وعناية الله سبحانه وتعالى تفوق كل هذه الأساليب النفسية الحديثة التي هي من صنع الإنسان، إنه الاطمئنان الخارق الذي يهدئ النفوس ويثلج الصدور. وأول مظاهر العناية قوله تعالى "ولتصنع على عيني"

---

[546] زينب الكروي:التصوير البياني في آيات الأمن والخوف ص 344
[547] الشعراوي: تفسير الشعراوي ج17 ص 10891
[548] صالح عظيمة:مصطلحات قرآنية،الجامعة العالمية الإسلامية لندن،ط1 1994 ص 250
[549] الشعراوي:تفسير الشعراوي، ج 17 ص10895
[550] فرج عبد القادرطه:موسوعة علم النفس ص489

"واصطنعتك لنفسي". ومعنى لتصنع أي "لتربى ويحسن إليك وأنا راعيك كما يراعى الإنسان الشيء بعينه إذا اعتنى به»[551]، «ولتكون حركتك وتصرفك على عين مني»[552]. معنى ذلك أن الصناعة الأولى هي صناعة في فترة تربية ونشأة حينما كان موسى مولودا. وتلك أولى مراحل الأمن كما سلف ذكره. أمّا اصطنعتك فمعناها اتخذ. جاء في لسان العرب «اصطنعتك لنفسي تأويله اخترتك لإقامة حجتي»[553]، فالصناعة الثانية هي صناعة قوة وتبليغ. والتبليغ يقوم على مرأى من الله سبحانه وتعالى ورعاية منه.

ويتمثل الأمن أيضا في نوع من الإيناس الذي يغمر موسى عليه السلام والذي مصدره تلك القوة السماوية. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ (طه/12،13). لقد بدأ الحوار أنيسا تسكن له النفس وتطمئن "نودي يا موسى". ومصدر هذا الاطمئنان هو وحي الله إلى موسى "إني أنا ربك" فحرف التوكيد وضمير الشأن وذكر صاحب الضمير تغني جميعها عن كل شيء، وهي تفيد الإيناس لأن «كلمة الله مطلوبة عبادة وتكليفا لأن الله مطاع فيما يأمر لكن الرب عطا حتى للكافر فخاطبه بصفة الرب الذي يتولى التربية، فالألوهية تطلب منك أن تفعل وتقيد حركتك بينما الربوبية كلها عطاء فالحق سبحانه وتعالى خاطب موسى بالربوبية والعطاء»[554].

وتعتبر معجزة العصا واليد من مظاهر الأمن، إذ يقتصر دور العصا في القصة على التحول، وهو تحول يتم في صور ثلاث هي الجان والثعبان والحية. وفي هذا الشأن يأتي سؤال الله سبحانه وتعالى إلى موسى لغرض الإيناس وتهيئته للمعجزة "وما تلك بيمينك يا موسى"، «فالله سأل موسى عن الذي في يده وكان بإمكان موسى أن يجيب بأنها عصا ولكنه اطمأن إلى كلمة ربه فأراد أن يطيل أنسه بكلام الله سبحانه وتعالى فذكر صفات العصا واستخدامها وفوائدها له»[555]. وقد اعتراه الخوف لمّا رأى تحول العصا، فانظر كيف كانت إجابة الله له "خذها ولاتخف سنعيدها سيرتها الأولى"، ففعل الأمر هنا صادر عن يقين أما فعل النهي فهو مضاد للقلق وعودة إلى الاطمئنان النفسي الذي يرغب فيه، وفي

---

[551]السمين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون،تح أحمد محمد،دار القلم دمشق،دط ،دت ج 8 ص 36-37

[552]المصدر نفسه ص ج 8 ص 37

[553]ابن منظور:لسان العرب ج 28 ص 2508

[554]محمد متولي الشعراوي:قصص الأنبياء والمرسلين ص 330

[555]المصدر نفسه ص 330

الوقت نفسه رفع من قيمة شأن العصا التي يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه، أما اليد فهي عضو من أعضاء الإنسان لكنها امتازت بالقيام بدور غرضي يعود بالنفع على موسى عليه السلام والذي أخذ صفة المعجزة ﴿واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى﴾. وكلمة (اضمم) تدل على الاختفاء والضغط. وهذه درجة من درجات الاطمئنان فعملية الاختفاء جاءت من العمق حتى تتحقق المعجزة، وبالتالي نفي الخوف الذي انتاب موسى أثناء استعماله للعصا.

ويسترجع موسى عليه السلام حادثة قتل القبطي فيتوجه إلى ربه بالدعاء بالمساعدة فيستجيب الله تعالى لدعوته في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآَيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ (القصص/35). لقد تحقق الأمن عن طريق ذاك الرباط بين الأخ وأخيه "فاستجاب الله دعوتيه وزاده تفضلا بما لم يسأله فاستجابة الدعوة الثانية بقوله "سنشد عضدك بأخيك"، واستجابة الأولى بقوله فلا يصلون إليكما والتفضل بقوله ونجعل لكما سلطانا، فأعطى موسى ما يماثل لهارون من المقدرة على إقامة الحجة إذ قال ونجعل لكما سلطانا»[556]. والشد «الربط وشأن العامل بعضو إذا أراد أن يعمل به عملا متعبا للعضو أن يربط عليه لئلا يتفكك أو يعتريه كسر»[557]. والعضد «الساعد وهو مابين المرفق إلى الكتف والعضد القوة لأن الإنسان إنما يقوى بعضده فسميت القوة به»[558]، فالأخ هارون يشكل الحماية، والساعد الأيمن لموسى عليه السلام الذي يشعره بالأمان ويدفع عنه كل مكروه. وبالتالي يحقق له جوا من الألفة والمحبة والتعاون والوقوف إلى جانبه في السراء والضراء. وما يحقق له الأمن أيضا التعاونُ ضد الأعداء وممارسة السلطة عليهم وإلقاء المهابة في قلوبهم مما يحقق الحماية لموسى وأخيه، وبالتالي يزيل ذلك الخوف الذي اعتراه في غياب أخيه. وتتجلى مظاهر الأمن أيضا في قصة موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (القصص/22).

---

[556] الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، م 20 ص117

[557] المصدرنفسه ج20 ص117

[558] ابن منظور:لسان العرب ج 33 ص 2983

لقد خرج موسى عليه السلام من مصر خائفا يريد الهرب. وكان همه أن ينجو بنفسه دون التفكير في أي وجهة يستقلها. ثم يجد نفسه وحيدا بين الفلوات. وأمام كل هذا يسلم أمره لله عز وجل «إنها الخلوة التي يعرك فيها التعب والنصب عجينته الشخصية لتتهذب على نحو يرده الله عزوجل»(559). وقد سلم موسى عليه السلام أمره إلى الله عز وجل. إن تلك الوحدة التي عاشها وهو يهب للرحيل ليبلغ السبيل تفتح أمامه آفاقا للمناجاة "قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل". والهداية هي الدلالة والإرشاد «وهي سلوك الطريق الذي يوصل الإنسان إلى غايته وهي اتباع شرع الله وسمي اتباع شرع الله هداية لأنه يرشد الإنسان إلى الحق ويبصره به فيميز بين الخير والشر»(560). وموسى عليه السلام وهو يدعو بهذا الدعاء يدعم إيمانه ويقويه، وبالإيمان يتحقق الأمن النفسي، فهو يدرك تماما أن الله سبحانه وتعالى سيحميه من كيد هؤلاء. وهذا الدعاء «نلمح فيه كثيرا من الطمأنينة بعدما ابتعد عن أرض مصر وزالت أسباب الخوف وحرف "لما" الذي يتصدر الآية الكريمة يستغرق من الزمان والمكان قدرا يجعلنا نتخيل النفس تثيب إلى رشدها قليلا قليلا وتنتبه إلى الفضاء الممتد أمامها وإلى خلو يدها من الزاد وإلى عزلتها التامة حينها يكون الالتفات إلى الله عز وجل التفاتا كليا ليس فيه هم الطريق وحدها وإنما السبيل المطل على المقبل من الأيام كلها»(561). إن هذا الدعاء والرجاء لله سبحانه وتعالى من نبيه عليه السلام دعاء مضطر لا حيلة له إلا عطاء ربه وإنقاذه له. وتتواصل المناجاة التي تحقق الأمن لموسى عليه السلام. لقد خدم الفتاتين وأعانهما في عملية السقي، الأمر الذي أدى بإحديهما أن تدعوه بأمر من أبيها لجزائه على ما فعل. وهذا الأب سيحقق له الأمن عن طريق إيوائه بعدما سرد له موسى عليه السلام ما جرى له ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص/25). ونفي الخوف من طرف الأب كان تهدئة لروعه. وهو يريد أن يكون له الأب الحنون الذي يقف إلى جانبه ويطمئنه بأنه في أمان. إنه بعيد الآن كل البعد عن هؤلاء القوم المتربصين به، وهو في مأمن الآن خاصة وأن الشيخ يقترح عليه ابنته للزواج. ونلاحظ في هذا الإطار دور الأب الحازم وما ينبغي أن يتخذه من إجراء في مثل هذه المواقف «فالرجل سيكون أجيرا عنده بطلب من ابنته، وفي بيته بنتان سيتردد عليهما

---

[559] حبيب مونسي:التردد السردي في القرآن الكريم ص 169
[560] http //ar.wikipedia.org 28 /07/2012 /12 :13h
[561] حبيب مونسي:التردد السردي في القرآن الكريم ص 169

ذهابا وإيابا، ليلا ونهارا. والحكمة تقتضي إيجاد علاقة شرعية لوجوده في بيته لذلك رأى أن يزوجه إحداهما ليخلف وضعا يستريح فيه الجميع»[562] ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (القصص/27). إنه بذلك يؤمّنه أكثر، فمن كونه أبا حنونا يوفر له الحماية إلى نسيب يوفر له الاستقرار، وفوق كل ذلك يطمئنه بأنه من الصالحين معنى ذلك أنه حينما يعايشه سينال منه طيب المعاملة خاصة وأن المدة التي يعيشها وهو أجير عنده وهو ثمن مهر الفتاة سيشعر خلالها بالأمان أكثر، وسيشعر أكثر بالمسؤولية تجاه من حوله. وهكذا يؤسس موسى عليه السلام جوا أسريا يحسسه بالأمن النفسي أكثر ويقويه ليتحدى المصاعب التي ستواجهه أكثر في المستقبل وهو يؤدي الرسالة المنوطة إليه.

ويحيط الأمن بموسى عليه السلام حين يصبح قائدا لأمة مسؤولا عن رسالة يغرسها في نفوس الناس الذين رهبهم فرعون وأذلهم وتسلط عليهم. ومع تهديد فرعون لهم عندما آمنوا بالله وحده يطمئنهم موسى عليه السلام. قال تعالى في شأن ذلك: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الأعراف/128). انظر كيف يقنع موسى عليه السلام قومه وكيف ينقذهم من الهول والخوف. إن تحقيق الأمن والتخلص من فرعون يستلزم عنصرين هامين أو مقومين هما الاستعانة بالله والصبر، وبذلك يقرر موسى عليه السلام أن هذه الأرض ليست ملكا لفرعون بل الله تعالى مالكها ورازقها «وكأنه بهذا القول يريد أن يردهم إلى حكم التاريخ حيث تكون العاقبة دائما للمتقين»[563]. والصبر حبس النفس عن الجزع وهو خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يحمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها. والصبر على بطش فرعون من مظاهر الأمن فلقد كان قوم موسى مستضعفين في الأرض انتهكت حرماتهم واستُبد بحقوقهم، وقد وعدهم الله أن يمكّن لهم في الأرض، ويجعلها لهم ذخرا وذلك تأمين من الله عز وجل لهم.

---

[562] امحمد متولي الشعراوي:تفسير الشعراوي ج 17 ص 10909
[563] محمد متولي الشعراوي : المصدر السابق، ص7 ص4306

ومن تجليات الأمن النفسي في القصة اتخاذ مكان آمن يأوون إليه. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآَ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس/89) والتبوء:«اتخاذ مكان يسكنه وهو تفعل من البوء أي الرجوع»[564]. والله سبحانه وتعالى أوحى إلى موسى وأخيه باتخاذ البيوت لأنها أماكن تحقق الأمن سواء أكان ذلك في البيوت أو المساجد كما فسرها المفسرون وكذلك هروبا من الظلم والاستعداد لنشر الرسالة على مدى أوسع. وخلاصة القول إن الأمن النفسي في القصة كان ردعا للخوف والفزع اللذين اعتريا أبطال القصة كما كانا فاصلين بين رسالة الكفر ورسالة التوحيد التي تحقق الخير للبشرية جمعاء.

[564] الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ج 11ص 264

جمعت نشأة موسى عليه السّلام تراوحا بين جملة من العلاقات الأسريّة التي انطلقت من الأسرة البيولوجيّة في اتجاه الأسرة المتبنّية، ثمّ العودة إلى الأسرة الأولى. كلّ ذلك ساهم في التّأثير في دلالات الأحداث السرديّة في قصّة النبيّ.

1. الأسرة البيولوجية

تمثل الأسرة السلطة الاجتماعية في المجتمع فهي تتحكم في مصير الفرد وتحدد نسق حياته. والأسرة في أدق تعريف لها «هي الخلية الأولى في جسم المجتمع والنقطة الأولى التي يبدأ منها التطور إنها الوسط الطبيعي والاجتماعي الذي ترعرع فيه الفرد كما أنها الوحدة البيولوجية والاجتماعية البنائية المتكونة من رجل وامرأة يرتبطان مع أطفالهما بطريقة تنظيمية اجتماعية سواء أكان هؤلاء الأطفال من صلبها أو بطريق التبني»[565]. والأسرة البيولوجية هي النواة التي هي أصل كل التكوينات العائلية، وهذا يقتضي الاعتراف بشرعية العلاقة الزوجية، وكل ما يتعلق بها من حقوق وواجبات. إضافة إلى ذلك فهي موضع الأمن والأمان، يحس بهما الفرد في ظلالها بالحفظ والرعاية. والمتأمل لشبكة العلاقة الأسرية لموسى عليه السلام يجدها مكونة من الأب عمران والأم والأخ هارون والأخت التي غيب اسمها في القصة. وقبل الحديث عن كل فرد من هذه الأسرة وجب التذكير بأن الرعاية الربانية كانت حاضرة في كل مرحلة من حياة النبي موسى، في ظرف كانت فيه الحياة أقسى في ظل فرعون الذي علا في الأرض وتجبر. يقول الله تعالى: ﴿طسم تِلْكَ آَيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (القصص/1..3). إنها آيات تبين البداية الحقيقية بين ثنائيتين متضادتين: الحق والباطل. وبين هاتين الثنائيتين ولادة ونشأة ودعوة. وفوق كل ذلك معجزات الرسالة الربانية فوق كل شيء. وولادة موسى عليه السلام كانت صناعة في أولها. وقبل الحديث عن هذه الصناعة وجب ذكر الظروف التاريخية قبل ميلاد موسى لما فيها من الارتباط الوثيق بينها وبين علاقات موسى الأسرية.

---

[565] محمد أحمد بيومي :علم إجتماع العائلي ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، د ط ، 2003- ، ص 20-21 .

ذكرت كتب التاريخ أن بني إسرائيل انتشروا بعد وفاة يوسف عليه السلام، وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب وإسحاق وإبراهيم شرعوا فيه من الإسلام متمسكين به حتى كان فرعون الذي بعث الله موسى إليه. ولم يكن فيهم فرعون أعتى على الله ولا أعظم قولا ولا أقسى قلبا ولا أطول عمرا في ملكه، ولا أسوأ ملكا لبني إسرائيل منه وكان يعذبهم ويستعبدهم وجعلهم خدما وخولا. وصنفهم في أعماله فصنفٌ يبني وصنف يحرث وآخر يتداول الأعمال القذرة. ومن لم يكن أهلا للعمل فعليه الجزية كما قال الله تعالى: ﴿يسومونكم سوء العذاب﴾ (إبراهيم/6)[566]، ففرعون استعمل كل الأساليب القمعية لمنع أي منافس له. وهذه الأساليب تتمثل في الحد من التزايد السكاني و تشتت القوة الاقتصادية، وتشويه التركيبة الجينية.

وسط هذه الظروف كانت ولادة موسى عليه السلام وهو موسى بن عمران بن يعمر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام الذي اصطفاه الله تعالى لقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آَتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (الأعراف/144)، فالرسل ميّزهم الله سبحانه وتعالى بالرسالات لكن موسى عليه السلام ميزه الله بالرسالة والكلام[567]. وقد مرّ هذا الاصطفاء بمراحل تكوينية تجسدت أولا في علاقة موسى بأسرته البيولوجية والمكونة من:

1.1. علاقته بالأب

المتأمل لكلمة (الأب) يجدها مأخوذة من مادة (ء،ب،ب). وهي في لسان العرب "الكلأ". وعبّر بعضهم عنه بأنه المرعى. والأب جميع الكلأ الذي تعتلفه الماشية وفي التنزيل العزيز ﴿فاكهة وأبا﴾ (عبس/31)[568]. فالأب يحمل في هذا السياق دلالة الخصوبة، فهو يمثل الحياة الخصبة وبالتالي فهو أبو فلان بمعنى أنه الشخص الذي أنتج فلان فوجوده ضروري جدا. وهو مسؤول عن رعيته يتعهدها بالحماية والرعاية ويعمل على إشباع حاجاتها البيولوجية والسيكولوجية ويغرس في نفوس أفرادها بذور الثقة بالنفس لتحقق لهم الشعور بالانتماء والطمأنينة. وغياب الأب يخلق فجوة كبيرة سواء أكان جسديا أو معنويا وابتعاده عن

566 أبو إسحاق الثعلبي: قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس ، دار المنار القاهرة ، د ط دت، ص 181.
567 محمد متولي الشعراوي : قصص الأنبياء و المرسلين ، ص315.
568 إبن منظور :لسان العرب ، م 1 ، ص 03 .

أسرته وأبنائه يؤدي لعواقب وخيمة في حين أن حضوره وترك الطفل معه يكسبه خبرة وارتباطا أكبر بالطفل. أمام هذه المعطيات يجدر بنا أن نطرح مجموعة من التساؤلات: هل كان أبو موسى مستعدا لهذه المسؤولية؟ وإن لم يكن كذلك فمن هو البديل الذي يتولى موسى بالرعاية عوض الأب الذي لم يذكر القرآن الكريم وجوده معنويا كما كان حظ الأم. هل وجد ذلك المرعى الخصب الذي أنتج موسى ورعاه من الصغر إلى الكبر؟ كل هذا لا نجد تفاصيله في القصة لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى. إنها الصناعة الإلهية "وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي" فالله سبحانه وتعالى أراد أن يصنع هذا الصبي من أول مرحلة في طفولته، خاصة أنه سبحانه وتعالى سيرسله لمواجهة فرعون الذي عاث في الأرض فسادا، فالمواجهة تستلزم القوة، والقوة تنبع من الاعتماد على النفس وبذلك تستلزم مشقة وصعوبة. ولو كان موسى مترعرعا تحت ظل الأب ربما عاش مدللا معتمدا على أبيه وربما كان لأبيه ثروة ينهل من مصدرها ويتمتع بها و ينهل من خيراتها، وبالتالي تغيب مسألة الاعتماد على النفس، لذلك فعلى هذا الصبي الذي ستوكل له هذه المهمة الصعبة وهي المواجهة والتحدي أن يجتاز الصعاب حتى يبلغ الهدف. وهو بذلك رسول مرسل من الله تعالى. وهكذا كانت حياة الرسول محمد صلّى الله عليه وسلم الذي توفي والده وهو في بطن أمه. قال ابن العماد في (كشف الأسرار): إنما رباه يتيما لأن أساس كل كبير صغير وعقبى كل حقير خطير وأيضا لينظر– صلىّ الله عليه و سلم – إذا وصل إلى مدارج غيره إلى أوائل أمره ليعلم أن العزيز من أعزه الله تعالى وأن قوته ليست من الآباء والأمهات ولا من المال بل قوته من الله تعالى[569]. وكذلك سيكون الشأن بالنسبة إلى موسى عليه السلام.

2.1. علاقته بالأم

تمثل هذه العلاقة أهم العلاقات الأسرية فالأم تمثل المصدر الأساسي للطفل. والأمومة كدَور هي تجسيد لعلاقة الأم بطفلها ككل اجتماعي وفسيولوجي وعاطفي وتبدأ هذه العلاقة من لحظة تكوّن الطفل وتمتد إلى جميع مراحل التطور الفزيولوجي اللاحقة من الحمل إلى الولادة إلى الإرضاع إلى العناية الجسدية وتترافق كل هذه الوظائف بردود فعل عاطفية متماثلة فيما بينها[570]. والجدير بالذكر أن العلاقة التي تجمع الطفل بأمه "تبدأ قبل

---

569 محمد بم يوسف الصالحي :سبل الهداية والرجاء من خير العباد ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة 1997 ن ج1 ، ص 399.

570 هلين دوتس ، علم نفس المرأة الأمومة تر محمد مصعب ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع القاهرة ط1 ، 2008 ، ص 29 .

الولادة في البيئة الرحمية ثم تستمر مع عمليات الرضاعة وأخطر عقباته عقبة الفطام لما يحدث من قطيعة بين الطرفين»[571]. وأمّ موسى في القصة أوّل شخصية نسويه بارزة بدورها البيولوجي والعاطفي الذي يتشكّل في صورة الأم «وأم موسى من بني إسرائيل خافت عليه من فرعون، فألقته في النيل فأخذته زوجة فرعون لتربيه ولكنه رفض المراضع فأحضرت له أخته أمه فرضع منه فربته في بيتها»[572]. وللإشارة فإنّ هذه الأم قد ولدت موسى عام الذبح، وهو محيط نفسي صعب يجعلها تصاب بحالة نفسية مضطربة أثناء الحمل الذي جرى في سرية شديدة، وهو الخوف الذي جرى الحديث عنه في السياق النفسي، فلم تجد وسيلة للنجاة به إلا وضعه في صندوق وتركه في النهر مع بقاء أمل في نفسها بعودته من جديد. وهذا برعاية ربانية طبعا. وكان أول مظهر لرعاية الله لهذه الأم هو أمرها بالإرضاع، وهو أول دور للأم من الناحية البيولوجية قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ (القصص/7).

إنّ وحي الله تعالى بأمر الإرضاع يُبنى على علاقة الأم بطفلها فإرضاعه يضفي عليه نوعا من الأمن والاطمئنان النفسي من جهة ونوعا من البنية الجسمية القوية من جهة أخرى، قال تعالى: ﴿والوالدات يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ (البقرة/233). و«إنما أمرها الله بإرضاعه لتقوى بنيته بلبان أمه كأنه أسعد بالطفل في أول عمره من لبان غيرها وليكون له من الرضاعة الأخيرة قبل إلقائه في اليم قوت يشد فيما بين قذفه في اليم وبين التقاط آل فرعون إياه وإيصاله إلى بيت فرعون»[573]، لذلك كانت أول تنشئة للمولود هو برضاعته الطبيعية. وقد أثبت العلماء أن الرضاعة الطبيعية التي هي عملية تغذية المولود بحليب أمه تُعد أفضل غذاء له. وهي الغذاء الطبيعي لكل مولود خاصة في الأشهر الأولى من عمره. ويتصف هذا الحليب بأنه طازج و نظيف وسهل الهضم وخال من الجراثيم. معنى ذلك أن موسى الطفل سينمو قوي البنية خاليا من الأمراض خصوصا بعد الرحلة الأولى من الانفصال عن أمه بعد إرضاعه. وهذا يقودنا إلى الحديث عن النمو الاجتماعي في سنتي المهد، فالطفل في بداية حياته هو كائن بيولوجي إلا أن طبيعته البيولوجية هذه تفرض عليه الطابع الاجتماعي ففي حياته الأولى يكون معتمدا على الآخرين

---

[571] أشرف طه أبو الدهب :المعجم الإسلامي ن دار القاهرة ، ط1 ، 2002 ، ص91.

[572] عبد العزيز خواجة : أنماط العلاقات الإجتماعية في النص القرآني ص 193

[573] الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، 2002 ص73

خاصة الأم. وأشهر موقف في مرحلة الطفولة عامة وسني المهد خاصة هو موقف التعلق بين الطفل وأمه. والتعلق بالأم يتم أوّلا على أساس الرضاعة.

وإضافة إلى ذلك، توفّر مرحلة الإرضاع الأمان بالنسبة إلى الصبي قبل ساعة الخوف التي ستعتري الأم بعد قليل وبذلك يأمرها الله سبحانه وتعالى بحمايته وهذه هي الرحلة الثانية بعد الإرضاع. وهذه الحماية ناتجة عن الحالة النفسية المضطربة التي تعيشها الأم، الأمر الذي جعلها غير قادرة على توقع ما يمكن أن يحدث له مستقبلا. كيف لا وهي خائفة عليه، تخشى أن يصل نبأه إلى الجلادين فـ"هاهي ذي بطفلها الصغير في قلب المخافة عاجزة عن حمايته عاجزة عن إخفائه عاجزة عن حجز صوته الفطري أن ينم عليه ويوحي الله إليها أن ترضعه فإذا خافت عليه فلتلقيه في اليم فهو في رعاية الله الذي لا أمن إلا في جواره و لا خوف معه»[574]. يقول تعالى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (القصص/7). إنها آية واحدة جمعت بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين في إيجاز معجز. والموقف هنا يتشكل بين متناقضين هما العلاقة البيولوجية الوطيدة بين الأم و طفلها من جهة وشعور الخوف الذي تردد على قلبها أثناء إلقائه في اليم من جهة ثانية، وكأنها تشعر بأنها لن تراه بعد اليوم ولن ينشأ في رعايتها حسب تقاليد المجتمع الأسري، لكن الرعاية الربانية تحول دون ذلك في قوله تعالى : ﴿إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾، فكيف ستكون هذه المرحلة بعد أن انطلقت الوضعية النفسية للأم من وضع قاس؟

يتأكد للأمّ من الوهلة الأولى أنها سترى في ابنها من سيُنهي هوان قومها ويكسر شوكة الظلم والطغيان. وسترى فيه النبي المرسل الذي يقودهم إلى بر الأمان، لذلك ستسارع إلى وضعه في التابوت وإلقائه في اليم وهي تعلم أن ملتقطه الذي هو عدوه سيكون أرحم الناس عليه قاطبة وسيكفل له من الرعاية ما يجعله يشب في فضاء تتوفر فيه كل مرافق الراحة النفسية والمادية. ولكن الحاجة البيولوجية المتواصل لتنشئة الرضيع تستدعي الرجوع إلى رعاية الأم التي لا تزال تربطها بابنها حاجة ماسة. لذلك ستتواصل هذه العلاقة العضوية، وسيكون سببا في ذلك الأخت التي سيتجلى دورها بعد قليل.

574 ماضي شكري، 100قصة من نهاية الظالمين ، المكتبة التوثيقية ، ص54.

3.1. علاقته بالأخت

من المعروف في المجتمعات القديمة أنّ سلطة الذكر تطغى على الأنثى ففي المجتمع الجاهلي أو عصر ما قبل الإسلام كانت الأنثى تمثل نذير شؤم في المجتمع موعودة بالدفن في أول حياتها. قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (النحل/58،59). ومن المعروف أيضا أن الرجل كان الدرع الواقي، وسيد القبيلة يتصرف فيها كيفما شاء. وفي مجتمعاتنا يكون الأخ الذكر مسؤولا عن إخوته الإناث حتى لو كان أصغرهم. لكنّ القرآن الكريم، وفي قصة موسى بالذات، جعل الأنثى تتخذ القرار والأخت تنقذ أخاها وتحميه، وهذا ما سنراه مع أخت موسى عليه السلام التي ذكرها الله سبحانه و تعالى في القرآن الكريم في سورة طه في قوله: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ﴾ (طه/40)، وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (القصص/11). وأول خطوة تقوم بها الأخت هي الترقب الذي هو امتداد لفعل الأم الخائفة على وليدها إذ لا تزال تصنع القرار لما فيه من شدة القرب الأسري، فالأخت حلقة الوصل بين الأم والصبي. قال الله تعالى: ﴿وقالت لأخته قصيه﴾ فجملة (قصيه) تمثل مسار الخوف على الصبي وهو يُنقل إلى بيت فرعون. وهو خوف يمتد إلى الأخت التي تلبي هذا الطلب ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ (القصص/12). والتحريم هنا ليس كتحريم بعض الأشياء التي حرمها الله علينا لأن هذا الطفل لم يبلغ سن التكليف ولكن المعنى: «منعناه من أن تقترب من أية امرأة تأتي لترضعه حتى يبحثوا له عن مراضع»[575]، وهو الأهم ومن سيقوم بهذا الدور هو أخته التي ستحقق له الاتصال بأمه مرة أخرى في طريق المهمة الأولى التي أمر فيها الله سبحانه وتعالى الأم وهي الإرضاع. ومرة أخرى سيعود إلى الأم لارتشاف حليبها والرّضاعة من لبانها، ﴿هَل أَدُلُّكُمْ عَلى أَهْل بَيْتٍ يَكفَلونَهُ لَكم وَهُم لَه نَاصِحُون﴾ (القصص/12). إنها الرعاية بالحب والأمان، وأهل البيت هم أولى له بهذه الرعاية ويعلق د. حبيب مونسي على هذه الآية بقوله: «يقع كلامها وقوعا حاسما في خضم البلبلة والاضطراب والقلق فلا يلتفت إليها من تكون ولا كيف دخلت ولا من أين أقبلت إنها الساعة

---

575 محمد متولي الشعراوي ، قصص الأنبياء و المرسلين ، ص221.

بين أيديهم تقدم لهم حلا لمعضلة جربوا معها عددا معتبرا من المراضع. و لم يكن الحديث عن أم وحدها فقط وإنما كان على آل بيت بأجمعهم، وكأن الرعاية تمتد لا لتشمل الصبي وحده وإنما يفيض عطاؤها الخيّر على العائلة كلها»[576]. لذلك فالأخت تساهم في تحقيق النمو الجسمي والبنية القوية لأخيها عن طريق الإرضاع وتعيد له مرحلة الأمن والاستقرار وتحقيق وعد الله سبحانه وتعالى لأم موسى "إنا رادوه". والسبب في كل ذلك هو أخته. وقد تحققت البشارة (فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن). وهكذا يستمر امتداد تأثير الأم ودور الأخت المستلهمة لعاطفة الأمومة متحققا تحققا ذكيا فطنا. وقد تجلت العلاقة بين الأخ و أخته عبر وظيفتين أساسيتين هما:

– وظيفة المراقبة: أي مراقبة أخيها وتأكدها من وصوله إلى القصر وبقائه سليما.

– وظيفة الاسترجاع: لقد عملت الأخت على اقتراح المرضعة واستعادة أخيها بذكاء. ومن هنا تتميّز شخصية الأخت بسمات أهمها:

– شدة السرية مع أن القصة متعلقة بأخيها مباشرة.

– قوة الذكاء في استغلال الظروف الملائمة.

– القوة التواصلية في الحديث والتكيف مع المواقف الجديدة[577].

والملاحظ أن هذه العلاقة الوطيدة بين الأخت وأخيها قد جعلها الله تعالى في المرتبة الأولى قبل علاقة موسى بهارون، كيف لا وهي تجسد وقوف الأخت إلى جانب أخيها وحمايته من كل مكروه خاصة إن كان في مرحلة الولادة والرعاية وهي مرحلة صعبة تحتاج إلى الحيطة والحذر من كل شر.

4.1. علاقته بأخيه هارون

يبيّن القرآن الكريم علاقة موسى بأخيه في مرحلة النضج والكمال. وهي مرحلة يواجه فيها موسى المشقة والصعاب، فيجد في الأخ الحماية والمساندة والدرع الواقي وهو أخوه هارون الذي ذكر اسمه سبع مرات في 17 آية تبين السياقات المختلفة لهذه العلاقة. وأول

---

576 حبيب مونسي: لتردد السردي في القران الكريم ، ص143-144.

577 عبد العزيز خواجة : أنماط العلاقات الاجتماعية في النص القرآني ، ص 186

سياق للمساندة يتجلى في إرسال الله تعالى موسى عليه السلام لمجابهة فرعون لقوله تعالى "إذهب إلى فرعون إنه طغى" فكان جواب موسى جوابا يعتريه نوع من الخوف لقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (القصص/34) «وهذا سؤال صريح يدل على أن موسى لا يريد بالأول التنصل من التبليغ ولكنه أراد تأييده بأخيه وإنما عينه ولم يسأل مؤيدا ما لعلمه بأمانته وإخلاصه لله ولأخيه وعلمه بفصاحة لسانه»[578]. وأولى علاقات المساندة هي تفضيل موسى لأخيه من ناحية الفصاحة لأن الفصاحة سبيل إلى الإقناع والإقناع يقوم على بيان الدليل والحجة، وهذا الإقناع أيضا يتطلب وجود شخصية وهو ما يجسده قوله تعالى: ﴿فأرسله معي ردا يصدقني﴾. والرد هو العون «ومعنى تصديقه إياه أن يكون سببا في تصديق فرعون وملئه إياه بإبانته عن الأدلة التي يبلغها موسى في مقام مجادلة فرعون»[579]. فموسى عليه السلام يريد أن يتخلص من العائق الذي ينتابه بين الفينة والأخرى فتقطع استرساله في الحديث بقوله تعالى على لسانه: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ (طه/25..28). «وهو حديث آخر يكشف عن مستويات في تركيبه فيفرز عددا من الإشارات التي يمكن استغلالها للإطلاع على شخصية موسى إطلاعا يتصل بالجانب الانفعالي الذي يميزه»[580]. وحل العقدة في اللسان ضرب من الكناية التي تتسع إلى ما يضيق الصدر من أسباب الانفعال والاندفاع فإذا زالت مثل هذه العوارض انطلق اللسان بيّن النطق، سلس الحديث فصيح العبارة[581]. وتتواصل العلاقة الوطيدة في قوله تعالى: "وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا" (طه/25..35). «والوزير فعيل بمعنى فاعل من وازر على غير قياس مثل حكيم من أحكم، وهو مشتق من الأزر وهو المعونة و المؤازرة والكل مشتق من الأزر أي الظهر»[582]. فموسى عليه السلام يلتمس من الله عز وجل أن يجعل أخاه هارون سندا وإزرا له في تبليغ رسالته فهو سيتحدى الصعاب ويركب المشقة. وركوب المشقة يستدعي عونا له. وهذا

---

578 الطاهر بن عاشور :التحرير و التنوير ج 20 ، ص114 .
579 الطاهر بن عاشور:المصدر السابق ، ج20 ، ص116 .
580 حبيب مونسي: التردد السردي في القرآن ،ص 199.
581 المرجع نفسه، ص201.
582 حبيب مونسي:التردد السردي في القرآن الكريم ص 201

المعين هو أخوه والعون أيضا يكمن في اليقين بالله سبحانه وتعالى وشدة الإيمان ﴿كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا﴾. وهذه قمة التضامن: رجلان تحابا في الله، أخوان يضحيان من أجل الرسالة بمعية ربانية. وهكذا تكون الدعوة إلى الحق مؤازرة وقوة وسندا لأخوين يريدان أن يبلغا الرسالة ويستجيبا لنداء الله سبحانه وتعالى .

وفي آية أخرى يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (الشعراء/12..14). «إنه يجعل خوفه من التكذيب أولا ذلك التكذيب الذي سيتسبب في إثارة نفسه وضيق صدره واحتباس لسانه فيفكر في أمره ولا يجد ظهيرا له يخرجه من الضيق إلا هارون عليه السلام بما أوتي من هدوء وسكينة وعلم ثم يعود مرة أخرى إلى شأن القوم فيذكر الذنب ويرى فيه ذريعة لقتله»[583]، فهارون هنا بمثابة الموجه المدافع وإن شئت النائب عن أخيه موسى لأنه يقوم بالمهمة إلى جانبه، فهو يمثل الأخ المفرج عن هم أخيه والمساند له في السراء والضراء.

دائما نجد معية الله سبحانه وتعالى من ولادة موسى إلى شبابه إلى رعايته إلى نضجه واستعداده لتلقي الرسالة ودائما تواصل معونة الأخ باستجاب وتأكيد من الله سبحانه وتعالى قال تعالى: «قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآَيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ» (القصص/35).

الشد الربط وشأن العامل بعضو إذا أراد أن يعمل به عملا متعبا للعضو أن يربط عليه لئلا يتفكك أو يعتريه كسر"فقوة موسى عليه السلام مقترن بأخيه والجدير بالذكر أن طلب موسى إشراك هارون معه في مهمة مواجهة فرعون يعد تكليفه بالنبوة، وتبليغ الرسالة يشير إلى الأمور الآتية [584]:

أ- أنّ ما كلف به موسى كان عظيم الشأن بحيث أنه مهما فعل كرجل يحظى بدعم إلهي فإنه يظل محتاجا إلى شريك للحد من النكسات أو لمنعها.

---

583 حبيب مونسي:المرجع السابق ص 205 .

584 الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، ج20 ، ص117 .

ب- أنّ ذلك لا يعني أنه لن يقوم بمهمته كاملة كما ينبغي له بل إن موسى سوف يقوم بالتكليف على أحسن وجه يكمن في حدود بشريته. ولكن وجود هارون سوف يشكل عاملا فعالا في توجيه الأمور نحو المراد[585]. ويبدو جليا أن موسى عليه السلام كان يرى وجوب تحصين نفسه في مجابهته مع فرعون من طريقين أولهما التقوية الوجدانية الفكرية له حتى يتكلم بمنطق يقنع فرعون، وثانيهما التقوية المعنوية والعملية من خلال شد أزره بأخيه هارون في التكليف بالنبوة وتبليغ الرسالة سواء بالدرب الأول أو الثاني فالاعتماد كله على الله عز وجل طالما أن موسى استغاث بربه في الحالين[586].

والملاحظ أن هذه المساعدة والوقوف إلى جنب الأخ جعلت من شخصية هارون تتميّز بعدة سمات فمرّة يظهر بصفة الرسول المبلغ للرسالة الحامل للدعوة مع أخيه فمثلا يرد الأمر إليهما بالذهاب إلى فرعون لقوله تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ (طه/47). وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ (مريم/53). كما يظهر في صورة الأخ المساعد لأخيه والمتوسل له فموسى عليه السلام يمثل الأمر الناهي والمكلف بالدعوة وقد استعان بأخيه على عبدة العجل، لكن حدث ما لم يكن في الحسبان، فقد اتخذوا ذلك العجل عبادة لهم فرجع موسى غضبان فأخذ بلحية أخيه يجرها إليه. وهنا يكمن دور آخر للأخوة فهارون يمثل دور المترجي لأخيه القائم على خدمته والمضحي من أجله فكان من الممكن أن ينسحب من هذه المهمة لكن روح الأخوة منعته من ذلك قال تعالى على لسان هارون: ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (طه/94). فلينظر الناظر في هذه الرابطة الأخوية النابعة من الحب والدفء ﴿يا إبن أم﴾ فالأم حاضرة لا محالة في هذه العلاقة، وكان بإمكانه أن يقول (يا أخي) لكن يا (ابن أمي) كانت أبلغ تأثيرا. إنه يريد الاستمرار ويؤكد على الرابطة الأسرية التي عانت الكثير من الويلات من أجل الرسالة ويؤكد لها الثبات فيريد أن يرتبط بأخيه أكثر وأكثر وما الأم إلا وسيلة لهذا الترابط. وخلاصة ما سبق أن العائلة البيولوجية لموسى عليه السلام كانت تتسم بالهدوء والسلم والروية «سواء من حيث أمه التي كانت لها القدرة على ترك ولدها

---

585 زاهية راغب الدجاني : المفهوم القرآني و التوراتي عن موسى وفرعون ، ص 75 .

586 المرجع نفسه، ص 76 .

في النهر أم أخته التي كتمت السر واسترجعت أخاها أم أخاه الذي يتقن الحديث ويحظى بشعبية واسعة»[587]. هذا الوسط بمعية الله سبحانه وتعالى منحه المحبة والرعاية إنها الرعاية بالحب منذ الولادة لأجل تبليغ الرسالة.

2. الأسرة المتبنّية

تعتبر ظاهرة التبني ظاهرة اجتماعية تسعى لبناء أسرة مثلها مثل الأسرة البيولوجية فهي بمثابة الأسرة البديلة المعوضة للطفل توفر له الرعاية والأمان وكل متطلبات حياته. والتبني في أدق تعريف له هو «قيام رجل و امرأة بتبني طفل أو إنزاله منزلة الابن من حيث تربيته وحمايته ورعاية شؤونه وكفالته وكأنه ابن حقيقي لهما فيصبح الرجل بذلك أباه بالتبني ويصبح أبناء الأسرة أخواته بالتبني»[588]. فالأسرة المتبنية أو البديلة هي التي تعوّض الأسرة البيولوجية في التنشئة الاجتماعية خلال حياة الفرد. والملاحظ أن الأسرة البديلة أو المتبنية في قصة موسى لها طابعها المعيشي الخاص، إنها الأسرة الحاكمة الغنية الطاغية إنها الأسرة المالكة على حساب الأسرة البيولوجية المستضعفة التي أبيدت من أجل الحكم. ومن الملاحظ أيضا أن هذه الأسرة البديلة مكونة من فردين أساسيين هما الأب والأم اللذين يمثلان طرفي النقيض اللذين سنرى تجلياتهما في علاقتهما مع موسى.

1.2. علاقته بالأم البديلة "آسيا"

جاء في قصص الأنبياء أنّ اسمها آسيا بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف. وقيل إنها كانت من بني إسرائيل من سبط موسى[589]. وأول احتكاك لها بهذا الصبي جاء عن طريق التابوت الذي انتقل إلى القصر الملكي. ويُروى في قصص الأنبياء أن آسيا كانت المنقذ لموسى عليه السلام من الموت بعد أن أرسلته أمه في التابوت وذلك بوحي من الله تعالى «حيث انطلق الماء بموسى يرفعه الموج مرة ويخفضه أخرى حتى أدخله بين الأشجار عند دار فرعون إلى روضة هي مستقى جواري فرعون، وكان منها نهر كبير في دار فرعون داخل في بستانه فخرجت جواري فرعون يغتسلن ويستقين فوجدن التابوت فأخذنه وظنن أن فيه مالا فحملنه على حالته حتى ادخلنه

---

587 عبد العزيز خواجة : أنماط العلاقات الاجتماعية في النص القرآني ص 235

588 فرج عبد القادر :موسوعة علم النفس ، ص 54

589إبن كثير :قصص الأنبياء ، تحقيق السيد الجميلي،دار الجبل بيروت ط1 ، د ت ، ص 285 .

إلى آسيا فلما فتحته رأت فيه الغلام فألقى الله تعالى عليها محبة منه فرحمته آسيا وأحبته حبا شديدا فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا على آسيا بشفارهم ليذبحوا الصبي، فقالت آسيا لهم انصرفوا فإن هذا الصبي لا يزيد في بني إسرائيل فأنا آتي فرعون واستوهبه إياه، فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وإن أمركم بذبحه فلا ألومكم، ثم إنها أتت به فرعون وقالت قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا. فقال فرعون قرة عين لك أما أنا فلا حاجة لي فيه»[590]. فالأم البديلة ترعاه، وهي زوجة فرعون الطاغية قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (القصص/9).

إن حكمة الله سبحانه وتعالى جعلت لهذا الولد من يحميه ويضمن له الحياة ويكفل له التربية الكريمة الناعمة والتعليم الناضج الذي يؤهله لقيادة شعب. إنه يحميه مرة أخرى بالحب وعلامته السرور والفرحة "قرت عين" أم يدخل صبي بيتها ولربما كانت تنتظر إقباله كيف لا وهي لا تملك الولد إنها علاقة أم بطفل متبنى مرتبطة به عاطفيا تفرح به وتسر طفل يمثل لها الحياة ويهبها الأمومة فتكون بمثابة أمه الحقيقية. إنها تمنع قتله وهذا يبين مدى خوف كل أم على ابنها وقد تجسد فعليا في امرأة فرعون وفي الوقت نفسه تقنع زوجها بضمه إلى العائلة، وبالتالي توفير الأمن النفسي لموسى الطفل. وهذا الأمن يقوي عنده الشعور بالانتماء إلى هذه الجماعة أو الأسرة البديلة. والملاحظ أن هذه الأم قد استعملت وسائل إقناع مادية ومعنوية تمنع هذا الصبي من بطش فرعون وهي:

1-اتخاذه ولدا: وفي ذلك دعم لفرعون وأنس لزوجته، وبالتالي تأسيس أسرة.

2-منفعته والقيام بدعم مادي ومعنوي في الوقت ذاته. فرعون سيتخذه سندا له وساعدا له إذ ربما سيكون ذراعه الأيمن في السلطة «وهنا تبدو العلاقة التناقضية التي كانت بين قطب الأم التي تسعى لتبني الطفل وقطب فرعون الذي يريد قتله وانتهت الرسالة في النهاية لمصلحة قطب الأم البديلة. وقد استخدمت في هذه العملية الاتصالية مجموعة من وسائل الإقناع لزوجها جرت على نمط ثنائيات متجانسة في ظاهرها لكنها متناقضة داخليا تتضمن جانبين الجانب العاطفي من جهة وهو يمثل المنطق الاجتماعي الأسري والجانب العقلاني من جهة أخرى وهو يمثل المنطق السلطوي النفعي فإن لم يؤثر الجانب الأول أثر الجانب

[590] أبو إسحاق الثعلبي: قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس ، ص 182

الثاني وإن كانت امرأة فرعون تعلم أن المنطق الثاني هو الأكثر تأثيرا في زوجها لكن الدبلوماسية السياسية تقتضي التناوب بينهما لضمان «موقع الأمان بسبب رضى الحاكم و غضبه»[591]. والجدير بالذكر أن علاقة موسى بالأم المتبنية تجسدت أكثر في طفولته وظهرت ملامحها أكثر بينما لا نجد لها تفصيلا في دعوته، إلا أننا نجد الأم تتخذ موقعا آخر مضادا لفرعون. قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آَمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (التحريم/11). معنى ذلك أنها آمنت بالرسالة الإلهية متبعة موسى عليه السلام في دعوته للحق. وبذلك تستمر العلاقة بينها وبينه لا على أساس عاطفة الأمومة فحسب ولكن على أساس الانضمام إلى الدين الجديد الذي يحق الحق ويزهق الباطل.

2.2. علاقته بالأب المتبني "فرعون"

يمكن تقسيم هذه العلاقة بين موسى وفرعون إلى مرحلتين، مرحلة الطفولة ومرحلة النضج والكمال وبداية المواجهة الشديدة بينهما أثناء الدعوة.

1.2.2. مرحلة الطفولة

لما قرت زوجة فرعون بالصبي ﴿قرت عين لي ولك﴾ رد عليها فرعون قرت عين لك، أما أنا فلا حاجة لي فيه. وفي ذلك يقول النبي "ص" الذي يحلف به لو أقر فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت لهداه الله تعالى به كما هدى به امرأته ولكن الله تعالى حرمه ذلك[592].

إن خوف فرعون على سلطة حكمه يغرس في نفسه الانتقام من كل صبي يولد. وهذا الخوف مصدره توقع الكهنة ولادة صبي يكون هلاك فرعون على يده فكانت أول بادرة لحماية هذا الملك والسلطان هي رفض الصبي لأول وهلة ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل وصل إلى القتل توهما بأن سيكون عدوه. وروي في قصص الأنبياء «أنه كان يلعب بين يدي فرعون وبيده قضيب صغير فضرب به رأس فرعون فغضب غضبا شديدا وتطير منه وقال هذا عدوي المطلوب فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه فبلغ ذلك امرأة فرعون فجاءت تسعى إلى

[591] عبد العزيز خواجة : أنماط العلاقات الإجتماعية في النص القرآني ، ص 129 .
[592] أبو إسحاق ا لثعلبي : قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس ، ص185-186

فرعون، وقالت له ما بدا لك في هذا الصبي الذي قد وهبته لي فأخبرها بما فعل موسى فقالت له: إنما هو صبي لا يعقل وإنما صنع هذا من صباه وأنا أجعل فيه بيني وبينك أمرا تعرف به الحق أضع له حليا من الذهب والياقوت وأضع له جمرا فإن أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه وإن أخذ الجمرة علمت أنه صبي، ثم إنها وضعت له طسا فيه الذهب والياقوت وطسا آخر فيه الجمرة فمد موسى يده على أن يأخذ الجواهر ليقبض عليه فحول جبريل عليه السلام يده إلى الجمرة فقبض على جمرة ووضعها في فيه فجاءت على لسانه فأحرقته وذلك الذي قال في قوله تعالى (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي) (طه/27،28). فقالت له آسيا "ألا ترى إلى فعله وأنه صبي لا يعقل فكف عن قتله. وصرف الله عنه ذلك السوء فلم يزل عزيزا مكرما في بيت فرعون وحببه الله تعالى إليه وإلى الناس كلهم حتى كان يحبه كل من يراه»[593]. معنى ذلك أن فرعون كان مترددا في تبني موسى. والعلاقة هنا انبنت على الشك في أنه الصبي العدو الموعود، ففرعون بجبروته يريد التخلص منه بأي طريقة الأمر الذي جعله يخضع الطفل لاختبار كانت نتيجته سلبية عليه بوضع الجمرة في فمه وإصابته نتيجة ذلك بإصابة أرطفونية شكلت عائقا أمامه في عملية الاتصال بالآخرين[594]. ولم يبين لنا القرآن الكريم العلاقة بين موسى والأب المتبني بعد هذه الحادثة إلا بعد مرحلة النضج والكمال.

2.2.2. مرحلة النضج والكمال

يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (القصص/14). وهنا تعود العلاقة متجلية بين موسى والأب المتبني الذي ظهرت عداوته علانية على موسى في حادثة قتل القبطي حينما أصدر فرعون أمرا بملاحقته مع أنه ابنه الذي رباه وحكم عليه بالقتل. ويعتبر هذا الموقف امتدادا لانتقام فرعون وطغيانه فعلاقة موسى به كانت تتجه نحو التنافر وهنا تبدأ حدة المواجهة بينهما. إنه العدو الذي سيواجه فرعون الذي طالما عتا وتجبر، لقد تربى موسى في قصره وكان من المفروض أن يكون سيد القصر وولي عهد أبيه "البديل" لكن بإرادة إلهية يحدث العكس، فما كان فرعون إلا عدوا رغم تبنيه له وفي أثناء مواجهته معه أراد أن يمن عليه ذلك العيش الرغيد الذي تلقاه في قصره،

593 أبو إسحاق الثعلبي:قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس ، ص 185-186 .

594 عبد العزيزعبد العزيز خواجة : أنماط العلاقات الإجتماعية ،ص 190 .

قال تعالى على لسان فرعون: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ (الشعراء/18). ويعلق أحمد خواجة على هذه العلاقة قائلا «لقد استغل فرعون المرجعية الأسرية في العملية الاتصالية من أجل إخماد المعارضة التي كان يتزعمها موسى وذلك في أثناء الحوار الذي جرى بينهما في القصر من خلال تذكيره بعنصرين من العناصر الوظيفية للأسرة استفاد منهما موسى في أثناء وجوده في الأسرة البديلة وهما التربية في أثناء الطفولة والحماية البيولوجية والاقتصادية في أثناء فترة الشباب»[595]. وقد قصد فرعون بهذا الكلام المن على موسى والاحتقار له كأنه يقول: ألست الذي ربيناك صغيرا وأحسنا إليك فمتى كان هذا الأمر الذي تدعيه. ويعلق عبد العزيز خواجة في هذا الشأن حول عنصر السلطة ومرجعية التبني فيقول: «أما المرجعيتان الأخريان اللتان تتصارعان في العملية الاتصالية فهما مرجعية السلطة ومرجعية الانتماء الأسري وتظهر مرجعية السلطة بعدّها أقوى المرجعيات والتي تزيح كل أنواع المرجعيات الأخرى مهما كانت بما في ذلك مرجعية العلاقات العائلية فقد أمر فرعون وحاشيته بملاحقة موسى وقتله مع انه ابنه بالتبني فالولاء للسلطة يزيح غيره من المرجعيات على مختلف مستوياتها»[596].

وتبلغ حدة المواجهة عندما يصل موسى إلى مرحلة الإقناع عن طريق اللين ﴿هَل لَكَ إلا أَن تزَكى وَأهديكَ إلى رَبكَ فَتَخشى فقولا لَه قَولا لَينًا لَعَله يَتَذَكر أَو يَخشَى﴾ (طه/44). إلا أن فرعون كان يمثل الموقف الرافض إذ يقول تعالى على لسانه ﴿أجئتنا لتلْفِتنا عما وجدنا عليه أباءَنا﴾ (يونس/78). إنه يخاف تغيير العادات والتقاليد التي فرضها على قومه ﴿إني أخاف أن يُبَدِّلَ دِينكم أو أن يُظْهِرَ في الأرض الفسادَ﴾ (غافر/26). إضافة إلى ذلك فهو يستخدم شتى الوسائل القمعية لردع ابنه المتبنى فيطرح أسئلة تعجيزية في أثناء الحوار. ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿قال فَمَا بَالُ القُرُونِ الأولَى﴾ (طه/51)، إضافة إلى السخرية والتهكم والحط من الشأن كقوله تعالى: "قال لمن حوله ألا تستمعونَ قال ربكم ورب آبائكم الأولين" (الشعراء/25،26). وتزيد حدة فرعون في أساليبه الاستهزائية كالضحك في قوله تعالى: ﴿فلما جاءهم بآياتنا إذا هُمْ منْها يضْحكون﴾ (الزخرف/47). كما بلغت به الجرأة حد اتهامه بالجنون أي عدم التوازن النفسي والعقلي لقوله تعالى: ﴿قال إنَّ رسولكم الذي أرسل

[595] عبد العزيز خواجة ، أنماط العلاقات الإجتماعية ، ص 190-191.
[596] المرجع نفسه ص 222.

إليكم لمجنون﴾ (الشعراء/27). وبلغ به الأمر في الأخير حدّ التهديد بالسجن إن لم يخضع لأوامره ويتخذه إلها بدلا من إله السماوات والأرض لقوله تعالى: "قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين" (الشعراء/29). وكثيرة هي علاقات المواجهة والتضاد بين موسى الابن وفرعون الأب البديل تشتد حدتها أكثر فأكثر في مواجهات كثيرة خاصة مع السحرة التي سنفصل القول فيها لاحقا.

وخلاصة القول إن هذا الابن عاش مرارة قاسية مع فرعون بالرغم من تربيته في القصر، قصر مليء بالتمادي في الطغيان والقهر والهيمنة، إلا أن رعاية الله سبحانه وتعالى جعلته يتحدى هذا الظلم والطغيان ليظهر علاقات أخرى يواصل فيها المواجهة مهما كانت نتائجها.

3. الأسرة المصاهرة

تبدأ هذه العلاقة عندما انتقل موسى عليه السلام إلى مدين، وذلك بهدى الرعاية والعلم الإلهي"وقد اختار مدين بالذات لبعدها عن سيطرة فرعون، فوصل سالما إليها بعد معاناة سفر استمرت بضعة أيام وهو يعتمد في أكله على ما يجده من عشب. وبوصوله اختار مكانا للسقاية ربما لأمرين أولهما أخذ حاجته من ماء الشرب، وثانيهما التعرف على وضع البلد من الموجودين هناك والتطلع لإيجاد من يمكن أن يؤويه حتى يبدأ بالعمل في ذلك البلد»[597]. وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ (القصص/23). والذود هو الدفع و الطرد فقوله تذودان أي تحتميان[598].

وتبدأ العلاقة بمساندة الفتاتين في الرعاء. إنه موقف إنساني واجتماعي يجسد الأمان والحماية من زحم الرجال. هذا الموقف جعل إحدى الفتاتين تقترح على الأب استئجاره لقوته وأمانته «فالبنت حينما وجدت الإنسان الأمين طلبت من أبيها أن يستأجره. وهذا دليل على أنها لم تهو الخروج وتريد أن تجد من يعفها من هذه المهمة»[599]. ثم تبدأ مرحلة الاستقرار وهي الدخول في الزواج كمؤسسة اجتماعية تساهم في بناء أسرة "فالأب كان عنده حزم لأن

[597] زاهية راغب الدجاني : المفهوم القرآني و التوراتي عن موسى و فرعون ، ص61.
[598] الفخر الرازي : التفسير ر الكبيرج24 ، ص 235. ،
[599] محمد متولي الشعراوي : قصص الأنبياء و المرسلين ،ص 326.

موسى سيدخل بيته ويرعى غنمه والبيت فيه بنتان، وموسى غريب عنهما فوجد الأب أن أفضل حل أن يزوجه إحداهن فتصبح الأولى زوجته والثانية محرمة عليه»[600]. وقد تجسدت هذه المرحلة بناء على اقتراح الفتاة، حيث اقترحت على أبيها تشغيل الرجل لما يتصف به والقوة والأمانة ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص/26). ويستجيب الأب لهذا الاقتراح فيحوله إلى مشروع زواج بأن يقترح على موسى إحدى ابنتيه للزواج مقابل فترة زمنية من التجارة تمتد إلى ثمان سنوات عنده بعده مهرا لها وأن يستكمل العشر إن أراد ذلك»[601]. قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (القصص/27). ويعلق الطاهر بن عاشور في هذا الشأن «وفيه جواز عرض الرجل مولاته على من يتزوجها رغبة في صلاحه»[602]. ويمكننا القول إن هذا الاستقرار مرّ بعدة مراحل بدأها بعلاقة الموقف فقد لاحظ موسى موقفا متناقضا يتشكل من مجموعتين اجتماعيتين مجموعة الرعاة التي تقوم بعملية اقتصادية محدودة وواضحة تتمثل في السقي ومجموعة تتكون من امرأتين منعزلتين لا تقومان بأي عمل. هذا التناقض بين عناصر الموقف استفز موسى ليقوم بالخطوة التالية وهي إرسال الرسالة حيث طلب من المجموعة استفسارا عن الموقف وطبيعة الرسالة الاتصالية المستخدمة قصيرة من دون أي مقدمات يتضمن كلم واحدة "ما خطبكما" كما يقدم النص القرآني طبيعة الشعور الذي يحمله موسى لهذه المجموعة لكونهما امرأتين، ثم تلقى الجواب على الرسالة حيث تحول موسى من موقع المرسل إلى المستقبل يتلقى الجواب عن استفساره وكانت الرسالة المرسلة بطبيعة الرسالة المستقبلة نفسها لأنها كانت قصيرة ودقيقة فهي تتضمن جانبين:

التسويغية: وتتمثل في تسويغ الوقوف فهما منعزلتان بانتظار انصراف الرعاة للسقي. وهذه التسويغية شرطية ترتبط بموقف آخر "لا نسقي حتى يصدر الرعاء".

---

[600] محمد متولي الشعراوي: المصدر السابق : ص 386.

[601] عبد العزيز خواجة :أنماط العلاقات الاجتماعية ، ص 195.

[602] الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، 2002 ، ص 106 .

السببية: تتمثل في كبر سن الأب ﴿وأبونا شيخ كبير﴾. واستخدام السببية في تسويغ الموقف يضمن حفظ المسافة بين المرسل والمتلقي والإبقاء على العلاقة في مستواها العقلاني الجاف بعيدا عن أي عاطفة [603].

والملاحظ في علاقة موسى بالأسرة المصاهرة أن القسط الأوفر كان لوالد الفتاتين، إنه يعرض عليه القصص في أول وهلة إنه يبث حزنه إليه لعله يجد فيه الأب الحنون العطوف الذي حرم منه. يقول حبيب مونسي في هذا الشأن:"فالمرتكز السردي في قصة موسى عليه السلام يرفع من دور الأم والأخت ويغيب دور الأب تغيبيا كليا لذلك ترى في وجود الشيخ في أرض مدين تعويضا للأسرة المفقودة حتى يمكن العامل التربوي من الاتزان والتجانس فقد نال موسى من أمه القسط الذي حفظ له توازن الطفولة وهو الآن يغترف من الأبوة ما يرجح به جانب الإعداد السليم"[604]. وهذا الإعداد السليم يجعل موسى يبلغ مرحلة الإستقرار واتخاذ الموقف ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آَنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آَنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (القصص/29). إنه يقرر الاستقلالية لأسرته، وبالتالي تحمل المسؤولية تجاه هذه الأسرة.

4. علاقاته خارج الأسرة

إن ما عاشه موسى في ظل الأسرة سواء البيولوجية منها أم المتبنية، إنما هو تكوين لشخصيته، فمسار حياته بدأ بصناعة ربانية واستمر كذلك. وبين الأسرتين تجسدت علاقات خارج هاتين الأسرتين قبل مرحلة الاستقرار التي كان الفضل فيها للأسرة المصاهرة، فكيف كانت هذه العلاقات قبلها وبعدها؟ وكيف ساهمت في تكوين شخصيته؟ وكيف غيرت مسار حياته؟

تبعا لهذه الأسئلة يمكن تقسيم هذه العلاقات بحكم ترتيب القصة إلى علاقات ما قبل المصاهرة وعلاقات ما بعدها. وسنركز في هذا الإطار على العلاقات خارج الأسرة أي قبل المصاهرة:

1.4. علاقته برجلين يقتتلان

[603] ينظر عبد العزيز خواجة:أنماط العلاقات ، ص 134

[604] حبيب مونسي :التردد السردي في القرآن الكريم ، ص178.

قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ " (القصص/15). يبين لنا هذا الموقف ملامح التغير التي جسدت شخصية موسى عليه السلام هذا الفتى الذي تربى وترعرع في ظل قصر فرعون تحت هيمنته وسلطته فرأى من الظلم ما رأى وذاق أهله من العذاب ما ذاقوا، لذلك فهو يريد أن يجسّد تلك الشخصية المناهضة للظلم والاستبداد. إنه يشاهد موقفا يتصارع فيه القوي مع الضعيف، فيسارع للنجدة ويتدخل في الحين، لكن التركيبة الاجتماعية قد أثرت فيه، ودفعت به إلى القتل من غير قصد. وقد روي عن أهل التفسير «أنه لما بلغ موسى بن عمران أشده كان يركب مراكب فرعون ويلبس ما يلبس فرعون. وكان يدعى موسى بن فرعون. وامتنع به على بني إسرائيل كثير من الظلم الذي كان فيهم ولا يعلم الناس أن ذلك لم يأت إلا بسبب الرضاعة. قالوا فركب فرعون ذات يوم مركبا وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له: إن فرعون قد ركب فركب موسى أثره وأدركه المقبل بأرض يقال لها منف فدخلها نصف النهار وقد أغلقت أبوابها وليس في طرقها أحد فبينما هو يمشي في ناحية المدينة إذ مر برجلين يقتتلان أحدهما من بني إسرائيل والآخر من آل فرعون»[605]. وقد تجسدت علاقة موسى عليه السلام في دور المنقذ لأحدهما وفي الوقت نفسه حدث القتل من غير تروّ ولا تفكير «وكأنه النزوع الفطري إلى رد الاعتداء عن النفس. إنه فعل لم يسبقه تفكير في السبب ولا في العواقب، يتحرك فيه الجسد تلبية لعاطفة دفينة اختمرت طينتها مع الأيام والسنوات إنه يسمع الاستغاثة وذلك الإنذار الموقوت الذي كان ينتظر الساعة المواتية للإعلان عن الفعل فالاستغاثة منبه موقوت في أعماق الذات تدور عقاربه مع الأيام نحو الانتقال من القلب إلى اليد»[606]، فنسبة التغيير في شخصية موسى عليه السلام انتقلت من دفع المنكر باللسان إلى دفعه ودحضه باليد لكن سرعان ما تدارك الخطأ. إنها وسوسة الشيطان إنها الهداية وما أعظمها هداية.

ويتكرر الموقف مرّة أخرى لتصبح علاقة موسى عليه السلام أكثر حدة في محاربة الظلم لكن دون قتل كيف لا وهو المستغفر لربه التائب له، تنقلب الآية فيصبح الإسرائيلي

---

605 أبو اسحاق الثعلبي : قصص الأنبياء ، ص186-187

606 حبيب مونسي: التردد السردي ، ص 156 .

عدوا لموسى فيوشي به ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (القصص/18،19)، فعلاقة التنافر والتضاد من طرف الإسرائيلي جعلته يتهم موسى ويضع على عاتقه المسؤولية فيما حدث فأول الاتهام القتل وثانيا التجبر والعتو في الأرض وثالثا عدم الإصلاح في الأرض بين الناس بالتي هي أحسن. وكان الهدف من كل هذا هو ضمان الحماية لنفسه، فقوة المصلحة تقتضي حسب رأيه غرس الفتنة. وتشاء رعاية الله تعالى أن تنقذ موسى عليه السلام من هذه الوشاية، لتنشأ علاقة أخرى بين منقذه وهو رجل يسعى.

2.4. علاقته برجل يسعى

إن سبب هذه العلاقة أنه «لما أخبر فرعون عن قتل القبطي أرسل الذباحين وأمرهم بقتل موسى، وقال لهم اصلبوه فإنه غلام لا يهتدي إلى الطريق، فطلب موسى في ثنيات الطريق، وكان موسى يسلك الطريق الأعظم فجاءه رجل من شيعته من أقصى المدينة يقال له حزقيل، وكان على بقية من دين إبراهيم "وكان أول من صدق بموسى وآمن به»[607]. ونلاحظ أنّ "هذا الرجل ينتمي إلى قوم فرعون ولربما أحس بمعاناة واضطهاد القوم الأمر الذي جعله يسرع لإنقاذ موسى، إنها علاقة المساندة، إنه ينقل الحدث الذي جرت فيه المحاورة بين فرعون وحاشيته ﴿إِنَّ المَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بكَ ليقْتُلوكَ﴾ (القصص/20). وأصل الائتمار «قبول أمر الأمر فهو مطاوع أمره قال أمرؤ القيس: "و يعدو على المرء ما يأتمر أي " يضره ما يطيع فيه أمر نفسه، ثم شاع إطلاق الإئتمار على التشاور لأن المشاورين يأخذ يعظهم أمر بعض فيأتمر به الجميع»[608]. وسياق القتل هنا أدى إلى ظهور الحل "فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ "فالرجل ينصحه بالهرب قبل أن يقتله فرعون وقومه. وسرعان ما خرج موسى عليه السلام شادا رحله إلى مدين داعيا الله سبحانه وتعالى ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص/21). ذاك كان موقف الرجل. رجل يكتم إيمانه قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا

---

607 أبو إسحاق الثعلبي: قصص الأنبياء ، ص 188.

608 الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير و التنوير ، ج 20 ، ص96 .

أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ (غافر/28). إنّ إيمان هذا الرجل «يعني أنه لم يكن راضيا عن ظلم فرعون وأنه ربما رأى في وجود موسى إمكانية حدوث تغيير في الأوضاع إن هذا الرجل يتطلع إلى تصحيح الأمور وإنه لما كان يدرك بأن موسى يمتلك القدرة على إنجاز المراد بما أتاه الله تعالى من حكمة وعلم وتفقه في الدين فقد رأى ضرورة إنقاذه من خلال إبلاغه بتشاور الملأ على قتله والطلب منه الخروج كناصح تهمه حياة موسى»[609].

3.4. علاقته مع السحرة

السحر في اللغة عبارة عما لطف وخفي سببه، والسّحْر بالنصب هو الغذاء لخفائه ولطف مجاريه. قال لبيد: وسحر بالطعام وبالشراب [610]. فمعنى السحر هو الخفاء وغياب السبب. أما في الإصطلاح وفي عرف الشرع فهو «مختص بكل أمر تخفّى سببه، ويُتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع ومن أطلق ولم يفد أخاه ذم فاعله. قال تعالى: «سحروا أعين الناس» يعني موهوا عليهم حتى ظنوا أن حبالهم وعصيهم تسعى»[611]. والمتأمل لعلاقة موسى بالسحرة يجد مصدرها الوحيد فرعون الذي يريد أن ينتصر لنفسه، إنه يقيم الحجة عن طريق السحرة و يتهم موسى بالسحر قال تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (الشعراء/34،35). وسرعان ما تحدث الاستجابة ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ (الشعراء/37)، فالسحرة كانوا يشكلون علاقة غير مباشرة مع موسى منذ الوهلة الأولى للدعوة لارتباطهم بفرعون فقد كان السحرة الدعامة الأولى لفرعون ليواجه بهم الدعوة. وقد كان يستعملهم كدليل على حجته وجاء ذلك عندما لم تصل المرحلة الحوارية بينه وبين موسى إلى حل مفتوح، لذلك فهم يمثلون لأول وهلة الهيئة الممثلة لسلطة فرعون. معنى ذلك أنها تشكل علاقة تضاد بالنسبة إلى موسى عليه السلام والتي نتجت عنها المواجهة العلنية التي تجمع الجماهير بالسحرة يوم الزينة. وهم عباد مأمورون استغلهم فرعون لمواجهة موسى، فدورهم يكمن في جمعهم واستغلالهم إنهم تابعون لبناء هرمي يتولى فيه فرعون السلطة كمدع الألوهية لذلك فلابد أن يؤدي السحرة دورا فيشكلون

---

[609] زاهية راغب :المفهوم القرآني و التوراتي عن موسى عليه السلام و فرعون ، ص 58-59 .

[610] محمد الرازي فخر الدين : قصة السحر و السحرة ،في القرآن الكريم ، تحقيق محمد إبراهيم ، مكتبة القرآن القاهرة ، دط،دت ، ص 18 .

[611] محمد الرازي فخر الدين المصدر السابق ، ص، 19-20.

طبقة من الكهنة هدفها إعطاء شرعية لادعاء فرعون تأليه نفسه علما أن بسطاء الناس فكرا يميلون إلى طريق السحرة عادة [612]. ومن الواضح أن السحرة أحسوا بأهميتهم تلك فنحوا نحو استغلال الموقف بهدف زيادة الكسب المادي قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (الشعراء/39..42). وتأتي العلاقة المباشرة بين السحرة وموسى لتتخذ مسارا آخر هو المواجهة والتحدي بمعية إلهية. وقبل المواجهة هناك الوعيد، قال تعالى: "قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى" (طه/61)، «فكلام موسى للسحرة المقدم في إطار النصح الممتزج بإنذار يهدف إلى وضع الحقائق أمام السحرة قبل المباراة وهي أنهم محتالون ولن ينالوا إلا سوء العاقبة»[613]. ويأتي اليوم الموعود قال تعالى: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ (طه/58،59)، فالعلاقة هنا أصبحت جلية واضحة. والتحدي كان بواسطة وسائل سخرها الله سبحانه وتعالى لموسى وهي اليد و العصا التي تحول إلى ثعبان يلتهم كل ما صنعوه ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾)طه/69)، فكيف كانت النتيجة يا ترى؟ إنه انتصار للحق "فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى" (طه/70). فالفعل (ألقي) مبني للمجهول فكأن نفوسهم من تلقاء نفسها خرت ساجدة لله فكأن قوة الحق فاجأت صحوة الفطرة فلم يملكوا إلا أن يقعوا ساجدين بدون إخبار. وهذا السجود عملية مركبة وهناك عملية أخرى تضفيه هي قولهم: ﴿آمنا برب هارون وموسى ﴾، إذن هناك منظر رآه الناس وهو أنهم «القوا سجدا والذي ألقاهم هو قوة الحق لمفاجأته الفطرة فانكبوا على الأرض ساجدين دون اختيار أو شعور وبعد أن سجدوا بدؤوا في إعلان الرأي»[614]. ورغم تهديد فرعون لهم إلا أنهم أصروا على الإيمان بدين موسى وتتجلي علاقة المساندة بين السحرة وموسى عليه السلام وهو يحمل الرسالة وينشر الدعوة. قال تعالى: ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (طه/73). ويدل ذلك «على أنهم و إن كانوا سحرة إلا أنهم

[612] زاهية راغب الدجاني : المفهوم القرآني و التوراتي عن موسى و فرعون ، ص 27 .
[613] زاهية راغب الدجاني:المرجع السابق ، ص 89 .
[614] محمد متولي الشعراوي : قصص الأنبياء، ص371 .

كانوا مقهورين لأوامر الطاغية لكن إذا خلوا إلى أنفسهم تستيقظ فطرتهم، فإذا جاء نبي يزكي الفطرة وينميها مثل عصا موسى فلا يملكون إلا التسليم»[615].

4.4. علاقته مع بني إسرائيل

تمثل هذه الجماعة مجموعة عرقية تقوم على الانتماء العصبي الواحد، أما عن ديانتها قبل دعوة موسى فقد روى الطبري «بأن بني إسرائيل كانوا على الإسلام فلم يزل بنو إسرائيل تحت الفراعنة وهم بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب وإسحاق وإبراهيم شرّعوا فيهم من الإسلام متمسكين به حتى كان فرعونُ موسى الذي بعثه الله إليه ولم يكن من الفراعنة فرعون أشد غلظة ولا أقسى قلبا ولا أسوء ملكة لبني إسرائيل منه يعذبهم فيجعلهم خدما وخولا وصنفهم في أعماله فصنفٌ يبنون وصنف يحرثون وصنف يزرعون له»[616]. فالحالة الاجتماعية لبني إسرائيل تنبئ عن الوضع المزري لهم، إنها جماعة مستضعفة تعمل لحساب نظام فرعون يقول تعالى: "وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ" (البقرة/49). وقد كانت جماعة متمايزة قائمة بذاتها قبل بعثة موسى «ترتبط بروابط نظامية أهما الرابط العرقي الذي يخلق تمايزهم عن بقية المجتمع "أهل مصر" أو آل فرعون»[617].

وتنشأ العلاقة بين بني إسرائيل وموسى عليه السلام بعد بعثة نبي الله. وقد قامت في أولها على تخليص بني إسرائيل من عذاب فرعون وسلطته، قال تعالى: "فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآَيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى" (طه/47). وقد امتثل بنو إسرائيل للدعوة هروبا من تسلط فرعون عليهم، فقد كانوا ينتظرون الفرج الذي سيكون موسى عليه السلام سببه فهم مجرد متلق ومستمع. وتزداد العلاقة بينهم وبين موسى حدة بعد خروجهم من مصر يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى" (طه/77)، إنها عملية إنقاذ لهم وفي الوقت نفسه هداية إلى الطريق المستقيم، فهلا تداركوا ذلك؟ بالطبع لا، فقد اتخذوا طابع العناد مسارا لهم إلى درجة أن العلاقة بينهما تتجسد في عدم الثقة

[615] محمد متولي الشعراوي:المصدر نفسه، ص 370 .

[616] الطبري تاريخ الرسل والملوك ، ج1 ، ص 387نقلته : مراح سعاد النموذج الاجتماعي من القصص القرآني ، رسالة ماجستير الجزائر العاصمة 1998ص 101.

[617] مراح سعاد ، النموذج الاجتماعي في القصص القرآني ، رسالة ماجستير ، ص162 .

بموسى عليه السلام وقد أظهر بنو إسرائيل عدم ثقتهم بموسى خلال أزمتين مروا بهما: أزمة التقتيل الفرعوني لهم وأزمة انحصارهم بين الجيش الفرعوني والبحر. يقول تعالى: «أُوذِينا مِنْ قَبْلِ أَنْ تأتِيَنا ومن بَعْدِ مَا جئتَنا» (الأعراف/129). وتظهر علاقات موسى ببني إسرائيل في جانب الكفر والشرك بالله واتخاذ إله أخر، قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آَلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (الأعراف/138). إنه جحود للنعمة «لقد قالوا ذلك وهم ما زالوا مغمورين في نعم الله إنجاء من عدو واستخلاف في الأرض ومع ذلك بمجرد أن طلعوا إلى البر رأوا جماعة يعبدون صنما فطالبوا موسى أن يجعل لهم صنما يعبدونه»[618]، معنى ذلك أن هذه العلاقة تتجه صوب الكفر إنهم يتحدّون موسى بتعدد الآلهة وسرعان ما تنقلب العلاقة بين موسى بنو إسرائيل إلى موقف حازم حاد لأنه بعيد كل البعد عن هذه العقيدة الجوفاء عقيدة الجهل والعصيان ﴿قال أنتم قوم تجهلون﴾. ولم يقل لهم (لا تعلمون) بل قال (تجهلون) "لأن هناك فارقا بين عدم العلم بالشيء وبين الجهل بالشيء فعدم العلم يعني أن الذهن قد يكون خاليا من أي قضية أما الجهل فهو يعني أن تعلم مناقضا للقضية، إذن هناك قضية يضعها الجاهل ولكنها غير واقعية. إن الذي يرهق العالم هم الجهلاء لا الأميون لأن الأمي حين تعطي له المعلومة فليس عنده ما يناقضها لكنّ الجاهل عنده ما يناقضها ويخالف الواقع»[619]. وتتواصل العلاقة بحدتها وتنافرها وتضادها، إنه طلب المستحيل من هؤلاء. قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَإِذْ آَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (البقرة/51..55). يتبين لنا من خلال هذه الآيات التخلي والصد عن دعوة موسى عليه السلام فلقد تخلوا عنه «حين غاب فترة زمنية فعند تحقيق مطلبهم المتمثل في إنزال كتاب سماوي ورفضوا التخلي عن ظاهرة العجل إلى أن يعود إليهم موسى»[620]. وهنا يظهر

---

618 محمد متولي الشعراوي :تفسير الشعراوي م 07 ، ص 4331 .

619 المصدر نفسه ، ص 4332 .

620 عبد العزيز خواجة : أنماط العلاقات الإجتماعية ، ص245 .

فرد من بني إسرائيل وهو السامري المسؤول عن صناعة العجل الذي اتخذه بنو إسرائيل إلها لهم، وسنفرد له حديثا أثناء العملية التواصلية في الفصل الخامس إنشاء الله.

وهنا تتجسد علاقة الاعتراض بين موسى وقومه. وأهم الاعتراضات التي قدمها موسى عليه السلام لهذا الموقف عدم القدرة على تصور النتائج لأن النتائج المباشرة للموقف لا تخدم أصحابها وإنما كانت ضدهم. ويُضاف إلى ذلك عدم القدرة على تحمل المسؤولية بأن عدّهم غير قادرين على تحمل خلافته بعد غيابه نظرا لكونهم ليسوا في مستوى تحمل مسؤوليات السلطة (بئسما خلفتموني من بعدي).

وخلاصة ما سبق أن علاقة موسى بقومه بني إسرائيل بدأت بخروجه من بني إسرائيل وكان ذاك هربا من بطش فرعون، وبالتالي تكون المواجهة مع فرعون منتهية إلى أن تبدأ مواجهة أخرى مع قومه جسدت لنا علاقة التنافر والتضاد بينهما.

5.4. علاقته بسيدنا الخضر

يبدأ سياق هذه العلاقة بصلة أرادها موسى عليه السلام مع ربه. ويروى في قصص الأنبياء «عن أُبَي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ موسى نبي بني إسرائيل سأل ربه فقال: يا رب إن كان في عبادك أحد هو أعلم مني فدلني عليه، فقال الله عز وجل: نعم في عبادي من هو أعلم منك ثم نعت له مكان الخضر عليه السلام وأذن له في لقائه وروى عن أبي عباس قال لما ظهر موسى وقومه على مصر واستقرت بهم الدار أنزل الله عليهم المن والسلوى وخطب موسى قومه فذكرهم ما أتاهم الله من الخير والنعمة إذ نجاهم من آل فرعون وأهلك عدوهم واستخلفهم في الأرض. قال وكلم الله نبيهم تكليما واصطفاه لنفسه وألقى عليه محبة منه وأتاكم من كل ما سألتموه فبنتم أفضل أهل الأرض وأنتم تقرؤون التوراة فلم يترك نعمة أنعمها الله عليهم إلا ذكرها وعرضهم إياها فقال له رجل من بني إسرائيل قد عرفنا الذي تقول فهل على وجه الأرض أحد أعلم منك يا نبي الله ؟ قال لا، قال فعتب الله عليه حين لم يرد العلم إليه، فبعث إليه جبريل عليه السلام فقال له: يا موسى ما يدريك أين أضع علمي بل إن لي عبدا بمجمع البحرين أعلم منك، فسأل موسى ربه أن يريه إياه، فأوحى الله إليه أن ائت البحر فإنك تجد على شاطئ البحر حوتا فخذه وادفعه إلى فتاك ثم الزم شاطئ البحر، فإذا نسيت الحوت وهلك منك فثمّ تجد العبد الصالح. قال فخرج موسى

وفتاه يقصدان مجمع البحرين للقاء الخضر عليه السلام معهما حوت مالح فذلك قوله تعالى: "وإذ قال موسى" يعني ابن عمران لفتاه أي لصاحبه يوشع بن نون لا أبرح أي لا أزال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين يعني بحر فارس. وروى أبَي بن كعب عن رسول الله صلىّ الله عليه وسلم قال: استجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة فلم يلتئم فدخل موسى الكوة على أثر الحوت فإذا هو بالخضر عليه السلام»[621]. ومن خلال ملابسات القصة تتجلى لنا تلك العلاقة الترابطية لموسى مع سيدنا الخضر وهي علاقة نابعة من شغف موسى عليه السلام بالمعرفة التي تقوده إلى الكشف عن أغوار النفس البشرية وما يراودها من تفكير إن البحث عن المعرفة يجعله أكثر استزادة من العلم وهذا يتطلب جهدا من أجل هذه العملية لأنّ «على الباحث أن يستكشف مصادر المعرفة وأن يبحث عنها فمرور موسى من مجمع البحرين والعودة إليه مرة أخرى مع التعب الذي كان يعانيه يبين أن العملية الاتصالية في العلم هي عملية مستمرة تتطلب الجهد المستمر»[622]. وتتحقق العلاقة أكثر أثناء الحوار الذي دار بينهما والذي حقق في ثلاثة مشاهد. والعلاقة هنا قامت في بدايتها على ثقة المتعلم بالمعلم، وهذا يزيد في قوة العلم. قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ (الكهف/66). إنها علاقة التبعية التي "تشير إلى ثقة المتعلم الكاملة في تعلمه، حيث إذا انعدمت ثقة المتعلم في معلمه انعدمت معها استفادته من علمه وتربيته وبمقدار نقصان الثقة تنقص الفائدة فإذا اكتملت الثقة تحولت إلى تبعية روحية من المتعلم المربي»[623].

تبدأ العلاقة المباشرة بين سيدنا الخضر وموسى بقوله : ﴿قل إنك لن تستطيع معي صبرا﴾، فسيدنا الخضر أراد أن يعلمه الصبر وتحمل الشدائد، لذلك وجب أن يسترشد بعلمه ومعرفته وتحمل النتائج «وقد قدم عذرا لموسى بأنه لن يستطيع أن يصبر وليس هذا لنقص في موسى عليه السلام ولكن لأن الله أخبر العبد الصالح بأمور لم يخبر بها موسى»[624]، فموسى عليه السلام مضطر إلى أن يتبع قاعدة شرطية أخرى في نوع العلاقة الاتصالية بينهما، قال تعالى: ﴿قالَ فإنْ اتَّبعتَني فَلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا﴾

[621] أبو إسحاق الثعلبي::قصص الأنبياء ، ص 236-237 .
[622] عبد العزيز خواجة : أنماط العلاقات الإجتماعية ، ص 267 .
[623] شاهر ذيب : المبادئ التربوية و الأسس النفسية في القصص القرآني ، دار جريرعمان ، ط1 ، 2005 ، ص 72 .
[624] محمد متولي الشعراوي : قصص الأنبياء و المرسلين ،ص 424 .

(الكهف/70)، فموسى عليه السلام يبقى مقيدا بهذا الشرط، إنه في حالة اختبار، وهذا الاختبار تجلى في ثلاث مظاهر أو مشاهد، وهي خرق السفينة وقتل الولد وهدم الجدار، ثلاثة مشاهد نفذ منها صبر موسى وبدأت العلاقة الحوارية تتلاشى بمجرد قول الخضر: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكهف/78). لقد حسم الموقف كمرحلة أولى لتفسير كل ما وقع، إنها مرحلة شرح نتائج تلك الرحلة المعرفية التي خاضها معه. ويعلق حبيب مونسي على هذه العلاقة بقوله: "إن العبد الصالح يريد لموسى أن يشاهد جملة من الأفعال وأن لا يسأله عنها حتى يكشف له العبد الصالح عن حقيقتها فيما بعد غير أنه يدرك أن موسى عليه السلام لن يستطيع مجاهدة فضوله طويلا ولن يعرف كيف يكبح غضبه ولا كيف يحد من مشاعره إزاءها، وأن الجولة لن تدوم طويلا مادامت الأفعال تخرج عن ظاهرها عن سنن المألوف في أفعال البشر، ومن ثم فهي تخرق بغرابتها معايير الفهم و موازين العقل»[625].

وخلاصة القول إنّ معيار العلم والتعلم جسد تلك العلاقة الترابطية بين موسى وسيدنا الخضر. إنها التكوين الإلهي الذي يفتحه على عالم الغيب بعد أن مر بمراحل الملاحظة والمشاهدة فكانت النتائج في أخرها تأويل الأحداث "وكان موسى عليه السلام حين يراجع صفحات من أفعاله الماضية سيجد فيها مقادير الرحمة التي تكتنف الإنسان على الرغم من جهله بالعواقب البعيدة"[626].

إن علاقة موسى عليه السلام داخل الأسرة وخارجها جسدت لنا شخصيته الفذة وما واجهه في حياته لقد كانت حياته مارة بمراحل تكوينية قاربت شخصية الأنبياء إذ يجابهون المصاعب من أجل دعوة الحق في كل ثانية وكل دقيقة برعاية الله عز وجل وحفظه الذي لا تأخذه سنة ولا نوم بيده الأمر كله. وقد كانت صناعة الله لموسى عليه السلام منذ الولادة فقد كان رضيعا يتربص به خطر الذبح، فكانت العلاقة بين الابن والأم بمثابة المنقذ من هذا الخطر ليقع مرة أخرى في يد جلاده فرعون لتتجلى لنا العلاقة بينهما بين أخذ ورد في التبني من جهة وبين القتل والانتقام منه كصبي يهدد حكمه مستقبلا من جهة أخرى والنتيجة حماية الله له بأن عاش في قصر عدوه. وفجأة تقابلنا شخصية الرجل الذي استوى عوده بدخوله

[625] حبيب مونسي: التردد السردي في القران الكريم ، ص 339 .
[626] حبيب مونسي: المرجع السابق، ص341 .

مدين أين كان له الاستقرار الاجتماعي والنفسي بصورة جلية إلى أن نزل الوحي الصادق أمام الشجرة المباركة جذوة من النار تتحول إلى وحي رباني ﴿إني أنا الله﴾ سيستعد لتلقي الرسالة وشحنها في نفوس القوم وفي نفس فرعون بالذات الذي تربى في قصره صغيرا وتحداه بالمعجزات كبيرا وذلك العضد الذي كان وزيره في السراء والضراء هارون عليه السلام. وفوق كل هذا الحكمة في العلم والصبر والبحث عن المعرفة أينما وجدت من الرجل الصالح.

الفصل الخامس: سياق الموقف ودلالته في القصّة

1. عناصر سياق الموقف: المتكلم والسامع

يعرّف صاحب الكليات الكلام بقوله: «عبارة عن فعل مخصوص بفعل الحي القادر لأن يعرف غيره ما في ضميره من الاعتقادات والإرادات. وأما الكلام الذي هو صفة قائمة بالنفس فهي صفة حقيقية كالعلم والقدرة والإرادة والكلام في الأصل على الصحيح هو اللفظ وهو شامل لحرف من حروف المباني أو المعاني ولأكثر منهما»[627]. والكلام في العرف هو «صوت متقطع مفهوم يخرج من الفم لا تدخل فيه القراءة والتسبيح في الصلاة أو خارجها لأنه يسمى قارئا ولا يسمى متكلما»[628]. ويفهم من هذا التعريف أن الكلام يتعلق بوظيفة التلفظ ومن يقوم بها هو المتكلم لأنه يصدر أصواتا لها معنى وتكون قابلة لتحقيق التواصل.

والمتكلم هو «أحد عناصر الموقف وتتعلق به وظيفة اللغة التعبيرية، ذلك أن النزوع لإنشاء النص أو الشروع في الكلام إنما يكون من المتكلم ويخضع بالدرجة لمراده وغرضه»[629]. ولا بد للمتكلم من مستمع يحلل شفرة الكلام. وعملية السمع تمر بخمس خطوات متتالية بمعية دورة الكلام وهذه الخطوات هي:

1-الأحداث النفسية والعمليات العقلية التي تجري في ذهن المتكلم قبل الكلام أو أثناءه.

2-عملية إصدار الكلام المتمثل في أصوات ينتجها ذلك الجهاز المسمى جهاز النطق.

3-الموجات والذبذبات الصوتية الواقعة بين فم المتكلم وأذن السامع بوصفها ناتجة عن حركات أعضاء الجهاز النطقي وبوصفها أثرا مباشرا من آثار هذه الحركات.

4-العمليات العضوية التي يخضع لها الجهاز السمعي لدى السامع والتي وقعت بوصفها رد فعل مباشر للموجات والذبذبات المنتشرة في الهواء.

5-الأحداث النفسية والعمليات التي تجري في ذهن السامع عند سماعه للكلام واستقباله للموجات والذبذبات الصوتية المنقولة إليه بواسطة الهواء»[630]، فالسامع يُعتبَر الطرف الثاني

---

[1] لكفوي:الكليات ص 756

[2] المصدر نفسه ص 757

[629] ردة الله بن ردة الطلخي،:دلالة السياق ص 601

[1] كمال بشر:علم الأصوات،دار غريب القاهرة ،دط،2000،ص 37-38

في العملية التواصلية فهو مخاطب ومستمع ومتلقّ. وقد ركز القرآن الكريم على ظاهرة السمع في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (الأنفال/21)، وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ (الأعراف/179). والسمع في هذا السياق هو الفهم والتدبر. والسمع هو «الأداة الأولى التي بها يحصّل الإنسان العلم والمعرفة، بل هو الأداة الأولى التي يتم بها تواصله مع من حوله وما حوله،»[631]. يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل/78). وعملية السمع متعلقة بالسامع وهو «الهدف في أي عملية اتصال لغوية وتتعلق به الوظيفة الإفهامية»[632]. وبين المتكلم والسامع عملية اتصالية تحيط بها ظروف مختلفة، وهذا ما سنكشفه في القصة.

1.1. بين أم موسى وأخته وآل فرعون

قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (القصص/10..13). المتأمل في سياق هذه الآيات يجد نفسه أمام طرفين يحاول كل واحد منهما إنقاذ موسى الطفل من بطش فرعون. وهذان الطرفان هما الأم والأخت. وسياق الآية يصور لنا الطرف الأول المتكلم، تلك الأم الخائفة المذعورة على وليدها تحاول أن تنقذه بشتى الوسائل، وأول عقباتها النفسية الخوف "وأصبح فؤاد أم موسى فارغا". هذه الآية محط اختلاف المفسرين فمنهم من يقول إن فؤادها كان "فارغا من كل هم إلا من هم موسى ومنهم من يقول فارغا صفرا من العقل فالمعنى أنها سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها من فرط الجزع والخوف"[633]. وسواء أكان هذا أو ذاك فالظروف تصب في قالب واحد وهو فراغ الفؤاد الذي هو الخوف والاشتياق، والخوف من العقبات النفسية التي تبعث في نفس الإنسان التردد والقلق وعدم الاستقرار. وفي الوقت نفسه يتجلى لنا موقف ثان يقف حاجزا بين الخوف

---

[2] بلقاسم همام:آليات التواصل في الخطاب القرآني،أطروحة دكتوراة جامعة باتنة 2005 ص 302

[3] ردة الله بن ردة الله الطلخي:دلالة السياق ص 605

[1] ينظر تفسير الفخر الرازي ج 24 ص 229

وبين الحل الذي ستكون بطلته الأخت. إنها الرعاية الإلهية لهذه الأم التي حاولت إظهاره "إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين". ونستطيع القول إن المرحلة الأولى من الخطر قد وقع تجاوزها ليُلهم الله سبحانه وتعالى هذه الأم بإيجاد الحل فتتحول إلى متكلم أو مرسل يرسل إشارة الأمن من أجل وليدها ليظهر الطرف الثاني المستجيب وهو السامع. قال تعالى: "وقالت لأخته قصيه" أي اتبعي أثره حتى تعلمي خبره وانظري ماذا يفعلون به، وجاءت صيغة القول بفعل الأمر دلالة على الطلب السريع خوفا على ابنها، فالمتكلم "الأم" عن طريق الوحي "تتلقى الأمر بعد إعداد خاص يتيح لها التماس ما فيه من خير عليها وعلى وليدها»[634]. وظروف المتكلم هنا محاطة برعاية إلهية، الأمر الذي جعلها تسخّر ابنها للحماية والأمن وهنا يتجلى لنا جنس المتكلم والمخاطب وهي الأنثى التي تتجلى في الأم والأخت اللتين هما من العائلة البيولوجية التي يكون الحوار بينهما داخلها من نوع خاص يتطلب الحذر واللين في تجاوز مرحلة الخطر. وتحدث الاستجابة بحضور الطرف الثاني الملبي لرغبة الأم وطلبها الأخت "السامع" عن طريق التقصي، وقد جاءت بلغة الحركة والإشارة "فبصرت به عن جنب". والإشارة هي تلك الحركات التي تلجأ إليها منذ أول وهلة وكمرحلة أولى لحماية الصبي وإرجاعه لأمه "وبصر بالشيء صار ذو بصر به، أي باصرا له فهو يفيد قوة الإبصار أي قوة استعمال حاسة البصر وهو التحديق إلى المبصر "فبصر" أشد من أبصر فالباء الداخلة على مفعوله باء السببية للدلالة على شدة العناية برؤية المرئي حتى كأنه صار باصرا بسببه»[635]، فهذه الحركة الجسمية من طرف السامع "الأخت" تحمل كل معاني الحذر والحيطة خشية علم آل فرعون بالصبي.

وتأتي المرحلة الثانية بواسطة اللغة المنطوقة التي تنتقل إلى الطرف الثالث وهم آل فرعون "فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون". هذا الاقتراح الذي ورد في صيغة الاستفهام جاء في ملابسات كان فيها القصر يضج أمام بكاء الطفل وتضوره جوعا فيقع كلام الأخت "وقوعا حاسما في خضم البلبلة والاضطراب والقلق، فلا يلتفت إليها من تكون ولا كيف دخلت ولا من أين أقبلت، إنها الساعة بين أيديهم تقدم لهم حلا لمعضلة جربوها معها عددا معتبرا من المراضع"[636]. والملاحظ أن طريقة الإقناع جاءت عن طريق

2حبيب مونسي:التردد السردي في القرآن الكريم ص 137

[635]الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير،ج 20 ص 83

[636]حبيب مونسي:التردد السردي في القرآن الكريم ص 143-144

وسائل معنوية أكثر منها مادية "أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون" وهو ترغيب معنوي يتمثل في "تلك الغايات التي تعد الماديات والمحسوسات وسيلة للوصول إليها كالسعادة والاطمئنان والراحة والخلود والسمعة وغيرها»[637]. وكما سلف الذكر فهذا العرض من طرف المستمع "الأخت" جاء بطريق الاستفهام المستعمل في العرض "تلطفا مع آل فرعون وإبعاد للظنة عن نفسها"[638].

2.1. بين موسى وفرعون

قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآَيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآَيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ (الأعراف/103..108). أولى ملابسات الآية تمثلت في إشارة قبلية لأهم الانحرافات التي صاحبت تاريخ الأمم السابقة التي كذبت بالرسل السابقة يبينها حرف العطف (ثم) الدال على التعقيب الذي يبين دور واحد من ألي العزم في نشر الرسالة والهداية وهو موسى عليه السلام الذي أرسله الله خصيصا لفرعون وملئه. وقد جاءت كلمة بعث للرسالات "لأن البعث يقتضي أن شيئا كان موجودا ثم انغمر ثم بعثه الحق من جديد"[639]. ويقتضي إرسال هذه الرسالة طرفين متضادين الأول يمثله المتكلم موسى عليه السلام الحامل للآيات المعجزات والثاني المخاطب فرعون المعارض للرسالة فالمتكلم مرسل وظيفته نقل الرسالة "ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا". والآيات جمع آية وهي «الأمر العجيب الذي يقف العقل عنده مشدوها»[640]، فالطرف الأول الذي هو موسى عليه السلام وهو النبي المرسل يبلغ فرعون بأمر ربه، وأولى ملابسات المرسل "الرسول"تمثلت في طريقة الدعوة معنى ذلك أنه يحث على فعل الشيء ألا وهو الإيمان بالله وحده لذلك اقتضى أن يكون المتكلم متوجها بالنداء والطلب لتنفيذ هذا الأمر، وقد جاء بصيغة رفق ولين مستعملا اللغة المنطوقة "يا فرعون إني رسول من رب العالمين" فالمتكلم هنا في حالة يقتضي فيها

---

[637] طه عبد الله:أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي،دار الكتب العلمية بيروت ط1 ،2005 ،ص 115
[638] الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير ج 20 ص 84
[639] الشعراوي:تفسير الشعراوي ،م 8 ص 4272
[640] المرجع نفسه م 8 ص 4272

التعريف بنفسه بإيحاء وأمر من الله تعالى فهو بذلك يبين هوية المصدر الإلهي أي الرسالة. وهذه الرسالة حقيقة واقعة لا مفر منها "حقيق علي" وكلمة حقيق «مشتقة من حق بمعنى وجب وثبت أي متعين وواجب على قول الحق على الله»[641]. وهذه الحقيقة تتلوها بينة من الله أي حجة قاطعة، فشخصية موسى المتكلم شخصية متمسكة بمبدأ الرسالة. إنه يمثل المواجه للضلال والفساد بحقيقة الوحدانية لله «وقد كان الخطاب موجها لفرعون ذاته بينما يتوجه الحوار هنا إلى القوم جميعهم "جئتكم" فهم جميعهم عباد الله وليس لفرعون عليهم من سلطة في تعبيدهم خصوصا بعد أن وجه الخطاب إلى فرعون نفسه بانتزاع السلطة منه معلنا بأن السلطان لله وحده طالبا من فرعون إطلاق بني إسرائيل من أسره وقهره وطلبه هذا ليس من باب التعدي على خصوصيات الآخرين وإنما هو حق لموسى ما دام مرسلا من الله»[642]. معنى ذلك أن المتكلم في مواجهة طرفين، الطرف الرئيسي يمثله فرعون والثاني يمثله القوم الذين استضعفهم فكانوا تحت لواء سلطته.

وتتمثل ملابسات الطرف الثاني الذي هو المخاطب والسامع فرعون الطاغية المشكك في أمر الرسالة الإلهية، ففكرة استيعابه كمستمع لمضمون الرسالة معارضة تماما للمتكلم. قال تعالى على لسان فرعون: "قال إن كنت جئت بآية فأتب ها إن كنت من الصادقين"، فنحن هنا أمام موقف مناقض رافض لمطلب المتكلم منعه من ذلك سلطانه وقوته الأمر الذي جعل المتكلم الأول الذي يتحول بعد ذلك إلى مخاطب وهو موسى عليه السلام يتخذ مسارا آخر للإقناع وهو وسائل مادية تجاوزت المرحلة اللغوية المعتمدة على اللسان الذي هو آلة الكلام. يقول تعالى: "فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين". وهذه الوسائل والإشارات هي بينة من الله تعالى لذلك فملابسات التكلم هنا تتمثل في مجموعة من المعجزات الإلهية وهي الثعبان واليد، وهي سلوكات حركية استعملها المتكلم فكانت محاطة به لحمايته من جبروت فرعون وملئه وهو ما سنرى تفصيله في عنصر الرسالة والعناصر المشتركة.

3.1. بين موسى عليه السلام وأخيه والقوم

[641] الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير ج 9 ص 83

[642] أحمد سنبل:الحوار القرآني بين التفسير والتبصير، ص 105-106

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأعراف/150:151). تتجلى عناصر سياق الموقف في هذه الآيات في جنس المتكلم موسى عليه السلام الذي يمثل الطرف الأكبر في الحديث والمحاورة فهذا المتكلم حامل لرسالة، ومن المفروض أن تؤخذ بعين الاعتبار من طرف هؤلاء القوم، لكن حدث العكس، الأمر الذي جعل المتكلم في حالة نفسية مضطربة قلقة مستاءة من رد فعل قومه بني اسرائيل. ترى كيف كانت نفسيته وهو يفاجأ بهذا الفعل الذي هو عبادة العجل؟ قال تعالى: "ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا". يقول الطبري في شأن هذه الآية: "ولما رجع موسى إلى قومه من بني اسرائيل رجع غضبان أسفا لأن الله كان قد أخبره أنه قد فتن قومه وأن السامري قد أضلهم فكان رجوعه غضبان أسفا لذلك. والأسف شدة الغضب والتغيظ به على من أغضبه وقيل الأسف منزلة وراء الغضب أشد من ذلك[643]"، فالمتكلم هنا تحوطه حالة نفسية هي الغضب وهو "انفعال النفس بمشاعر النقمة إذا أراد الانتقام –حسب علماء النفس–. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "اتقوا الغضب فإنه جمرة توقد قلب ابن آدم ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه"[644].

والملاحظ أن هذا الغضب هو مظهر إيجابي فموسى يدافع عن المهمة المنوطة به وهي عبادة الله جل وعلا. إنه يقيم اللعنة على قومه الذين فتنوا بعبادة العجل "فكون موسى يعود إلى قومه حالة كونه غضبان أسفا يدلنا على أنه علم الخبر بحكاية العجل. والغضب والأسف عملية نفسية فيها حزن وسموها المواجيد النفسية أي الشيء الذي يجده الإنسان في نفسه وقد يعبر عن هذه المواجيد بانفعالات نزوعية ولذلك نجد فارقا بين من يحزن ومن يكبت في نفسه وبين من يغضب فمن يغضب تنتفخ أوداجه ويحمر وجهه ويستمر هياجه وتبرق عيناه بالشر وتندفع يداه، وهذا اسمه غضبان وصار موسى إلى الحالتين الاثنتين وقدم الغضب لأنه رسول له منهجه ولا يكفي في مثل هذا الأمر الحزن فقط بل لابد أن يكون هناك الغضب نتيجة هياج الجوارح"[645]. ونتيجة لذلك فقد توجه بالقول الملفوظ "بئسما

[643] الطبري:جامع البيان عن تأويل آي القرآن،تحقيق محمود محمد شاكر،مكتبة ابن تيمية القاهرة،ط2،دت ،م 13 ص 120 -121
[644] سميح الزين:معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة ج1 ص167
[645] محمد متولي الشعراوي:تفسير الشعراوي م7 ص 4365

خلفتموني" فبئس دالة على الذم. إنه يذم هؤلاء القوم. وهذا الذم مرفق بالاستفهام الدال على السخرية والسخط "أعجلتم أمر ربكم" أي "استبطأتموني وهذا نتيجة لذهاب موسى لثلاثين ليلة وأتممها بعشر، فتساءل موسى هل ظننتم أنني لن آتي وهل كنتم تعتقدون وتؤمنون من أجلي أو من اجل إله قادر»[646]. ثم يتوجه لأخيه "وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه" إنها حركة تعدت اللغة المنطوقة، هي حركة جسمية تعبر عن استياء المتكلم من هذا التصرف. لقد ألقى المسؤولية على عاتق أخيه فماذا كان رده باعتباره مستمعا ومخاطبا. قال تعالى:﴿"قَالَ يَا ابْنَ أُمّ إِنَّ القَوْمَ اسْتَضعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتلونَني فَلا تُشمِتْ بي الأعْدَاء، ولاتَجْعَلنِي مَعَ القوْم الظالمين﴾. إن المستمع هارون اتخذ خطوات لإقناع أخيه أولاها مخاطبته برفق ولين مما ينم عن نفسية هادئة تريد أن تخفف العبء والغضب عن أخيه فالمستمع هنا مراع لآداب الأخوة لأن ردة الفعل لا تقتصر على مهارات الكلام وإنما لها أسلوب آخر في التلطف في الكلام ومن مظاهر التلطف الارتباط بالأم "يا ابن أم" نلحظ أنه قال ابن أم، ولم يقل ابن أبي لأن «أبا موسى وهارون طوي اسمه في تاريخ النبوات ولم يظهر عنه أي خبر والعلم جانا عن أمه لأنها هي التي قابلت المشقات في أمر حياته لذلك جاء هنا بالقدر المشترك البارز في حياتهما ولأن الأمومة مستقر الأرحام ،لذلك أنت تجد أخوة من الأم وأخوة من الأب فقط وأخوة من الأب فقط وأخوة من الأب والأم ونجد في أخوة الأم حنانا ظاهرا»[647]، «فهارون هنا استعمل المرجعية الأسرية في عملية الاتصال لإيقاف غضب موسى وإعادة العلاقات كما كانت عليه من قبل ونقلها من المستوى الانفعالي إلى المستوى العقلاني والتنظيمي لتسهيل مهمة اتخاذ القرارات العقلانية الملائمة للموقف»[648]. والخطوة الثانية في عملية الإقناع هي بيانه سبب عدم مواجهته لقومه "إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني" معنى ذلك "أنه وقف منهم موقف المعارض والمقاوم الذي أدى ما عليه إلى درجة أنهم فكروا في قتله"[649]. والخطوة الثالثة هي الترجي "لا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين"، فروح الأخوة والإشراك في حمل الرسالة جعل المستمع يستخدم هذه الأساليب حتى يتمكن من رضى أخيه، أولها لا تشمت بي الأعداء "والشماتة هي إظهار الفرح بمصيبة تقع بخصم، والأعداء هم القوم الذين اتخذوا العجل وقد وصفهم بالأعداء

---

[646]محمد متولي الشعراوي:المرجع السابق م 7 ص 4366

[647]المصدر نفسه 7 ص 4366-4367

[648]عبد العزيز خواجة: أنماط العلاقات الاجتماعية في النص القرآني ص 187

[649]الشعراوي:تفسير الشعراوي م7 ،ص 4367

كدليل على أنه وقف منهم موقف العداوة، وأن موقف الخلاف بين موسى وهارون سيفرحهم"[650]، فهارون عليه السلام يحاول هنا إخماد نار الفتنة بينه وبين أخيه والتي سببها شماتة الأعداء. وثانيها: لا تجعلني مع القوم الظالمين. إنه يريد أن يثبت له أنه في صف الحق، فلا مجال للظلم ولا مجال إلى الوقوف في صف هؤلاء الظالمين، فالله سبحانه وتعالى أراد أن يبين لنا موقف موسى وموقف أخيه، فموقف موسى ظهر حين غضب على أخيه وابن أمه وموقف هارون الذي يبين العلة في أن القوم استضعفوه وكادوا يقتلونه ولا يمكن أن يطلب منه فوق هذا[651]. إن رفق هارون ولينه جعلا موسى عليه السلام يلتمس العذر. قال تعالى: "قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين".إنه الهدوء والأمان الذي اعترى موسى عليه السلام، وهو يلتمس المغفرة من الله عز وجل له ولأخيه كيف لا وهو ذو الرحمة والمغفرة التي لا نهاية لها.

2. الرسالة

الرسالة لغة مأخوذة من "(رسل). يقال أرسلوا إبلهم إلى الماء إرسالا أي قطعا، والرسل القطيع من كل شيء والجمع أرسال والرسل قطيع بعد قطيع والإرسال التوجيه، وقد أرسل إليه والاسم الرسالة والرسالة والرسول الرسل"[652]، معنى ذلك أن الرسالة بالمفهوم اللغوي تحمل معنى تتابع الجزء الواحد تلو الآخر.

أما اصطلاحا: فهي المحتوى أو الموضوع الذي يراد نقله من المرسل إلى المستقبل. وتختلف نوعية الرسالة سواء أكانت معلومات أم مهارات لاكتسابها أم اتجاهات سلوكية وهي عبارة عن رموز أو كتابة أو كلام أو رسوم أو صور أو أصوات دلالية يتوقف فهم المستقبل لها على خبرته السابقة بها[653]. والرسالة هي مادة التواصل «مؤلفة من مضمون الأخبار المنقولة أي من الصور الفكرية التي تروي لنا عن الواقع أو المرجع المادي وكذا الفكري المجرد أو الخيالي المتصور»[654].

وللرسالة ثلاثة أركان هي:

---

[650] الشعراوي:تفسير الشعراوي م 7 ص 4367

[651] المصدر نفسه م7 ص 4368

[652] ابن منظور:لسان العرب،دار المعارف القاهرة دط،دت م3 ص 1643-1644

[653] عبد العزيز خواجة:آنماط العلاقات الاجتماعية في النص القرآني ص116

[654] رايض نور الدين:نظرية التواصل في اللسانيات الحديثة ،ط1 ،2007 ص308

1-الترميز المتمثل في العملية التي يقوم بها المرسل لتحويل الفكرة إلى رسالة والكلمات إلى نمط يمكن بثه وإيصاله من المرسل إلى المستقبل.

2-بث الرسالة وذلك من خلال إرسال الرسالة الاتصالية للمستقبل على نحو مباشر أو باستخدام وسائل الاتصال المختلفة.

3-استقبال الرسالة وهي العملية التي تجري في ذهن المستقبل لتلقّي الرسالة وفهمها وتفسيرها[655].

وللرسالة شروط يجب توفرها أهمها:

1-تعميم الرسالة حتى تجذب انتباه السامع وذلك بمراعاة تلاؤم موضوع الرسالة مع حاجة المستقبل إلى الرسالة وتوفير مصلحة أو تحقيق إشباع لدى المستقبل.

2-التلاؤم بين المستقبل ومضمون الرسالة حيث يجب أن تحمل رموزا ولغة يفهمها المستقبل مع مراعاة المعاني المتعددة التي قد تحملها لفظة واحدة.

3-تلاؤم صياغة الرسالة مع وسائل الاتصال المتاحة، فالرسالة التي يبذلها المرسل يجب أن تتلاءم مع الوسائل المتوفرة لأن الرسالة التي لا تجد وسائل لتمريرها ونقلها تكون عديمة الجدوى[656]. فالرسالة إذن هي حلقة الوصل بين المتكلم والسامع وعنصر هام من عناصر السياق. وقد اختلفت موضوعاتها حسب المشاركين في الخطاب، ففي الخطاب القرآني نلحظ ذلك الكم الهائل من الموضوعات التي تنم عن الكلام الإلهي المعجز الذي يمثل الفكرة الأساسية للرسالة الإلهية التي تتفرع عنها وسائل أخرى موحى بها إلى الأنبياء عليهم السلام في نقلها إلى المستمعين مهما كانت صفاتهم وأصنافهم، وهذا ما نراه في قصة سيدنا موسى عليه السلام.

1.2. الرسالة الأولى: الأمن والاستقرار

إنّ كل إنسان في هذه الحياة يطمح إلى أن يعيش مسارات حياته في هدوء وراحة بال هي حياة الأمن والاستقرار التي تكون درجاتها متفاوتة عند البشر فمنها المادية ومنها

[655]عبد العزيز خواجة:أنماط العلاقات الاجتماعية ص 106

[656]اعبد العزيز خواجة:ص 106-107

المعنوية، لكنّ درجة الأمن عند الله تعالى أقوى من ذلك ووصول الإنسان إلى مبتغى الأمان من عند الله تعالى مرهون بحقيقة الإيمان به. يقول صلى الله عليه وسلم: "من أصبح آمنا في سربه، معافى في جسده عنده قوت قومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها" (الأدب المفرد)، فهذا الحديث يوضّح ثلاثة أمور رئيسية هي «شعور الإنسان بالأمان في جماعته والعافية في جسده بخلوه من الأمراض وقناعته بالاكتفاء بقدر ما يؤمن من الإشباع بحاجاته الضرورية وغرائزه الفطرية»[657]. كل هذه المقومات تستلزم الإيمان المطلق بحقيقة وجود الله تعالى. ورعاية الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين باب أعظم من الأمان وبخاصة أنبياؤه عليهم السلام الذين أوكلهم رسالته الربانية. والأمان «ضد الخوف وهو عدم توقع مكروه وأصله طمأنينة النفس وزوال الخوف»[658]. من خلال هذا القول نستطيع أن نبين أول مظاهر الأمن والاستقرار من خلال رعاية الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام منذ ولادته حتى تكليفه بالدعوة. كل هذه المسافة الزمنية يحققها قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيتُ عَلَيكَ مَحَبة مِنّي ولتصنَع عَلَى عَيني﴾ (طه/39). "وإلقاء المحبة مجاز في تعلق المحبة به أي خلق المحبة في قلب المحب بدون سبب عادي حتى كأنه وضع باليد ووصف المحبة بأنها من الله للدلالة على أنها محبة خارقة للعادة لعدم ابتداء أسباب المحبة العرفية من الإلف والانتفاع"[659]. وهذه المحبة التي ألقيت على موسى عليه السلام مقترنة بسبب يجعل ذلك الأمن والاستقرار يتحقق لا محالة، إنه الصناعة الإلهية "ولتصنع على عيني"، «والصنع مستعار للتربية والتنمية تشبيها لذلك بصنع شيئ مصنوع»[660]. وقد اقترنت هذه الصناعة بالفعل المضارع المسبوق بلام العاقبة أو الصيرورة كما يسميها النحاة دلالة على أن تلك الصناعة مسيّرة لا محالة "وهي لام تدخل على الفعل المضارع فينتصب وتدخل على الاسم وتدل على عاقبة الأمر»[661]. والصناعة التي هي نتيجة للمحبة بدأت أول ما وُلد موسى عليه السلام رضاعة من أم وإنقاذا من أخت، فالعائلة البيولوجية اجتمعت حتى تنقذه من بطش فرعون وجبروته إضافة إلى ما بذلته الأم البديلة من مجهود مادي ومعنوي حتى يترعرع وسط القهر معززا مكرما. ولا يزال موسى عليه السلام تحت رعاية الله سبحانه وتعالى فقد أمّنه من الخوف من

---

[657] عاطف الزين:معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة ج 2 ص 88
[658] الزبيدي:تاج العروس ،تحقيق علي هلالي الكويت ط1 2001 ج 34 ص 193
[659] الطاهر بن عاشور::تفسير التحرير والتنوير ج16 ص217
[660] المرجع نفسه ج 16 ص218
[661] يونس عبد مرزوك الجنابي:أسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم ،المدار الإسلامي بيروت ط 1 2002 ص 92

ظلم فرعون في حادثة قتل القبطي إلى أن ورد ماء مدين، «وقد توجه موسى عليه السلام إلى مدين ليبعدها عن سيطرة فرعون كما تقول كتب التاريخ، ووصل سالما إليها بعد معاناة سفر استمرت بضعة أيام وهو يعتمد في أكله على ما يجده من عشب وبوصوله اختار مكانا للسقاية ربما لأمرين أولهما أخذ حاجته من ماء الشرب وثانيهما التعرف على وضع البلد من الموجودين هناك والتطلع لإيجاد من يمكن أن يأويه حتى يبدأ بالعمل في ذلك البلد»[662]. قال تعالى في هذا الشأن: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ" (القصص/23،24).

إن موضوع الرسالة الأولى الذي هو الأمان والاستقرار قد تجلت بوادره بمجرد وصول موسى عليه السلام إلى ماء مدين أين وجد جماعة من الناس يسقون، وفي المقابل وجد امرأتين تريدان السقي لأغنامهما. وفي العرف الاجتماعي يتبين لنا أن المرأتين أولى بالسقي دون الرجال، وموسى عليه السلام سيقوم حتما بهذه المهمة. وأول سؤال ورد في جملة (ما خطبكما؟) هو سؤال الطرف الأول الذي سيكون محور الحوار، إنه التعامل الاجتماعي الراقي نتيجة للملاحظة الدقيقة للموقف اللاحضاري الذي تصرفت به مجموعة الرجال الذين يريدون السقي. وقد جاء السؤال موجزا مباشرا «إذ لم يكن التوجه إلى الرعاة للسؤال عن المرأتين بل كان السؤال موجها إلى أصحاب القضية أساسا فلو اتجه إلى غيرهما لوجد من الردود التي فيها الاختلاف الشديد أو التحقير الشديد أو غيره من الانفعالات اليدوية المعروفة، ولكن المطلب التربوي يريد أن يكون السؤال موجها إلى الضحية أولا لأنها أبدر إلى الكشف عما يضايقها، فكان الجواب موجزا بيّنا يفصح عن واقع الأمر المتجدد»[663]. "قالتا لا نسقي" فما السر في رفض السقي؟ إنه أسلوب النفي الدال على القطع والمنع المؤقت ويتوقف ذلك إلى حين يصدر الرعاء «وأصدر أي أرسل غيره»[664]. ورسالة الأمن والاستقرار تقودنا إلى معرفة السبب المباشر لعدم السقي "وأبونا شيخ كبير" فكان بإمكان موسى عليه السلام أن يستعين بأحد الرعاة للمساعدة أو أن يوجه الأمر له، أو أن يترك الفتاتين لحالهما تجنبا للحرج، لكن المبادرة منعت كل ذلك "لقد سقى لهما"، فهذا الموقف

---

[662] زاهية راغب الدجاني:المفهوم القرآني والتوراتي عن موسى عليه السلام وفرعون ص 60
[663] حبيب مونسي:التردد السردي في القرآن الكريم ص 173
[664] محمد متولي الشعراوي،قصص الأنبياء والمرسلين ص 324

الرجولي جسد تلك المرحلة وهي مرحلة التدخل الذي ينتقل به موسى عليه السلام «من مستوى الحديث إلى مستوى التفاعل الاجتماعي داخل الموقف بتغييره العناصر المكونة له»[665]. ولابد لهذه المبادرة الإنسانية أن تنتهي على خير "فالواجب الاجتماعي فرضُ عين على الذوات، ولكن الجزاء هبة تأتي لتتويج الإخلاص والصدق»[666]. إنه الجزاء الأعظم من الله سبحانه وتعالى "فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا" (القصص/25). وأولى خطوة للوصول إلى الشيخ الكبير عبارة (تمشي على استحياء). و«تتخذ الرسالة مسارا غير لغوي بالدرجة الأولى إنه سلوك الحياء الذي يعد إطارا مرجعيا ولغة اتصالية تحمل رسالة قيمية تحفظ المسافة بين المرسل والمستقبل»[667] ليتحقق له اتصال آخر فتغدو الرسالة رسمية بين موسى عليه السلام وصهره بناء على اقتراح الفتاة تشغيل الرجل لما يتصف به من القوة والأمانة. وهنا يتم التطبيق الفعلي لمشروع الاستقرار وهو زواج موسى عليه السلام من الفتاة التي كانت سببا مباشرا في العملية الاتصالية وفق شروط معينة نتلمسها في ثنايا الآيات. وقبل ذكر تفاصيلها نود ذكر مجموعة من العناصر الأساسية التي شكلت موضوع الرسالة "الأمان والاستقرار" وهي:

-تتكون تركيبة الرسالة الاتصالية من بنيتين، البنية الظاهرة والبنية الخفية، فالبنية الظاهرة هنا هي النشاط التجاري لكن البنية الخفية هي مشروع الزواج.

-الانتقال من البنية الظاهرة إلى البنية الخفية يمر وفق وسيط اتصالي له القدرة على إعادة تشكيل هذه الرسالة في حالة وجود عائق اتصالي قيمي لها، فقد مرت رسالة الفتاة عبر الأب الذي يحمل خبرة أكثر لتحويلها من مستواها الخفي إلى الظاهر لأن العائق الاتصالي القيمي المتمثل في الحياء كان يمنع هذا التحويل بسهولة وعلى نحو مباشر.

-الجمع بين الظاهرة والخفية في حال تناقضهما يحتاج إلى اتفاق أو وجود مرجعية تعاقدية بين المرسل والمستقبل فالبنية الظاهرة العقلانية تتمثل في التجارة. والبنية الخفية العاطفية يمثلها مشروع الزواج لذلك وجب إيجاد اتفاق بين موسى وأب الفتاة للربط بينهما.

[665] عبد العزيز خواجة:أنماط العلاقات الاجتماعية ص 194
[666] حبيب مونسي:التردد السردي في القرآن الكريم ص 174
[667] عبد العزيز خواجة:المرجع السابق ص 195

-أساس العلاقات التجارية يقوم على جانبين، الجانب الفزيولوجي المتمثل في السلامة والقوة الجسدية "القوي" والجانب السيكولوجي المتمثل في الابتعاد عن الأمراض النفسية وعدم الضعف أمام المغريات المادية "الأمين".

-أساس العلاقات الزوجية يقوم على الاتفاق بين الأطراف من جهة والقدرة على تجاوز الاتفاق إلى الأحسن منه من دون مطالبة الآخر بالالتزام بذلك"[668]. قال تعالى في هذا الشأن: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (القصص/27). إن هذه الآية تؤكد رسالة الاستقرار والأمان. وقد ورد فعل الطلب "بأن" التي تفيد التوكيد وذلك لزيادة قوة التغيير فهذه إذن أولى المراحل وهي مرحلة الاقتراح على أن يكون التنفيذ بشرط أن يصبح أجيرا له ثمانِ سنين يرعى فيها الغنم، فإن أتم عشرا فله أجر ذلك، فالاستقرار هنا شرطه المهر الذي هو طريق الزواج. وقد قام على تجارة الغنم كسائر الأنبياء، وهو مطلب رزقهم. ويستجيب موسى عليه السلام لهذا الشرط. إنها المرحلة الأخيرة وهي مرحلة البناء «حيث ينفذ موسى جميع الشروط المطلوبة منه في العقد ويضيف عليها الشروط الاختيارية ليتبين بذلك حسن نيته في المشروع»[669]. وبالتالي تتحقق هذه الرسالة وتتواصل عندما يهتم موسى عليه السلام بأهله، ويواصل رحلته طلبا لكسب العيش في قوله تعالى: ﴿ولما قضى موسى الأجل وسار بأهله﴾، فكان الأهل ثمنا لهذه العلاقة الزوجية الآمنة التي تمثل جزءا آخر في محبة الله له وصنعه إياه.

2.2. إثبات وحدانية الله تعالى

أول فكرة رئيسية في موضوع الرسالة هي قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ (طه/15).

أولى ما بدأت به الرسالة هي لحظة المناداة. هذه اللحظة التي كانت محاطة بعناصر مشتركة كانت بمثابة المتحول أو المتغير في حياة موسى عليه السلام. إنها رؤية النار وما

[668]المرجع نفسه ص 196-197

[669]عبد العزيز خواجة:المرجع السابق ص197

فيها من فوائد على موسى في سيره في الطريق المظلم «قشعريرة غريبة أشبه ما تكون بتيار كهربائي خفيف يتصاعد قوة ليسري في الجسم كله كما يسري الحوار بضخامة أسلوبه وشموخ كلماته وضخامته، يهز النفس هزا يجعل الفؤاد يخشى ويخشع»[670]. إنه النداء "نودي". وقد بني للمجهول «زيادة في التشويق إلى استطلاع القصة، فإيهام المنادى يشوق سامع الآية إلى معرفته، ولأنه أدخل في تصوير تلك الحالة بأن موسى ناداه مناد غير معلوم له فحكي نداؤه بالفعل المبني للمجهول»[671]. إن المناداة تقتضي المعلوم من المنادي. وهذا المعلوم هو الله سبحانه وتعالى الذي يكلم موسى عليه السلام دون واسطة فهو كليم الله لقوله تعالى: "وكلم الله موسى تكليما". قال تعالى:"يا موسى إني أنا ربك" فلم يكتف بقوله (أنا ربك) إنما قرنها بأداة التوكيد لإزالة الشك والإبهام، وحديث الله سبحانه وتعالى عن نفسه بضمير المتكلم المفرد أو الجمع كثير في القرآن، ويحمل دلالة التفخيم والتعظيم. إنه يحدد نوع العلاقة القائمة بين المتكلم "الله" ومتلقي كلامه بحيث تكون دلالة ذلك التنبيه على علو منزلة الأول وتواضع منزلة الثاني"[672]. كما أن الإخبار عن ضمير المتكلم بأنه رب المخاطب"[673] لتسكين روعة نفسه من خطاب لا يرى مخاطبه". والإعلان عن ذات الله تعالى يستوجب عقبه مرحلة أخرى، إنها مرحلة التهيئة النفسية إيذانا بما سيقع. قال تعالى: ﴿فاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالوَادِ المُقَدَّس طُوًى وَأَنا اخْتَرْتُك فاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ (طه/12،13). فالأمر بخلع النعلين يشير إلى طهارة المكان الذي تحيط به هالة من الوحي المنزّل على نبيه المختار، أما اخترتك فقد «أخبر عن اختيار الله تعالى موسى بطريق المسند الفعلي المفيد تقوية الحكم»[674]. ولابد للمختار أن يتهيأ معنويا من أجل تلقي الخبر. وهذا التهيؤ يقتضي الاستماع "فاستمع إلى ما يوحى". والاستماع هو «الإصغاء الواعي القاصد إلى التمييز بين الأصوات وفهمها واستيعابها واستخلاص الأفكار واستنتاج الحقائق وتذوق المادة المسموعة ونقدها وإبداء الرأي فيها»[675]. والاستماع في سياق الآية جاء بمنطق معرفة الحقيقة والتدبر فيها فما هي هذه الحقيقة خاصة وأنها جاءت عن طريق الوحي الذي هو «الإعلام في

---

[670] أحمد سنبل:الحوار القرآني بين التفسير والتبصير ص333
[671] الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير ج 16 ص 195
[672] عبد الله صولة:الحجاج في القرآن،دار الفارابي تونس ط1 2001 ص 108
[673] الطاهر بن عاشور: المرجع السابق ج16 ص 196
[674] الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير ج 16 ص 198
[675] مصطفى شلبي، محمد موسى:مهارات الاتصال باللغة العربية،دار العلم دبي ط1 2007 ص 53

خفاء وأصله الإشارة السرية سواء بالكلام الخافت أم بالصوت الخالي من التراكيب الكلامية أم بالأعضاء أم بالكتابة»[676]؟

إنّ هدف الوحي الإلهي هو الاحتجاج عليهم بوجود البشارة والإنذار والبيان والأحكام والمعارف والأوامر"[677]. وهذا الوحي في الآية يبدأ بذات الله تعالى "إنني أنا الله لا إله إلا أنا" «فوقع الإخبار عن ضمير المتكلم باسمه العلم الدال على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد وذلك أول ما يجب علمه من شؤون الإلهية، وهو أن يعلم الاسم الذي جعله الله علما عليه لأن ذلك هو الأصل لجميع ما سيخاطب به من الأحكام المبلغة عن ربهم»[678]. والله أصله "إله ولا يكون إلها حتى يكون معبودا وحتى يكون لعابده خالقا ورازقا ومدبرا عليه مقتدرا"[679]. «ومعنى الإله المعبود وقول الموحد لا إله إلا الله أي لا معبود إلا الله وحذفوا منه الهمزة تخفيفا لكثرة وروده واستعماله ثم أدخلت الألف واللام للتعظيم ودفع الأشياع الذين ذهبوا إليه من تسمية أصنامهم وما يعبدونه آلهة فصار لفظة الله"[680]. والإعلان عن ذات الله يستوجب العبادة والصلاة "وأقم الصلاة لذكري"، "أي حافظ بعد التوحيد على الصلاة وهذا تنبيه على عظم قدر الصلاة، إذ هي تضرع إلى الله تعالى وقيام بين يديه. وعلى هذا فالصلاة هي الذكر. وقد سمى الله تعالى الصلاة ذكرا في قوله "فاسعوا إلى ذكر الله (الجمعة/9)"[681]، فللصلاة ألوان العبودية الشاملة للقلب والعقل واللسان "فللسان الشهادتان والتكبير والتعوذ والبسملة وتلاوة القرآن وللعقل التنظير والتدبر والتفهم وللقلب خشوع ورقة وخوف وبكاء"[682]. وتختتم القضية الأخيرة وهي إثبات الجزاء في يوم القيامة التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى. ويعلق د.حبيب مونسي على هذه الآيات بقوله: "وحيث نتأمل صيغة الإعلان نجد فيها من التوكيد ما يمحو شبح البطن قبل أن يتسبب بالعقل والقلب، ساعتها يتجه العقل والقلب إلى اتجاه واحد فيرتفعان من الأرض إلى السماء بيد أن حركة الارتفاع تلك تقتضي لونا خاصا من التطهير والاستعداد وكأننا حين نقرأ قوله تعالى "فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى" نأوي إلى شيء من التأويل الرمزي الذي يجعلنا

[676] حسين عبيد الشمري:صورة الآخر في الخطاب القرآني،دار الكتب العلمية بيروت ط1 2008 ص 61
[677] ستار جبر حمود:الوحي ودلالته في القرآن الكريم والفكر الإسلامي،دار الكتب العلمية بيروت، ط1 2001 ص 46
[678] الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج 16 ص199
[679] ابن منظور:لسان العرب مادة أله ص
[680] ابن يعيش:شرح المفصل ج1 ص 3
[681] القرطبي:الجامع لأحكام القرآن مؤسسة الرسالة ،بيروت، ط1 2006 ج 14 ص 27
[682] محمد إسماعيل المقدم:لماذا نصلي،دار العقيدة الإسكندرية ط1 2001

نعاين في النعل تخلصا من أدران الدنيا المتمثلة فيما يعلق به من حيث الأرض فيكون التجرد من النعل وخلعه تجردا من أثقال الدنيا وقوانينها وأحكامها تجردا يتيح للنفس صفاء التحليق في علياء القداسة"[683]، ثم يقول:"قد يمثل موسى عليه السلام في هذه الحركة الإنسان...مطلق الإنسان في صلته بالله عز وجل فيكون سفيره إليه والمبلغ عنه، لذلك يتجه التكليم إلى الحديث عن العبادة والصلاة وقرب الساعة والحساب وعدم الالتفات إلى المكذبين المكابرين. واتجاه التكليم إلى هذه الزاوية يلخص واقع البشرية فيما يراد لها من هداية وعبودية، وما تريد لنفسها من شقاوة وتكذيب، فالتكليم في مستواه العام يتجاوز شخص موسى عليه السلام فردا ليتناول الإنسان محررا عن قيد الزمان والمكان كل ذلك "لتجزى كل نفس بما تسعى"جزاءها الخاص بها ذاتا وجزاء خاصا بالإنسان جنسا"[684].

وخلاصة القول إن موضوع رسالة إثبات الوحدانية لله قد أخذ مسارا خاصا تجلى في ذلك الحوار الخفي الذي دار بين الله تعالى ونبيه عليه السلام وتوفرت فيه أركان الرسالة وعناصرها المشتركة فكان موضوعه الأول إثبات ذات الله تعالى والعبادة والصلاة، وذكر الساعة والجزاء. وهذه المحاور الرئيسية ستتوزع على حوارات أخرى بين موسى الذي يحمل هذه الرسالة إلى فرعون وقومه وبني إسرائيل ممن يشككون في الرسالة الإلهية.

1.2.2. بين موسى وهارون وفرعون

قال تعالى:" ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (طه/49..55).

إذا كانت فكرة الرسالة الأولى من رسائل وحدانية الله قائمة على الحوار الخفي، فإن الرسالة الثانية التي بين أيدينا تشاركها أطراف ثلاثة في حوار علني مباشر. وسياق هذه الآيات مستخلص من قصة موسى عليه السلام ومؤازرة أخيه له عندما بعثهما الله إلى

[683] حبيب مونسي:التردد السردي في القرآن الكريم ص195-196
[684] حبيب مونسي:المرجع السابق ،ص 195-196

فرعون أوصاهما أن يلينا له القول عساه أن يكون في ذلك خشية من الله تعالى. وجاءت الرسالة كما سلف الذكر في حوار علني مباشر، رسالة مؤسسة على الإقناع الذي تبثه الأقوال في النفس حتى تتعظ وتهتدي إلى الطريق المستقيم. وقد بدأت مراسيم الحوار بين موسى وهارون بعد أن ترسخ في نفسيهما الأنس والأمان من الله عز وجل "لا تخافا إني معكما أسمع وأرى" فعليهما إذن أن يبلغا الرسالة الإلهية التي موضوعها «أن يرسل فرعون معهما بني اسرائيل بعدما طال تعذيبه واضطهاده لهم وبذلك يتم إنقاذ بني اسرائيل من سوء العذاب ليعودوا إلى الأرض المقدسة بعيدا عن جوره وطغيانه»[(685)] لقوله تعالى:"فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم". وهذا القول اللين الذي أمرهما الله به تحول إلى حالة من السخرية بالنسبة إلى فرعون الطرف الثاني الذي كان رد فعله منافيا مضادا "فمن ربكما يا موسى" سؤال جاء عن طريق الضمير المشترك ثم خص موسى بالإقبال عليه بالنداء لعلمه بأن موسى هو الأصل بالرسالة وأن هارون تابع له ولأن موسى كان معروفا في بلاط فرعون لأنه تربى في قصره. قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ (الشعراء/18). والسؤال جاء في صيغة الإنكار لأن نفس فرعون لا تريد أن تتهدم، وليس لها الاستعداد التام لأن تتنازل عن الألوهية والعياذ بالله. قال تعالى على لسانه ﴿أَلَيْسَ لي مُلْكُ مصِرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ (الزخرف/51). «وقد أعرض عن أن يقول فمن ربي إلى قوله فمن ربكما إعراضا عن الاعتراف بالربوبية ولو بحكاية قولهما لئلا يقع ذلك في سمع أتباعه وقومه فيحسوا أنه متردد في معرفة ربه أو أنه اعترف بأن له ربا»[(686)]، ففرعون يدرك أن ما جاء به موسى عليه السلام يرمي أولا إلى هدم ما انتحله لنفسه من صفة الربوبية ويعلم جيدا أن النبي إذا أفلح في تجريده منها فسيفلح في هدم الادعاء الذي يقيم عليه استبداده بالآخرين وكأن استفسار فرعون ذاك إنما يريد له أن يتجه مباشرة إلى مكمن الخطر في الدعوة التي أقبل بها موسى عليه السلام فإذا تأكد من ذلك أذنه بالحرب والمخاصمة"[(687)]، فالطرف الثاني في الحوار "فرعون" يريد أن يطعن في القضية الرئيسية "وحدانية الله" وينسبها إلى نفسه في سياقات أخرى وفي آيات كثيرة، فكيف كان رد موسى

---

[685] أحمد سنبل:الحوار القرآني بين التفسير والتبصير ص 544

[686] الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير،ج 16 ص 252

[687] حبيب مونسي:لتردد السردي في القرآن الكريم ص 224

عليه السلام وهو الطرف أو المحاور الأول في هذه الرسالة؟ كيف تصل إلينا هذه الرسالة؟ وكيف سيطعمها بالأدلة والبراهين خصوصا وأنها قضية عقائدية محضة؟.

قال تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبُّنَا الذِي أعْطَى كُلَّ شَيء خَلقَه ثُمَّ هَدَى﴾ (طه/50). نلاحظ أنّ موسى أجاب «بإثبات الربوبية لله لجميع الموجودات جريا على قاعدة الاستدلال بالكلية على الجزئية بحيث ينتظم من مجموعهما قياس، فإنّ فرعون من جملة الأشياء فهو داخل في عموم كل شيئ»[688]، فإثبات الوحدانية لله جاء بطريق الاستدلال الذي هو «إيراد الدليل لدعم القضية سواء أكان بطلب من المخالف أم استطراد من المستدل»[689]. كما أن الاستدلال «عملية عقلية ينتقل فيها الفكر من أشياء مسلم بصحتها إلى أشياء أخرى ناتجة عنها بالضرورة تكون جديدة عن الأولى»[690]، وأول استدلال في جواب موسى قضية الخلق. والخلق «مصدر بمعنى الإيجاد، وجيء بفعل الإعطاء للتنبيه على أن الخلق والتكوين نعمة فهو استدلال على الربوبية وتذكير بالنعمة معا»[691]. ويجوز أن يكون الخلق بالمعنى الأخص وهو الخلق على شكل مخصوص فهو يعني الجهل أي الذي أعطى كل شيء من الموجودات شكله المختص به فكونت بذلك الأجناس والأنواع والأصناف والأشخاص من آثار ذلك الخلق"[692]. ولذلك يقول تعالى في شأن الخلق: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة/29)، فموسى عليه السلام بهذا الجواب قد أثبت لفرعون ولغيره أنه سخّر للإنسان نعما كثيرة بعدما كان قطعة من تراب لقوله تعالى: "كُنْتُم أمْواتا فَأَحْيَاكُم" (البقرة/28). وهذه النعمة المعطاة والمسخّرة للإنسان هي من صنع الله سبحانه وتعالى.

ولا تقتصر القضية على الخلق وحده، بل هي مرتبطة بخاصية استدلالية أخرى "ثم هدى". انظر إلى ذلك الترتيب الزمني، فالإنسان لا يولد هكذا دون هدف يبتغيه بل هناك سبل وجب اتباعها، وهناك مهام تُوكل إليه. يقول الشعراوي في شأن هذه الآية :«الحق سبحانه أعطى كل شيء خلقه، الخلق يطلق ويراد به المخلوق فالمخلوق شيء لابد له من

[688]الطاهر بن عاشور:المرجع السابق ج 16 ص 232
[689]طه عبد الله محمد السبعاوي:أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، ص150
[690]رضوان الرضي:الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات انشغاله،مجلة عالم الفكر ،الكويت 2011 ،م4 ص 75
[1] الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير ج 16 ص 232
[692] المرجع نفسه ج 16 ص 232

مادة، لا بد أن يكون له صورة وشكل له لون ورائحة، له عناصر ليؤدي مهمته، فإذا أراد الله سبحانه خلق شيء يقدر له كل هذه الأشياء فأمدّ العين كي تبصر والأنف كي يشم واللسان كي يتذوق ثم هدى كل شيء إلى الأمر المراد به لتمام مهمته بدون أي تدخل فيه من أحد»[693]. وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿الذِي خَلَقَ فَسَوّى والذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ (الأعلى/2،3). شيء يسير بقدرة الله تعالى. والملاحظ أن هذا الجواب الموجه إلى فرعون يقوم على الإيجاز والتلميح، والهدف منه إعمال الفكر وتدبر العقل لهذا العطاء الذي منّ الله سبحانه وتعالى به على خلقه. يقول صاحب (الكشاف) في ذلك:«ولله در هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه، وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف وكان طالبا للحق»[694]، فهلا أجاب فرعون عن هذه الرسالة بالطبع لا. هنا يكمن الإعجاز في قضية الخلق. قال تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (لقمان/11) ففرعون عاجز عن أن ينقض الدليل ولا حيلة له في ذلك، فإلام سيلجأ، وعلام سيبحث. إنه يواجهه بسؤال بعيد عن موضوع الوحدانية بعيد كل البعد عن قصة الخلق "قَالَ فَمَا بَالُ القُرُون الأولَى" (طه/51). إنّه سؤال تعجيز وتشعيب وكأننا بفرعون يريد أن يتهيأ لفرصة الجواب، فإن كان قوم القرون الماضية ممن كانوا على ملّته في حال جيدة ولم يصبهم العذاب فسيتنصر بذلك على موسى فأراد موسى عليه السلام «أن يتجنب التصدي للمجادلة والمناقضة في غير ما جاء لأله لأنه لم يبعث بذلك. وفي هذا الإعراض فوائد كثيرة وهو عالم بمجمل أحوال القرون الأولى وغير عالم بتفاصيل أحوالهم وأحوال أشخاصهم»[695]. قال تعالى على لسانه: ﴿قَالَ عِلْمُها عِنْد رَبّي في كتَابٍ لاَ يَضِلُّ رَبّي ولا يَنْسى﴾ (طه/52) تأكيد على أن الله سبحانه وتعالى عالم الغيب والشهادة معصوم من الخطأ ولا ينسى. وفي هذا الجواب تأكيد على صفات الله سبحانه وتعالى. وما يلبث موسى عليه السلام أن يرجع إلى القضية الرئيسية وهي الخلق في قوله تعالى ﴿الذِي جَعَلَ لَكُم الأرْضَ مِهَادا وسَلَكَ لكُمْ فيهَا سُبُلا وأنْزلَ مِن السَّماء ماء فأخْرجْنا به أزْواجا مِن نَباتٍ شتّى﴾ (طه/53).

[693] محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، ج 15 ص 9284
[694] الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير ج 16 ص 233
[695] الطاهر بن عاشور: المصدر السابق ج 16 ص 235

ولمّا كان موسى عليه السلام بصدد تعداد نعم الله جاء الخطاب بالتعريف عن طريق اسم الموصول المشار إلى الله تعالى بخلاف الآية التي سبقتها "قال ربنا الذي" فهو بذلك يبين بطريقة مباشرة ذات الله سبحانه وتعالى الخالق لكل شيء، وبالتالي إثبات ربوبية الله لجميع مخلوقاته. ويمكن أن نستخلص من قوله تعالى "قال ربنا الذي أعطى" الأفكار الجزئية التي انبثقت منها وهي:

1-جعل لكم الأرض مهادا وسلك لكم فيها سبلا.

2-أنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا شتى.

فالآيات شملت شيئين في خلق الله وهما الركيزتان للحياة: الأرض والماء، فالأرض مستقر الأمان، وقد جعلها الله سبحانه وتعالى مهادا "ومهد من التمهيد وتوطئة الشيء ليكون صالحا لمهمته كما تفعل في فراشك قبل أن تنام، ومن ذلك يسمى فراش الطفل مهدا لأنك تمهّده له وتسوّيه وتزيل عنه ما يقلقه أو يزعجه ليستقر في مهده ويستريح"[696]. وكذلك كان شأن الأرض حين سواها الله سبحانه وتعالى ومهدها لتكون صالحة للحياة وطلب الرزق. وفي آية أخرى يقول: "واللهُ جَعَل لكُمْ الأَرْضَ بِسَاطا" (نوح/19) دلالة على السعة والرزق. وفي أخرى "والأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْع" (الطارق/12) دلالة على الثبات. وبالتالي فالأرض وسيلة للعيش وغيره. ولهذه الأرض سبل أي "طرقا ممهدة توصلكم إلى مهماتكم بسهولة"[697]. والمراد بالسبل «كل سبيل يمكن السير فيه سواء كان من أصل خلقة الأرض كالسهول والرمال أو كان من أثر فعل الناس مثل الثنايا التي تكرر السير فيها فتعبدت وصارت طرقا يتابع الناس السير فيها»[698].

والمسألة الثانية المثبتة في معجزة الخلق هي الماء الذي هو سبب إخراج النبات من الأرض وإنتاج عدد لا حصر له من أزواج النباتات المختلفة وبالتالي تحقيق الحياة. ولابد أن نشير أن «إنزال الماء من السماء ليس لأحد عملٌ فيه، لكن عندما يخرج النبات قد يكون لنا عمل مثل الحرث والبذر والسقي وخلافه، وهذا العمل مستمد من الأسباب التي خلقها الله لك، لذلك لمّا تكلم عن الماء قال (أنزل) فلا دخل لأحد فيه ولما تكلم عن إخراج النباتات قال

[696]محمد متولي الشعراوي:تفسير الشعراوي ج 15 ص 9285
[697]محمد متولي الشعراوي:المصدر السابق،ج 15 ص 9290
[698]الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير ج 16 ص 237

(أخرجنا) لأنه تتكاثف فيه صفات كثيرة تساعد في عملية إخراجه، وكأن الحق تبارك وتعالى يحترم عملك السيئ ويقدره»[699].

والنتيجة من كل هذا أنّ وحدانية الله تعالى في هذه الآيات تأسست على براهين وأدلة تجلت في عملية الخلق التي كان مصدرها الأرض وعمادها الماء. وهذه عناصر مشتركة في موضوع رسالة الوحدانية وبالتالي تحقيق الحياة القائمة على زوجين لقوله تعالى: ﴿سُبْحَان الذي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلّها ممّا تُنْبِت الأرْضُ ومِنْ أَنْفُسِهم وممَّا لا يَعْلَمُون﴾ (يس/36). والأزواج «جمع زوج وحقيقة الزوج أنه اسم لكل فرد من اثنين من صنف واحد فكل أحد منهما هو زوج باعتبار الآخر لأنه يصير بسبق الفرد الأول إياه زوجا»[700] لقوله تعالى ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ (المؤمنون/27)، فهذه الآيات المعجزات متوجهة لذوي العقول المتدبرة في خلق الله لمن يستغلها أحسن استغلال ﴿إِنَّ في ذَلِك لآيَاتٍ لأُولي النُّهَى﴾ (طه/54). ويستدل بقضية الخلق مرة أخرى لتأكيد القضية ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُم وفيها نُعيدُكُم ومنْها نُخْرجكُم تارَةً أخرَى﴾ (طه/55). إنها الذروة التي يقتطعها الإنسان في هذه الأرض والتي تبدأ بوجوده فيها واسترزاقه منها ثم خروجه منها وهو موته وتركه إياها ليبعث منها من جديد، ويقف بين يدي الله سبحانه وتعالى. كل هذه الدلائل هي وسائل إقناعية من موسى إلى فرعون،كل هذا إثبات لوحدانية الله وموسى عليه السلام عددها بكل اطمئنان وأريحية إنها قضية رسالية يحمل مسؤوليتها «وربما كان موقف موسى في حواره مع ربه وطلبه إشراك هارون معه يمثل القمة في وعي المسؤولية بعمق وإخلاص»[701].

وخلاصة ما نقوله إن الداعية يجب أن يعيق كل الأساليب التي يحاول الخصوم أن يتبعوها في سبيل إبعاد أجواء الحوار عن الهدف الأساسي والفكرة الأصلية للحوار فيرجعونهم إلى الفكرة من جديد بأسلوب حكيم يتميز باللياقة والذكاء[702].

2.2.2. بين السحرة وفرعون

---

[699] الشعراوي:تفسير الشعراوي ج 15 ص 9292

[700] الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير ج 16 ص 238

[701] محمد حسن فضل الله:الحوار في القرآن ،دار المنصوري للنشر قسنطينة دط،دت ص 71

[702] محمد حسن فضل الله : المرجع السابق ،ص 72

جمعت محاورات عديدة بين السحرة وفرعون في مجمل آيات القصة وملابساتها تتمثل في أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يثبت لهم أنه وحده القادر على كل شيء فأعطى موسى معجزتين كمقابل لقوم فرعون الذين يمارسون السحر، تمثلت المعجزة الأولى في العصا ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآَهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ (القصص/31). أما المعجزة الثانية فهي اليد ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (القصص/32). ثم كلف الله موسى عليه السلام بإثبات هاتين المعجزتين رفقة أخيه هارون الذي كان أفصح منه لسانا فكانت المواجهة، لكنّ طغيان فرعون وعناده ظلا مستمرين حتى بعد المعجزتين، فكيف كان ذلك؟

قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ (الأعراف/109..112). والملأ هم «القوم الذين يتصدرون المجالس ويملؤونه أو الذين يملؤون العيون هبة والقلوب مهابة وهم هنا المقربون من فرعون وكأنهم يملكون فكرة وعلما عن السحر»[703]. وأول عناد لهؤلاء القوم هو اتهام موسى بالسحر "إنّ هذا لساحر عليم" إذ جاء الاتهام مؤكدا بأنّ ولام التوكيد كي يثبتوا التهمة عليه إضافة إلى الصّفة "عليم" تأكيدا على علمه بالسحر خاصة وأنهم في بيئة يسيطر عليها هذا الطابع المهني. وهذا الاتهام يقتضي للقضاء عليه الاتفاق على مقابلته مع أمهر السحرة حتى يواجهوه. وبالفعل فقد اجتمع السحرة في يوم الزينة، وهم على ثقة بأنهم الغالبون. قال تعالى: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ (الأعراف/113). والمواجهة بين السحرة وموسى تقتضي الاختيار أيهما الأسبق في تنفيذ المهمة حتى يتمكن من نيل الأجر من فرعون كما وعدهم ﴿إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ (طه/115). يقول الشعراوي في هذه الآية: «ونعلم أنّ من يعقب ويكون عمله تاليا لمن تبعه، فإن فعله هو الذي سيترتب عليه الحكم ولابد أن يكون قوي الحجة. هم يريدون أن يكونوا هم المعقبين وأن موسى هو الذي يبدأ، لكن عزتهم تفرض عليهم أن يبدؤوا أولا لذلك جاءوا بالعبارة التي تحمل المعنيين»[704]. ولمّا

[703] متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي م 7 ص 4287

[704] المصدر نفسه ،م 7 ص 4292-4293

ألقى السحرة ما في أيديهم حدثت المعجزة الكبرى "وَأَوْحَينَا إلى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإذَا هِي تلقَفُ مَا يَأفكُون" وفي آية أخرى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (طه/65..69). إنها المعجزة الكبرى والحجة القاطعة. والمعجزة في هذا السياق أسلوب من أساليب الإقناع العملية وهي في أدق تعريفها "أمر خارق للعادة داعية إلى الخير والعادة مقرونة بدعوى النبوة قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله"[705]. والمعجزة التي كانت أهم عناصر الرسالة تمثلت في اليد والعصا:

1–**اليد:** وهي من أعضاء الإنسان وقد وردت كحركة جسمية في عدة آيات من القرآن الكريم في صور شتى أهمها:

أ–**اليد مع الوجه،** كقوله تعالى: "فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ" (الذاريات/29).

ب–**اليد مع الفم،** كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحَ وَعَاد وَثَمُود والذِينَ مِنْ بَعْدِهِم لاَ يَعْلَمُهُم إلا الله جَاءَتْهُمْ رُسُلُهم بالبَيّنَات فرَدُّوا أَيْدِيهِم فِي أَفْواهِهِمْ وَقَالوا إنَّا كَفَرْنَا بِما أَرْسَلْتُم به وإنَّا لَفِي شكٍّ ممَّا تدْعُونَنا إليهِ مُريب﴾ (إبراهيم/9).

ج–**اليد مع الإنسان،** ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ (الفرقان/27).

وقد قامت اليد في قصة سيدنا موسى بدور المعجزة فتجاوزت وظيفتها الأساسية إلى دورين أساسيين هما:

–الخروج في لون أبيض لقوله تعالى: (أسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء).

[705]الشريف الجرجاني،التعريفات ص 121

-إخفاؤها الخوف الذي انتاب موسى عند تحول العصا إلى حية[706].

2-**العصا**: الملاحظ أن هذه العصا قد كانت مهيئة للمعجزة. قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ (طه/17). إنه سبحانه وتعالى لمّا أراد أن يبيّن فوائد العصا وشأنها العظيم سأل نبيه الكريم وهو سؤال أنس له، فكأنه قال له "يا موسى هل تعرف حقيقة هذا الذي بيدك وأنه خشبة لا تضر ولا تنفع ثم إنه قلبه ثعبانا عظيما. فيكون بهذا التعريف قد نبّه العقول على كمال قدرته ونهاية عظمته"[707]. ثم إن هذه العصا في رأي موسى عليه السلام أنها ملكه ويعتمد عليها ويهش بها غنمه. وهذه كانت إجابته. لكن سرعان ما تتحول العصا إلى حية تسعى «لتكون معجزة لموسى عليه السلام يعرف بها نبوة نفسه، وذلك لأنه عليه السلام إلى هذا الوقت ما سمع إلا النداء. والنداء وإن كان مخالفا للعادات إلا أنه لم يكن معجزا لاحتمال أن يكون ذلك من عادات الملائكة أو الجن، فلا شك أنّ الله قلب العصا حية ليصير ذلك دليلا قاهرا. والعجيب أنّ موسى عليه السلام قال أتوكأ عليها فصدقه الله تعالى فيه، وجعلها متكأ له بأن جعلها معجزة له[708]، «فمنذ ظهور موسى عليه السلام بمظهر الرسالة إلى حدود موعد المنافسة الحرة بينه وبين السحرة لم يقع تأييده طيلة تلك الفترة إلا بآية العصا واليد لأن المطلوب إقامة الشهادة على صدق الرسالة. وفي هاتين الآيتين دليل كاف على ذلك. والمعنى البارز في هذا السياق هو أنه سبحانه اقتضت إرادته ألا يستخدم ضغط القوة ما دام في الواقع متسعا للغة العقل. ويمكن القول إن لجوء فرعون إلى السحرة يحمل معنى حرصه على هزيمة موسى عليه السلام بسلاح الحجة واللغة التي تستسيغها العقول. وهذا الحرص رغم شؤمه لم يقابله الله بالعقوبة العاجلة وإنما بقوة الحقيقة»[709]. ولابد من الإشارة إلى رسالة وحدانية الله في هذا المجال أنها تمثلت في عبارة ﴿تلقف ما يأفكون﴾، والإفك «هو قلب الشيء على وجهه ومنه الكذب»[710]. معنى ذلك أن كل ما جاء به السحرة الذين استرهبوا قلوب الناس ماهو إلا إفك وكذب وافتراء، فكانت معجزته تعالى تجعلهم يولّون منكسري الأجنحة "فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين" فما هي نتيجة ذلك الانهزام والقهر؟ إنه

---

[706] ينظر :سليمة مدلفاف تحليل الخطاب القصصي في القرآن الكريم سورة القصص أنموذجا ،رسالة ماجستير ، 1996-1997 الجزائر العاصمة ص 198

[707] محمد الرازي فخر الدين: قصة السحر والسحرة في القرآن الكريم ،تحقيق محمد ابراهيم ،مكتبة القرآن القاهرة دط،دت ص 65-66

[708] المرجع نفسه، ص 73

[709] المنجي المديوني:مواجهة الاستبداد السياسي وسنن نهايات المحن قصة موسى وفرعون أنموذجا ،دار البدائل بيروت ط 1 2001 ص 77

[710] الشعراوي:تفسير الشعراوي م7 ص 4301

السجود ﴿وألقِي السَّحَرَةُ سَاجِدِين﴾ (الأعراف/120). وهي نتيجة إيجابية للحجج القاطعة تتحقق بها الوحدانية لله جل وعلا. فعملية السجود جاءت عن طريق الفعل (ألقي) وهو الفعل المبني للمجهول وكأن هذه العملية جاءت انبهارا بما رأوا وأنها بفعل فاعل «فالساحر منهم كان يعتقد أنه هو الذي يسحر ثم يفاجأ مجموع السحرة أن موسى حين ألقى عصاه رأوها حية بالفعل فعرفوا أن المسألة ليست سحرا»[711]. وقال صاحب الكشاف في هذا الفعل: «ما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الإلقاءين»[712]. والملاحظ أن حركة السجود لا تكفي وحدها للإيمان بالله بل لابد لها من القول الملفوظ وقد تحقق في قولهم "قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون" (الأعراف/121،122)، فالشق الأول "آمنا برب العامين" دلالة على العموم، وتخصيصهم لموسى وهارون دلالة على الخصوص، فالله تعالى أرسلها لهداية كل العالمين. ويعلق الإمام محمد الرازي على هذه الآية بقوله: «لم اختاروا آمنا برب هارون وموسى ولم يقولوا آمنا برب العالمين؟ بل في قولهم آمنا برب هارون وموسى فائدتان الفائدة الأولى هي أنّ فرعون ادعى الربوبية في قوله "أنا ربكم الأعلى"، والإلهية في قوله "ما علمت لكم من إله غيري" فلو أنهم قالوا آمنا برب العالمين لكان فرعون يقول إنهم آمنوا بي لا بغيري، فلقطع هذه التهمة اختاروا هذه العبارة. والدليل عليه أنهم قدموا ذكر هارون على موسى لأن فرعون كان يدعي ربوبيته لموسى بناء على أنه رباه في قوله "أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا". والفائدة الثانية هي أنهم لما شاهدوا أن الله تعالى خصها بتلك المعجزات العظيمة والدرجات الشريفة لا جرم قالوا برب هارون وموسى لأجل ذلك»[713]. كل هذه الأفعال كانت أمام مرأى فرعون فكيف سيقابله؟ هل ستكون له الحجج والبراهين ليثبت لهم عكس ما آمنوا به أم أن هناك وسائل أخرى سيستعملها للإقناع؟

قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الأعراف/123،124)، فأول وسيلة لمحاورة السحرة هو خوف فرعون على سلطانه ونفوذه. إنه على حد قوله إنقاص من شأنه وتهديد لسلطانه، فالأمر والنهي قد نزعا

[711] الشعراوي:المرجع السابق ،م7 ،ص 4303
[712] محمد الرازي فخر الدين،قصة السحر والسحرة في القرآن الكريم ص 130
[713] محمد الرازي فخر الدين :المرجع السابق، ص، 132-133

عنه فلم يبق إلا رب العزة، ففرعون "لم يكن يريد تشويه صورته جماعيا لذلك كان يبحث عن مسوغات للانتقال إلى مرحلة القمع الجسدي وقدم مجموعة من الاتهامات للسحرة تعطيه هذه الشرعية التي تتمثل في:

-الخروج عن طاعة السلطة قبل أن يأذن لهم الحاكم بذلك.

-التآمر مع المعارضة لأن موسى هو زعيمهم وهو الذي علمهم السحر.

-المكر وإثارة الفوضى في المدينة" (714).

وثاني وسيلة استعملها هارون هي التهديد بقطع الأيدي والأرجل والصلب "لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيكُم وأرجُلَكُم مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُم أَجْمَعِينْ" (الأعراف/124). وهذا ينبئ أن رغبة فرعون هي جعل السحرة عبرة للناس حتى ينشر حكمه وطغيانه. وكل هذا العذاب وهذا الوعيد لن ينفي الوحدانية لله، وقد كان رد السحرة موجزا ذا يقين: ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (الأعراف/125،126). يتبين لنا من خلال هذا القول أن السحرة استعملوا حججا عقلية إيمانية تنم عن إيمانهم القوي بالله تعالى وهي:

1-إثبات دعوى الخصم بإثبات نقيضها "إنا إلى ربنا منقلبون"فالرجوع إلى طريق الحق يعني الرجوع إلى الله تعالى، وبالتالي المثول إلى جواره وذلك بعد ما كانوا إلى جانب فرعون يأتمرون بأمره.

2-استعمال أسلوب السخرية والتمسك بالحق حتى ولو استعمل أقصى أنواع العذاب.

3-التحدي بطريق الصبر وإيثار الإيمان على كل شيء. والعبرة من هذا عدم التخلي عن الحق إرضاء لأي قوة وتحت وجود أي ضغط.

ويعلق الدكتور حسين عبيد الشمري على هذا الموقف بقوله: «لعل الصراع النفسي الذي هيمن على سير الأحداث أفضى إلى استعمال العنف اتجاه الفكر الجديد في نهاية الأمر فالمشهد الذي امتاز بتفرده في تحول الأحداث السردية التي أظهرت السحرة في المشهد

---

[714] عبد العزيز خواجة:أنماط العلاقات الاجتماعية، ص ،227

الأول بصورة المتحدي لموسى تحول في المشهد الثاني إلى صورة المتحول نحو الإدراك الجمالي الذي أقر بالدعوة في حضرة الطاغي المتجبر»[715]. وما تجدر الإشارة إليه أن رسالة إثبات وحدانية الله تطفو منابعها في كل ثنايا القصة، وقد اخترنا القليل القليل منها وفي جميع السياقات وفي وسائل أخرى تبين دلائلها حتى وإن اختلفت موضوعات الرسائل المراد دراستها.

3.2. الرسالة الثالثة: الوصول إلى الباطن من خلال الظاهر

تشكل هذه الرسالة مسارا آخر في قصة سيدنا موسى عليه السلام، وهو تلك الرحلة التي صاحبته مع العبد الصالح والتي أظهرت أفقا جديدا لموسى عليه السلام من خلال السير إلى طريق العلم الباطني عن طريق الظاهر. وهذه الرسالة تحمل دلائل زمانية ومكانية للوصول إلى العبد الصالح نترك الحديث عنها في عنصري الزمان والمكان. لنركز على موضوع الرسالة الرئيسي: الوصول إلى الباطن من خلال الظاهر. قال تعالى:﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آَتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف/64). إنّ الله سبحانه وتعالى يختار العبد لمصاحبة موسى عليه السلام وكأنه يهيئ له الجو المناسب للتعلم والولوج إلى المعرفة ولابد لهذه المعرفة من عبد تتوفر فيه صفات المعلم الذي يريد تلقين الفكرة إلى المتعلم، وهذه الصفات هي الرحمة والعلم اللدني.

1.3.2. الرحمة

الرحمة تعني الرقة. جاء في (تاج العروس): «الرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد يستعمل تارة في الإحسان المجرد وتارة في الرقة المجردة وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة نحو (رحم الله فلانا) والرحمة من الله إنعام وإفضال ومن الآدميين رقة وتعطف»[716]. والرحمة إفاضة النعمة على مستحقها وإيصال السيئ إلى سعادته التي تليق به لقوله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (الأنعام/12). ويقول تعالى: ﴿وَرَحْمَتي وَسِعَتْ كلَّ شَيء فَسَأَكْتُبُها للذِينَ يَتَّقُون﴾ (الأعراف/156). "معنى ذلك أنّ سعة الرحمة وإفاضة النعمة من مقتضيات الألوهية ولوازم صفة الربوبية، فما من موجود مخلوق إلا ووجوده نعمة

[715]حسين عبيد الشمري:صورة الآخر في الخطاب القرآني ص85
[716]الزبيدي:تاج العروس ج 32 ص 225

لنفسه ولكثير ممن دونه"[717]. وللرحمة أوجه كثيرة في القرآن الكريم، فمن معانيها دين الإسلام والمحبة والنبوة والرزق والعاقبة وغيرها"[718]. والرحمة التي أتاها الله لهذا العبد الصالح هي الوحي والنبوة، وقيل الرزق"[719]. ومهما يكن من اختلافات حول نوع هذه الرحمة فهي لا محالة حاملة للرأفة والرقة حتى يستطيع أن يتعامل مع سيدنا موسى عليه السلام.

2.3.2. العلم اللدني

العلم من لدن الله هو «الإعلام بطريق الوحي»[720]. والعلم اللدني هو"علم من لدن الله تعالى يكشف به لأبنائه بعض أسرار الغيب. ومن مظاهره الرؤيا التي تتداخل مع الإلهام الإلهي في أنها علم من عند الله تعالى ولكنها تحصل في التمام عندما تدل على أمر يحدث في الواقع[721]، "ولذلك يقال لها الرؤيا الصادقة ومثال ذلك حادثة إبراهيم عليه السلام مع ابنه إسماعيل عليه السلام. معنى ذلك أن هذا العلم «من لدنه أي من عند الله تعالى كشف به عن غيب من الغيوب سيحدث بحيث يمكن لصاحب هذا العلم اللدني أن يرى في حاضره رؤيا واضحة أي المستقبل المغيب عنه»[722]. ولابد من الإشارة إلى أن هذا المصطلح هو ما يعبر به الصوفية عن علومهم وهي "معارف يتلقاها المريد في رحلته على الطريق ويسميها معارف لدنية، فالعلم الباطني والعلوم الذوقية والكشفية والقلبية هي علوم لدنية يسبغها الله تعالى ويقذفها في قلب السالك والولي"[723]. ويتخذون من قصة العبد الصالح مع موسى عليه السلام الأساس الذي يرجعون إليه في خصوصية هذا العلم، فالعلم الذي علّم لموسى عليه السلام هو من علم الغيب. وقد أكد الزمخشري هذا المعنى مستفيدا من نسبته إليه تعالى بقوله عزوجل: "من لدنا" "أنه مما يختص به تعالى من العلم وهو الإخبار عن الغيوب. وأهم ما يميز هذا العلم من خلال الآية أنه لا واسطة بين العبد وربه"[724]، لذلك فهو اتصال مباشر بينهما. وسياق هذه الآية كما قال الشعراوي: «أن هناك أحكاما غير

717 صالح عظيمة،مصطلحات قرآنية ص 192-193
718 صالح عظيمة: المرجع السابق ، ص 191-192
719 أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط تحقيق عادل أحمد عبد الموجود،دار الكتب العلمية بيروت ،ط1 1993 ج 6 ص 139
720 الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير،ج 15 ص 396
721 سميح عاطف الزين:معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة ج2 ص17
722 المرجع نفسه ج2 ص 18
723 ستار جبر حمود:الوحي ودلالته في القرآن الكريم والفكر الإسلامي ص 206
724 الزمخشري: الكشاف، ج 2 ص 491

ظاهرية لها علل باطنية فوق العلل الظاهرية وهذه هي التي اختص بها العبد الصالح»[725].
وأولى بدايات الرحلة كانت سؤالا للعبد الصالح. ويمكننا القول إن معظم هذه الرسالة جاءت بأسلوب الاستفهام «والاستفهام هو طلب المراد من الغير عن جهة الاستعلام»[726]. ويُعد الاستفهام من آليات التوجيه والإقناع يستعملها المتكلم للوصول إلى المعرفة وبالتالي السيطرة على مجريات الحدث. قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ (الكهف/66). وهو سؤال وجيه مقترن بسبب يحمل من اللين واللطافة الشيء الكثير جاء متصدرا بحرف الاستفهام "هل"، وهي «حرف يستفهم به في الإيجاب عن النسبة وطلب التصديق الإيجابي وهي دالة على الاستقبال لأنها دخلت على الفعل المضارع»[727]. والاتباع هنا «مقترن بسبب أي اتبعك باذلا لي علمك»[728]. وقد جاء التعليل بـ(على) وهي تفيد التعليل إذا كانت داخلة على ما هو سبب في وجود متعلقها. وجملة "على أن تعلمني" في موضع الحال أي بإذلالي و(على) هنا بمعنى اللام أي هل أصحبك على شرط أن تعلمني ما علمك الله فالصحبة هنا لأجل الاسترشاد به والتعلم منه"[729]، فموسى عليه السلام يريد أن يحقق الهدف وهو التعلم. وهذا أول غرض لهذه الرسالة. إنه يطلب المعرفة لمن هو أعلى درجة منه وهذا يكشف لنا تواضع من يطلب العلم. وما لبث العبد الصالح أن يجد وسيلة للتنبيه وهي أن رسالة طلب العلم هي رسالة صعبة المنال. وهذا يتطلب التريث والصبر ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ (الكهف/67، 68). «إن الاختيار صعب ولن يتمكن من اختياره. والعبد الصالح يقدم بذلك قاعدة معرفية تحدد العلاقة بين الذات والموضوع أو الباحث وموضوعه تتمثل في عدم قدرة الباحث على استيعاب المعرفة إن لم يكن متخصصا بها، فعدم التخصص عائق من عوائق العملية الاتصالية في المجال العلمي والمعرفي»[730]. وما تنبغي الإشارة إليه أن هذا العلم مقترن بالرشد، والرشد: «هو حسن التصرف في الأشياء وسداد المسلك في علة ما أنت بصدده»[731]، فهذا النوع من العلم الذي سيطلبه موسى عليه السلام لم يأت هكذا اعتباطا

---

[725] الشعراوي:تفسير الشعراوي، ج 14 ص 8954
[726] عاطف فضل: تركيب الجملة الإنشائية ص 400
[727] علي توفيق الحمد،يوسف جميل: المعجم الوافي في أدوات النحو العربي ،دار الأمل الأردن ط 2 1993 ص 342
[728] السمين الحلبي:الدر المصون في علوم الكتاب المكنون،دار العلم دمشق ،دط،دت ج 7 ص 52
[729] يوسف عبد مرزوك:أسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم، ص 178-197
[730] عبد العزيز خواجة:أنماط العلاقات الاجتماعية في النص القرآني ص 268
[731] الشعراوي:تفسير الشعراوي م 14 ص 8955

ولكنه علم يسير به عن طريق الهدي إلى طريق الخير والسداد. وهذا لايعني أن موسى عليه السلام لم يكن راشدا، كيف لا وهو النبي المرسل من عند الله تعالى فالرشد الذي طلبه «هو الرشد في مذهب العبد الصالح. وقد دل على هذا أنه طلب شيئا لم يكن معلوما له وهذا لا يصلح في مكانة النبوة لأن الحق سبحانه وتعالى قال "وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاّ قَلِيلاَ" (الإسراء/85)"[732]. وموسى عليه السلام على استعداد تام لتلقي هذا العلم "قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا". وهذا الاستعداد مقترن بمشيئة الله فهو المسير والمدبر لكل شيء، فموسى عليه السلام عبد مأمور يريد أن يصل إلى مبتغاه لذا عليه أن يتحمل العناء للوصول إلى الهدف. والعبد الصالح يؤكد على المنهج الذي يسير عليه فهو مقترن بشرط ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ (الكهف/70)، فهناك معايير يجب اتباعها أثناء هذه الصحبة التي ركزت على ثلاثة مشاهد:

المشهد الأول: خرق السفينة: يقول تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ (الكهف/71). والسفينة وسيلة بحرية للركوب ولنقل الأمتعة تشق عباب الموج حتى تصل إلى هدفها، تخطو المسافات وفجأة تتعرض للخطر معنى ذلك أن هناك تلفا وهناك ضحايا وخسائر مادية، وبالتالي لم تعد صالحة للاستعمال وأهلها الآن أو بعد حين سيتعرضون للغرق. إنه الهلاك وبالتالي سيكون مصيرهم الموت لا محالة، فمن المسؤول عن كل هذا؟ ومن الفاعل؟ إنه العبد الصالح.

يتفاجأ موسى عليه السلام وتنتابه الرهبة لما حصل فكيف سيجيب؟ وكيف يقف أمام هذا المشهد الغريب؟ إنّ هذه المسألة العجيبة قد حزّت في نفسه فلم يصبر لذلك كان موقفه على مراحل:

1-مرحلة الاستفهام والسؤال عما حدث "أخرقتها". وقد جاء متصدرا همزة الاستفهام الدالة على التعجب وسرعة الحدث.

2-مرحلة التعليل "لتغرق أهلها" فالتعليل جاء عن طريق حرف اللام التي هي"أم باب التعليل والأصل فيه. وتفيد تعليلا بالغرض وبالسبب بحسب دلالة المعنى"[733].

---

[732] الشعراوي : المصدر السابق ج 14 ص 8956-8957

[733] يونس عبد مرزوك:أسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم ص 47

3-مرحلة الحكم: "لقد جئت شيئا إمرا" أي أمرا عجيبا تحتار له العقول وصنيعا في الوقت نفسه.

وهنا بداية لاختلاف الرأي وخلف الوعد لكن هذا لم يمنع العبد الصالح من أن يكون «رفيقا يطالب عالمه أن يكون رحيما به مستعدا للتجاوز عما قد يصدر منه من هفوات مادام حسن النية»[734]، وذلك بعد أن وجه له السؤال الدال على التأكيد: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (الكهف/72). لقد مر ذلك المشهد مروعا في نفس موسى ومع ذلك يطلب العذر من معلمه وموجهه. كيف لا وهو يعلّمه الرشد ويتحمل مرة أخرى ويواصل السير معه إلا أن يحدث ما لم يكن في الحسبان.

المشهد الثاني: قتل الطفل: طفل صغير يُقتل دون سبب ظاهر، ودون أن يفعل شيئا بل حتى دون بلوغه سن الرشد. وتعود الكرة مرة أخرى فلا يتحمل موسى عليه السلام ذلك وسيلقي بحكمه للعبد الصالح مرة أخرى والسؤال الدال على التعجب والإنكار مرة أخرى كذلك ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ (الكهف/74)، والنفس الزكية: «الطاهرة الصافية التي لم تلوثها الذنوب ومخالفة التكاليف الإلهية»[735]. إنه المنكر بعينه، فكيف ذلك؟ ومع كل هذا تتواصل المسيرة ويشق موسى والعبد الصالح الطريق للوصول إلى المعرفة ويقطع على نفسه عهدا على الفراق إن أعاد الكرّة مرة أخرى والاستفسار عما يحدث ليطل بنا على المشهد الأخير.

المشهد الثالث: هدم الجدار وإصلاحه مرة أخرى من غير مقابل: قال تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ (الكهف/77). والاستطعام هو "طلب الطعام وطلب الطعام هو أصدق أنواع السؤال، فلا يسأل الطعام إلا جائع محتاج"[736]، فأهل هذه القرية أبوا كرم الضيافة المعروف والمعهود إليه في الأمم السابقة "يعني كل ما يمكن أن يقدم للضيف من مجرد الإيواء والاستقبال وهذا منتهى ما يمكن تصوره من لؤم هؤلاء الناس"[737]. وبينما هما كذلك إذ بجدار ينقض فيصلحه العبد الصالح. ترى كيف كان رد موسى على هذا

[734] شاهر ذيب:المبادئ التربوية والأسس النفسية في القصص القرآني ص 73
[735] الشعراوي :تفسير الشعراوي م 14 ص 8961
[736] الشعراوي المصدر السابق : م 14 ص 8962
[737] المصدر نفسه م 14 ص 8963

الموقف؟ طبعا لم يكن بسؤال لأنه لو كان كذلك لربما استمرت تلك الرحلة العلمية، بل كان اقتراحا بطريقة العرض "قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا"، خاصة وأنّ أهل هذه القرية رفضوا الضيافة وآثروا على أنفسهم البخل، وربما كانت هذه الأجرة طريقا نافعا لهما في مواصلتهما للسير. ثلاثة مشاهد إذن كانت نهاية للرحلة قال تعالى: "هذا فراق بيني وبينك". وتأتي بعدها مرحلة التأويل وهذه الآية «تعد دستورا من الحق سبحانه وتعالى ودليلا على أن هذين المذهبين لا يلتقيان، فيظل لكل منهما له طريقه. المرتاض له طريقته وغير المرتاض له طريقته ولا ينبغي أن يعترض أحدهما على الآخر، بل يلزم أدبه في حدود ما علمه الله»[738]. وتبدأ عملية الكشف للمشاهد الثلاثة التي قامت على الإقناع العملي بواسطة الصحبة وعلى سرد للوقائع عن طريق ذكر العلة في ما وقع وما سيقع ويتجلى ذلك فيما يلي:

1-قال تعالى:﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (الكهف/79). والمساكين هنا بمعنى «ضعفاء المال الذين يرتزقون من جهدهم، ويرق لهم لأنهم يكدحون دهرهم لتحصيل عيشهم»[739]. وهذا الملك يريد أن يستغلهم أشد استغلال بأخذه السفن غصبا عنهم فأراد العبد الصالح أن يعيبها إنقاذا لهؤلاء. يقول بن عاشور: «وإرادة إعابة السفينة كان عملا ظاهره الإنكار وحقيقته الصلاح زيادة في تشويق موسى إلى علم تأويله لأنّ كون السفينة لمساكين مما يزيد السامع تعجبا في الإقدام على خرقها»[740]. والظاهر في السفينة الخرق، وبالتالي يكون الفعل اعتداء على ملك القوم وفي باطنه وقوف في وجه الظالم الذي يأخذ حق الغير بالغصب "فتصرف العبد الصالح في أمر السفينة بغرقها يدعي المصلحة الخاصة عن إذن من الله بالتصرف في مصالح الضعفاء إذ كان الخضر عالما بحال الملك أو كان الله أعلمه بوجوده، حينئذ فتصرف الخضر قائم مقام تصرف المرء في ماله بإتلاف بعضه لسلامة الباقي فتصرفه الظاهر إفساد وفي الواقع إصلاح لأنه من ارتكاب أخف الضررين وهذا أمر خفي لم يطلع عليه إلا الخضر فلذلك أنكره موسى"[741].

---

[738] الشعراوي:تفسير الشعراوي م 14 ص 8966
[739] الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير،ج 16 ص 11
[740] الطاهر بن عاشور : المصدر السابق، ج 16 ص11
[741] المصدر نفسه: ج 15 ص 12-13

2-قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ (الكهف/81). ومن خلال الآية نتعرّض إلى درس ثان قائم على قتل النّفس البشرية التي حرّم الله. ونلاحظ أنّ تصرّف الخضر في قتل الغلام كان "بوحي من الله جار على قطع فساد خاص علمه الله، وأعلم به الخضر بالوحي، فليس من مقام التشريع وذلك أن الله علم من تركيب عقل الغلام وتفكيره أنه عقل شاذ وفكر منحرف طبع عليه بأسباب معتادة من انحراف طبع وقصور إدراك [..] وصاحبها في أنه ينشأ طاغيا كافرا. وأراد الله اللطف بأبويه بحفظ إيمانهما"[742]، فقتل الغلام هو الظاهر، والباطن هو إنقاذ والديه والأمة من طغيانه وكفره في مستقبل آت.

3-قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكهف/82). ونلاحظ في هذه القصّة أنّ الغلامين صاحبي الرّزق لم يبلغا سن الرشد، والأمر يقتضي أن يستخرجا الكنز حين يبلغان سن الرشد ويصيران متحكمين في هذا الرزق ويحسنان التصرف فيه. «ولك أن تتصور ما يحدث لو انهدم الدار وانكشف هذا الكنز ولمع ذهبه أمام عيون هؤلاء القوم الذين عرفت صفاتهم. وقد منعوهما الطعام بل ومجرد المأوى. إنّ أقل ما يوصفون به أنهم لئام لا يؤتمنون على شيئ»[743]، فعلة إصلاح الجدار هي الظاهر وما كان تحته من كنز أو مال يجب أن يحفظ هو الباطن «وكأن الحق سبحانه وتعالى أرسله لهذين الغلامين في هذا الوقت بالذات حيث أخذ الجدار في التصدع وظهرت عليه علامات الانهيار ليقوم بإصلاحه قبل أن يقع وينكشف أمر الكنز وصاحبيه في حال الضعف وعدم القدرة على حمايته»[744]. وهذه الحماية تقتضي القوة والقدرة على مجابهة كل من يريد أن يستولي على هذا الرزق، لذلك قال سبحانه وتعالى: "حتى يبلغا أشدهما". ولم يقل (رشدهما) لأن هناك فرقا بين الرشد والأشد، فالرشد حسن التصرف في الأمور أما الأشد فهو القوة"[745].

---

[742] المصدر نفسه : ج 15 ص 13
[743] الشعراوي،تفسير الشعراوي م14 ص 8972
[744] المصدر نفسه م14 ص 8972
[745] الشعراوي:المرجع السابق م 14 ص 8973

وخلاصة القول في موضوع هذه الرسالة هو أن الظواهر الخارجية سبب لتأويل ماهو باطني. وكل ذلك كان بأمر من الله سبحانه وتعالى، وما العبد الصالح إلا واسطة بين الله سبحانه وتعالى ونبيه موسى عليه السلام، وذلك حتى ينهل العلم من لدنه تعالى. هذا العلم الذي يستلزم سعة البال والصبر على الشدائد. ونختم الحديث عن هذه الرسالة بتعليق الدكتور حبيب مونسي إذ يقول: «يستمع موسى عليه السلام إلى تأويل الأحداث حدثا بعد حدث فيجد العلم يمتد إلى المستقبل خارقا حجب الغد، يطل منها العبد الصالح على الكائن فيها، وقد تغير الزمان وتبدلت شروطه فيكتسب الفعل أمامه معقولية أخرى تنسف الأحكام التي أصدرها في شأنه من قبل متعجلا بأنّ ما كان يرفضه العقل ويأباه الضمير ويخالف أمر الله عز وجلّ صار الآن بين يديه عملا مقبولا خاليا من أي تعارض بين العقل والحكمة فيه، إنه يبصر امتداد العلم وراء الظواهر واختراق النظر لحجب الزمان ويدرك أنه أمام علم لا سبيل إليه ولا راحة فيه لأمثاله من البشر فكيف يستطيع الواحد منهم أن يعايش قاتله أو سارقه أو الغادر به غدرا وهو يعلم ما سيأتيه من فعل في المستقبل. إنه يدرك أنّ مثل هذا العلم سيفسد على الناس اجتماعهم وعلى الدول قيامها وعلى التاريخ سريانه. سيكون سببا في تعطل الحياة ذاتها»(746).

3. الزّمان

يمثل الزمان أهم عناصر سياق الموقف، فهو تمثيل لحركة الواقع الذي يعيشه الإنسان عبر فترات متعاقبة من حياته، فترات يصبح الزمن فيها سيد الموقف من خلال ذلك التغير المستمر الموغل في الحياة الكونية والبشرية إنه: «يتضمن جملة من الثنائيات المتناقضة المتعلقة بالكون وبالحياة كالوجود والعدم، والثبات والحركة والحضور والغياب والزوال والديمومة والإيمان والكفر والحياة والموت»(747)، فالزمان إذن يأخذ أبعادا لغوية ونفسية واجتماعية تحيط بعالم الإنسان من جميع الجوانب.

والزمان ليس شيئا مرئيا محسوساً بل تمثلات بين ثلاثة أبعاد "الماضي هو ما كان موجودا ولم يعد له وجود وأصبح عدما، والحاضر وهو الماثل في الوجود والرابط الحقيقي بين القبل "الماضي" والبعد "المستقبل"، والمستقبل هو ما لم يوجد بعد وهو العدم الذي

---

746 حبيب مونسي:التردد السردي في القرآن الكريم ص 340

747 مرشد أحمد:جماليات المكان في روايات عبد الرحمن منيف، رسالة ماجستير، جامعة حلب، 1992، ص 221.

سيصبح وجودا بعد تلاشي الحاضر وتحوله إلى الماضي، فحركة الزمان خروج من الموجود، دخول في العدم، دخول في الوجود خروج من العدم، وبحركة الزمان يتحول اللاوجود إلى وجود إذا كان هناك فعل ما وانتقال من العدم إلى الوجود. ويتحول الوجود إلى اللاوجود إذا انتفى الفعل ودخل الزمان في العدم، وهذا يعني أن الزمان موجود لأن هناك نشاطا ما وفعلا خلاقا وعبورا مستمرا من العدم إلى الوجود"(748).

والزمان من الناحية اللغوية مأخوذ من مادة (ز،م،ن). جاء في (لسان العرب): «الزَّمَنُ والزَّمانُ اسم لقليل الوقت وكثيره وفي المحكم الزَّمَنُ والزَّمانُ العَصْرُ والجمع أَزْمُن وأَزْمان وأَزْمِنة وأَزْمَنَ بالمكان أَقام به زَماناً، والزمن يقع على الفَصْل من فصول السنة وعلى مُدّة ولاية الرجل وما أشبهه»(749)

أمّا من الناحية الاصطلاحية فالاختلاف كثير ومتشعب حول مفهوم الزّمان فكل ميدان معرفي يعرّف الزمان طبقا لمرجعياته الثقافية «وقد يستفيد ميدان ما من ميدان آخر، لكنه خلال ممارسته التحليلية تتشكل لديه تراكمات تسمح له بصياغة تصور خاص به للزمن، فيصير لكل ميدان زمنه الذي يتخذه موضع دراسته»(750). والزمان حسب عبد الصمد زايد هو «هذه المادة المعنوية المجردة التي يتشكل منها إطار كل حياة وحيز كل فعل وكل حركة، بل إنها بعض لا يتجزأ من كل الموجودات، وكل وجوه حركتها ومظاهرها وسلوكها»(751). نفهم من ذلك أن الزمان يشكل الحيز الفعلي لحركة الإنسان فهو جزء لا يتجزأ في حياته. كما أن الزمان مقترن بالحركة «فالزمان هو مقدار حركة الفلك وهو مقدار الحركة المسجلة والمعلومة لدينا، وليس الحركة نفسها، وهذه الحركة التي يقاس بها الزمان هي حركة الكواكب مثل الأرض والشمس والقمر وحركة الكائنات والإنسان والحيوان والآلات المختلفة التي اخترعها الإنسان، وتتفاوت في سرعتها وحركتها»(752). والملاحظ أن السمة المميزة للزمان ليست استمراره بقدر ما هي تلك التحولات الواقعة في حياة الإنسان. وهذه التحولات يعتريها نوعان من الزمان ذاتي ونفسي. يقول عبد الصمد زايد في هذا الشأن: «إن الزمن لا متناه، كما تشهد على ذلك كيفية الإدراك ذاتها إذ لنا سبيلان إلى إدراك المشاعر

---

748 المرجع نفسه، ص 221.

749 ابن منظور: لسان العرب، م 3، ج 21، ص 1867.

750 الشريف حبيلة:بنية الخطاب الروائي، دراسة في روايات نجيب الكيلاني، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 1، 2010، ص 39.

751 عبد الصمد زايد: مفهوم الزمن ودلالته، الدار العربية للكتاب، 1988، ص 7.

752 كريم زكي حسام الدين، الزمان الدلالي، دار غريب للطباعة، القاهرة، ط 4، 2002، ص 30.

والأحاسيس، يقوم الأول على ممارسته كل إحساس منفردا وفي هذا معنى التعاقب والتوالي، وفي التعاقب يقلع الماضي كل إحساس بمجرد أن ندركه بحيث لا تدرك إحساس الثاني إلا وقد ولّى الأول، وهذا الزمن الذي تقع فيه المتعاقبات هو الزمن الرياضي القابل للقياس أو هو ما نسميه بالديمومة. أما السبيل الثاني فيتمثل في تناول الأحاسيس دفعة واحدة فلا يبقى من فاصل بينها إذ تتداخل وتتشابك فتفقد أحجامها الكمية ولا يبقى منها إلا نوعها الذي تتشكل بمقتضاه مع البقية لتساهم في الإحساس العام الحاصل بما لها من خصائص ذاتية»[753]. معنى ذلك أن الإنسان لا يشعر بالزمان الرياضي بقدر ما يحس بالزمان الكيفي الذي يعتبر وعاءه الخاص، وتعبيراً عن حالاته الوجدانية، فإذا كان هناك ساعات خارج الإنسان تدله على الزمان، فإن في داخله أيضا ساعات من نوع آخر تحدّثه عن إحساسه بالزمان. إن دقات قلب الإنسان التي تعني استمرار حياته قد تشبه دقات الساعة التي تعلن ديمومة الوقت وتحديده[754]. قال شوقي:

دَقّاتُ قلْبِ المَرْءِ قائِلةٌ لـَـــــه *** إنَّ الحيَاةَ دقَائـِــق وثَوانِي
فَاُرْفَعْ لنَفْسِك بعْد مَوتك ذِكرَها *** فالذِّكْر للإنسَان عُمْرٌ ثان

1.3. أنواع الزمان

تختلف تحديدات أنواع الزمان بحسب المرجعيات الثقافية واختلاف الحقول المصطلحية في هذا الشأن، ومن بين هذه الأنواع:

1.1.3. الزمان الكرونولوجي

الكرونولوجيا تعني: «تقسيم الزمن إلى فترات، كما تعني تعيين التواريخ الدقيقة للأحداث وترتيبها وفقا لتسلسلها الزمني فهي بذلك تعيين التواريخ الدقيقة وشبه الدقيقة للأحداث»[755]. وترادف مصطلح الزمان الكرونولوجي مصطلحات أخرى هي الزمان العام أو الزمان الموضوعي أو الزمان الخارجي. والملاحظ أن هذا النوع من الزمان "لا يمكن تحديده عن طريق الخبرة إنما هو مفهوم عام وموضوعي، أو يمكن تحديده بواسطة التركيب الموضوعي للعلاقة الزمنية في الطبيعة. إنه زمننا العام والشائع بمعنى الوقت الذي تستعين

---

753 عبد الصمد زايد،:مفهوم الزمن ودلالته، ص 16.
754 كريم زكي حسام الدين، الزمان الدلالي، ص 47.
755 أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، دار الفارس، الأردن، ط 1، 2004، ص 21-22.

به بوساطة الساعات والتقاويم وغيرها، لكي نضبط اتفاق خبراتنا الخاصة للزمن بقصد العمل الاجتماعي والاتصال والتفاهم"[756].

2.1.3. الزمان السيكولوجي أو النفسي أو الذاتي

في هذا النّوع من الزّمان «يبدو إحساس الإنسان بطول الزمن أو قصره»[757]. معنى ذلك أن الزمان النفسي «يتخذ من اللاوعي مستقره، إنه لا يتركب كما تشاء له الصدفة، إنما يخضع لقوانين اللاوعي الغامضة، ويصطفي من الماضي الأحداث البارزة الناتجة التي رسمت الإنسان من حيث لا يعلم بهذه السمة أو تلك» [758]. وهذا النوع من الزمان يصفه الإنسان من خلال معطيات من المشاعر والأحاسيس الذي يقرنها بالزمان الموضوعي، فالإنسان بذلك يجد نفسه بين هذا الزمان الموضوعي المحتكم فيه إلى القياس والساعات الدقيقة، وبين زمان ذاتي نفسي يصنعه هو «فإذا كان العقل الإنساني هو المسؤول عن اختراع الزمان الموضوعي الذي يشترك فيه جميع البشر فإن النفس الإنسانية هي المسؤولة عن الزمان الذاتي الذي يختلف لدى جميع البشر. إنّ هذه المفارقة التي يعيشها الإنسان مع الزمان تقوده في كثير من الأحيان إلى عدم الاعتراف بالوقت الناتج عن حركة الأرض وهي تدور حول محورها أو حول الشمس»[759]، فالزمان الذاتي هو إحساس الإنسان بما في داخله، إنه يسأل نفسه متى حدث هذا وماذا سيحدث مستقبلا؟ شعور مليء بالتساؤلات حول ما وقع، وما هو واقع وما سيقع.

3.1.3. الزمن الصرفي

يتعلق هذا النّوع من "الزّمان" بصيغ الأفعال المختلفة وما يتضام الأفعال من ضمائم من الأدوات ككان وأخواتها وحروف التنفيس وأدوات النصب والجزم، وكلا من الزمنين الصرفي والنحوي يمكن أن يسمى الزمن التركيبي[760]. والزمن يتعلق بالفعل ومقتضياته، إنه يفرض نوع الفعل من ماض وحاضر ومستقبل. والزمن عند علماء العربية ومنهم سيبويه «أنك لا تلفظ بالفعل إلا في زمن معين، كما أن الفعل يدل بصيغته وشكله الصرفي على زمنه»[761]، وفي ذلك يقول سيبويه: «وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء،

---

756 مرشد أحمد، جماليات المكان في روايات عبد الرحمان منيف، رسالة ماجستير، ص 221-222.
757 سعيد عطية علي مطاوع، الإعجاز القصصي في القرآن، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط 1، 2006، ص 75.
758 عبد الصمد زايد، مفهوم الزمن ودلالته، ص 18.
759 كريم زكي حسام الدين: الزمان الدلالي، ص 46-47.
760 ردة الله بن ردة الطلخي:دلالة السياق، ص 622.
761 إدريس مقبول: الأسس الابستومولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سبويه، ص 235.

وبُنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع»[762]. معنى ذلك أن الوسيلة المعبرة عن الزمن في اللغة العربية على المستوى الصرفي إنما هي الصيغة الفعلية في بناء "فعل، يفعل، افعل" فمنها ما يدل على الزمن الماضي ومنها ما يدل على الحال أو الحاضر ومنها ما يدل على المستقبل"[763].

وقد يعدّل الزمان الحقيقي إلى أزمنة أخرى وذلك حسب سياقه مثال ذلك انتقال الفعل الماضي إلى دلالة المستقبل وأوجهه كثيرة في القرآن الكريم، إضافة إلى دخول أدوات النصب والجزم على الأفعال التي تضفي عليها دلالات غير دلالة أصل وضعها.

وموضوع دراستنا للزمان يقتصر على الترتيب الزماني الوارد في قصة موسى عليه السلام. وقبل ذلك لابد من استعراض أنواع الزمان في القرآن الكريم ومن أهمها:

4.1.3. الزمان الكوكبي

وهو «الزمن الذي نقيم عليه حساباتنا من أيام وأقسامها ومضاعفاتها»[764]، وحوله يقول الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (الإسراء/18)، فهذا النوع من الزمان يحدد أعمار الفرد ومراحل السن والعبادات اليومية والعبادات السنوية ويربط العبادات ذات الطابع الاقتصادي والاجتماعي كالزكاة وغيرها[765].

1.4.1.3. ما قبل الزمان الكوكبي

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ (ق/38). والكواكب بما فيها من أجرام نعلم بها عدد السنين والحساب داخلة ضمن هذا الخلق، فمفهوم اليوم في هذه الآية مختلف عن اليوم الذي نتعامل به في حياتنا[766].

2.4.1.3. ما بعد الزمان الكوكبي[767]

وفيه يقول تعالى عن يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (إبراهيم/48). معنى ذلك أن هذا النوع من الزمان هو زمان يوم القيامة، يوم التحول من زمان إلى زمان آخر لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

---

762 سيبويه:الكتاب، ج 1، ص 12.
763 محمد عبد الرحمن الريحاني: اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص 17.
764 سعيد عطية علي مطاوع: الإعجاز القصصي في القرآن، ص 74.
765 ينظر المرجع نفسه،، ص 75.
766 المرجع نفسه، ص 75.
767 المرجع نفسه، ص 75.

2.3. البناء الزماني في قصة موسى عليه السلام

يقوم بناء الزمان في القصة المراد دراستها على وشائج من العلاقات المؤطرة للأحداث والتي يتوالى فيها صراع الأزمنة بتحولاته من الماضي إلى الحاضر وإلى المستقبل، فالعديد من الأحداث في القصة يمكنها أن تجري في وقت واحد، لكن لا يمكنها أن تأتي مرتّبة الواحدة تلو الأخرى وذلك بسبب التنوعات الزمانية التي تشهدها في مسيرة أحداث القصة وكذا طبيعة السرد القرآني الذي يهدف إلى ترسيخ الفكرة لدى المتلقي عن طريق الترددات للوصول إلى الهدف والمغزى من القصة.

وفي أثناء التسلسل الزماني وتحولاته نجد أنفسنا مع تتابع حكي مشاهد معينة في سور ما تم انقطاعها أو تواليها في سور أخرى إلى غاية الاكتمال واستيفاء أحداث القصة بكاملها. ويتم هذا الترتيب بين تتابع الأحداث ومادة السرد عن طريق مجموعة من القرائن الزمانية كالأفعال والحروف المقترنة بها وهي بطبيعة الحال تحتفظ بزمانها الحقيقي، وتحوله لزمان آخر يتطلبه السياق. يقول تعالى في سورة طه: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ (طه/38..40). تبدأ لحظة السرد هنا بترتيب داخلي للأحداث حتى تصل إلى النتيجة وهي تعداد نعم الله سبحانه وتعالى على نبيه موسى. وقد تجسد ذلك عن طريق الاسترجاع وهو «قطع ترتيب الحدث الزمني للارتداد إلى حادثة حصلت في الماضي في لحظة لاحقة لحدوثها»[768]. وقد تمت عملية الاسترجاع عن طريق صيغ الماضي التي تجسدت أفعالها في (أَوْحَيْنَا أَلْقَيْتُ، رَجَعْنَاكَ، قَتَلْتَ، نَجَّيْنَاكَ، فَتَنَّاكَ، لَبِثْتَ، جِئْتَ)، وصيغة زمان الحاضر وهي (يُوحَى، اقْذِفِيهِ، فَلْيُلْقِهِ، يَأْخُذْهُ، تُصْنَعَ، تَمْشِي، أَدُلُّكُمْ، يَكْفُلُهُ، تَقَرَّ، تَحْزَنَ). وهذا الامتزاج بين هاتين الصّيغتين يشير إلى متواليات زمانية تبين قصة ميلاد موسى عليه السلام.

وقد بدأ زمان السرد بصيغة الفعل الماضي الذي يجسده الفعل (أَوْحَيْنَا). وهو فعل مقترن بنون المتكلم الدال على ذات الله سبحانه وتعالى. والماضي كما نعلم: «يفيد وقوع

---

[768] يادكار لطيف الشهرزوري:جماليات التلقي في السرد القرآني،دار الزمان للطباعة والنشر،دمشق ط1 2010 ص 318.

الحدث أو حدوثه مطلقا فهو يدل على التحقيق لانقطاع الزمن في الحال لأنه دل على حدوث شيء قبل زمن التكلم»[769]. وبناءُ هذا الفعل للماضي يوحي في ظاهره بحدث تم وانتهى لكن باطنه يشير إلى أنه نقطة البداية في الترتيب الزماني للأحداث، إنه في مقام سرد الأحداث التي جرت لموسى عليه السلام. وينتقل هذا الفعل من زمانه الماضي إلى الحاضر (يُوحَى) وهو على صيغة المضارع المبني للمجهول. وهي صيغة تدلّ على "حدوث شيء في زمن التكلم أو بعده يدل على الحال والاستقبال"[770]. واتصال هذا الفعل بـ(ما) الموصولة يدل على أن هذا الفعل ملازم لله سبحانه وتعالى. وانتقاله من الماضي إلى الحاضر مع الفعل نفسه يمثل سرعة تتابع الأحداث الواحد تلو الآخر في أزمنة حاضرة دالة على المستقبل. والوحي كان للأم، وهذه أول خطوات الاسترجاع الزماني للأحداث وهي تجسيد لرعاية الله لمن يختاره لإبلاغ الدعوة. وعملية الاسترجاع تحقق هدفا أسمى فالله سبحانه وتعالى يفصل في قصة مولد موسى عليه السلام عن طريق بيان فضل الأم وبيان دورها في الحياة، يريد أن يعلم كيف كان طريق الإنقاذ. لقد كان عن طريق الأم التي نفّذت أمر الله سبحانه وتعالى على الرغم من نفسيتها الخائفة الفزعة على ولدها. وقد استطاعت أن تكتم أمره حتى ينجو من هلاك فرعون بوحي من الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (القصص/10). وقد ترتّب عن هذا الوحي للأم ورود أفعال على صيغة الأمر «والأمر ما يطلب به حصول شيء بعد زمن التكلم ولهذا فهو يدل على الاستقبال مطلقاً»[771]، والأفعال هي: (اقْذِفِيهِ، فَاقْذِفِيهِ، فَلْيُلْقِهِ). وقد جاءت متعاقبة عن طريق رابط الفاء الذي يفيد التعقيب، وذلك حتى ينقذ هذا الصبي من الخطر الذي يترصد به، فالأفعال هنا تحدّد مصيره الذي سيعرف شأنا عظيما، وكأنّنا بهذه الأفعال امتداد لزمان الوحي الذي سيتلقاه موسى عليه السلام في حياته أثناء حمل الرسالة. وما بين الماضي والأمر كان زمان الحاضر الذي يجسّده فعل (يَأْخُذْهُ) الذي جاء على بناء (يفعل) الذي «يدل على التجدد وزمنه مرجح للحال بغير سوابق أو لواصق»[772]، فعملية الأخذ هنا هي تحول في مسار حياة هذا الصبي وإيذان بالتربية التي سيلقاها موسى عليه السلام والتي يتولاها عدو مشترك "يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ". إنها في الوقت ذاته بداية للمواجهة بين

[769] محمود عكاشة:التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص 102.
[770] محمود عكاشة:المرجع السابق ، ص 103.
[771] المرجع نفسه، ص 104.
[772] محمد عبد الرحمن الريحاني: اتجاهات التحليل الزمني، ص 89.

موسى وبين ذلك العدو فرعون المتجبر في سلطته، الطاغي في ملكه، فالأخذ سيحمل المعاناة من أجل ظهور الحق يتحمل من خلالها موسى عليه السلام ألوانا من المشقة وهو في أوج المواجهة، وفي الوقت نفسه يفجر هذا الجبروت، ويزعزع مملكة فرعون، كيف لا وهو الصبي الذي فزع منه وشكّل خطراً على ملكه وسلطانه.

وتتواصل عملية الاسترجاع ليعود الفعل الماضي مرة أخرى (أَلْقَيْتُ) الذي يوحي بالاستمرار في الحدث ألا وهو رعاية الصبي، ويظهر بعد ذلك شخص آخر يساهم في حمايته وهي الأخت التي تسعى جاهدة لإنقاذ أخيها، ويتجلى ذلك في الزمان الحاضر الذي جاء تدريجيا لينقذ الموقف عن طريق الأفعال (تَمْشِي، أَدُلُّكُمْ، يَكْفُلُهُ). إنها العودة مرة أخرى إلى حضن أمه: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (القصص/13). وينتهي الزمان بأفعال ماضية كخطاب مباشر لسيدنا موسى لتعداد المنن، قال تعالى: "وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ"، فالله سبحانه وتعالى قبل أن يذكر منة الإنجاء ذكر قتل النفس، قال الطاهر بن عاشور في هذا السياق: «وقدم ذكر قتله النفس على ذكر الإنجاء من الغم لتعظيم المنة حيث افتتحت القصة بذكر جناية عظيمة وهي قتل النفس ليكون لقوله (فَنَجَّيْنَاكَ) موقع عظيم من المنة، إذ أنجاه من عقوبة لا ينجو من مثلها مثله، وهذه النفس هي نفس القبطي من قوم فرعون الذي اختصم مع رجل من بني إسرائيل في المدينة، فاستغاث الإسرائيلي بموسى لينصره فوكز موسى القبطي فقضى عليه كما قص ذلك في سورة القصص» [773].

والنعمة الثانية التي أنعم بها الله سبحانه وتعالى على موسى هي قوله: (وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا). والمراد بهذا الفتون «خوف موسى من عقاب فرعون وخروجه من البلد المذكور، وذكر الفتون بين تعداد المنن إدماج للإعلام بأن الله لم يهمل دم القبطي الذي قتله موسى، فإنه نفس معصومة الدم إذ لم يحصل ما يوجب قتله»[774]. وهذا الفتون كان نتيجة قوله تعالى في صيغة الماضي: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ (طه/40)، فإقامته في أرض مدين كانت إنقاذا له من الفتنة من جهة وتهيئته لتلقي الوحي من جهة أخرى، ويجسد ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ ففعل المجيء هو حضوره بالواد المقدس، والفعل الماضي دال على المستقبل لأنّ تلقي الوحي سيأخذ مجرى

---

773 الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج 16، ص 219-220.

774 الطاهر بن عاشور المصدر السابق، ج 16، ص 220-221.

آخر في تبليغ الرسالة فقوله: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ﴾ «يفيد أنّ ما حصل لموسى من الأحوال كان مقدرا من الله تقديراً متأنيا متدرجا بحيث تكون أعماله وأحواله قد قدرها الله وحددها تحديداً منظما لأجل اصطفائه وما أراد الله من إرساله، فالقدر هنا كناية عن العناية بتدبير إجراء أحواله على ما يسفر عن عاقبة الخير»[775].

وينتج عن تعداد كل هذه النعم قوله تعالى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (طه/41)، «والكلام تمثيل لهيئة الاصطفاء لتبليغ الشريعة بهيئة من يصطنع شيئا لفائدة نفسه فيصرف فيه غاية إتقان صنعه»[776]. ومعنى (اصْطَنَعْتُكَ) «أخلصتك وهذا مجاز عن قرب منزلته ودنوه من ربه لأن أحدا لا يصطنع إلا من يختاره»[777]. وقد جاء هذا الفعل بصيغة الماضي ليدل على صيغته الحقيقية من جهة وعلى المستقبل من جهة أخرى، فهذا البناء إذن جامع بين ما كانت عليه حياة النبي موسى عليه السلام في الصغر وقد رعاه الله تعالى من مهده إلى شبابه، وما سيكون في حياته المستقبلية حيث يتولى أمور الإلهية.

وبعد ذكر هذه النعم يرتد الزمان مرة أخرى إلى اللحظة الحاضرة في قوله: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآَيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ (طه/42)، إنه يرتد إلى الحاضر حتى يمكن للمتلقي أن يعرف الحادثة السابقة التي جرت لموسى عليه السلام، معنى ذلك أن السرد «قد غطى بهذا الارتداد المساحة الزمنية التي تركها في البداية فملأ الثغرة المتروكة، ومكّن المتلقي من الاطلاع على الأحداث المتعلقة بها»[778].

ويتمثل البناء الزمني في قصة سيدنا موسى عليه السلام أيضا في ظاهرة الاستباق أو الاستراق الذي يتمثل في «إيراد حدث آت أو الإشارة إليه مسبقاً، وهو يأتي على عدة مستويات منها وضع الحدث في بداية القصة قبل ترتيبها التسلسلي، أو من خلال أدلة مادية ملموسة توضع في البداية»[779]. ومن تجليات هذه الظاهرة الزمانية قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَالْتَقَطَهُ آَلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ (القصص/7،8). ويعلق د. حبيب مونسي على هذه الآية قائلا: «هكذا

---

775 الطاهر بن عاشور:المصدر السابق، ج 16، ص 222.
776 المصدر نفسه، ج 16، ص 223.
777 السمين الحلبي:الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج 8، ص 40.
778 يادكار لطيف الشهرزوري:جماليات التلقي في السرد القرآني، ص 322.
779 يادكار لطيف الشهرزوري :المرجع انفسه ص 322.

يتأسس المرتكز السردي على هذه المعاني جملة لينتشر في الماضي والحاضر انتشاراً واحدا، فما يستشف من أحداث الماضي تقرأ آياته في الحاضر بنفس الدرجة من اليقين والواقعية»[(780)]. والآية بدأت بميلاد موسى عليه السلام والوحي الذي ألهمه الله سبحانه وتعالى في قلب أمه حتى ينجو من عدوه، والوعد الأكبر الذي وعد الله إياها بأن يجعله من المرسلين الحاملين لدين الحق، فالزمان هنا يستبق لحظة الميلاد (جَاعِلُوهُ) التي جاءت على صيغة اسم الفاعل، «والوصف في اسم الفاعل قائم يدل على حدوثه في الحال واستمراره باستمرار هيئة الموصوف إلى أن يتحول إلى وصف آخر ويدل على الاستمرار والدوام»[(781)].

ويقفز الزمان مرة أخرى لبيان التنبؤ الذي يصير إليه فرعون بعد تبنيه للصبي، يقول تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آَلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ (القصص/8)، فصناعة الله سبحانه وتعالى لنبيه موسى عليه السلام جعلته يخوض رحلة في البحر حتى يصل إلى قصر فرعون، وهو العدو الذي سيواجهه فكان محط الرحيل من اليم وصولا إلى قصر فرعون، فكيف تم ذلك؟

كانت أولى خطوة هي التقاط الصبي والالتقاط: «افتعال من اللقط وهو تناول الشيء الملقى في الأرض ونحوها بقصد أو ذهول» [(782)]. والالتقاط أيضا «أن تجد شيئا بدون طلب له ومنه اللقيط وهو الطفل الرضيع تجده في الطريق دون قصد منك أو بحث»[(783)]. وقد جاء هذا الفعل في صيغة الماضي كأول لحظة زمانية تخطط للمستقبل وتسبق الأحداث، إنه يربط بين لحظة الحدث وهو الالتقاط واستراق للمستقبل، والقفز إلى اعتبار ما يكون وما يؤول والنتيجة هي: "لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا". لقد شاءت إرادة الله أن هذا المولود الذي احترز منه فرعون، وقتل بسببه النفوس، لا يترعرع إلا في قصره، فيحميه الله سبحانه وتعالى ويضمن له الحياة ويكفل له التربية الكريمة والتعلم الناضج الذي يؤهله لقيادة شعب عانى الويلات من تسلط فرعون، وكذا لتعليم أمة أعماها الجهل لحمل رسالة التوحيد. وفعل الكينونة المقترن باللام التي هي «للعاقبة أي كان يفكر بشيء فجاءت العاقبة شيئا آخر»

[780] حبيب مونسي: التردد السردي في القرآن الكريم، ص 136-137.
[781] محمود عكاشة:التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص 72.
[782] الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 20، ص 75.
[783] الشعراوي:تفسير الشعراوي، ج 17، ص 10886.

[784]. وهذا الفعل يفيد معنى الصيرورة، كيف سيصبح؟ كيف سيصير؟ هكذا يقفز الزمان طفرة واحدة ليترك ثغرة للمتلقي لكشف الأحداث المتوالية، فقد كان من المفروض أن يكون موسى الصبي غاية لإسعاد آل فرعون، لكن أفق التوقع كان غير ذلك بالنسبة إلى فرعون. يقول الشعراوي في هذا الشأن: «وفي هذا إشارة وبيان لغباء فرعون والطمس على بصيرته وهو الإله فبعد أن حذره الكهنة، وبعد الرؤية التي رآها وعلمه بخطورة هذا المولود على ملكه وعلى حياته يرضى أن يربيه في بيته»[785]، ففعل (يكون) هنا أفاد السامع إدراك مصير فرعون على يد النبي موسى على الرغم من الفرحة التي اعترت قلب آسيا امرأة فرعون، إنه سيصير بالنسبة إليه أشد أعدائه ويؤكد الله سبحانه وتعالى غباء وطمس فرعون وحرسه على حقيقة الصبي ليعود الزمان مرة أخرى إلى الماضي الذي يفيد انتهاء الحدث "كَانُوا خَاطِئِينَ" «إن تصرفاتهم لا تتناسب مع ما عرفوه عن أمر الوليد فلم يقدروا المسائل ولم يستنبطوا العواقب، وكان عليهم أن يشكوا في أمر طفل جاء على هذه الحالة فلا بد أن أهله قصدوا نجاته من يد فرعون»[786]. وبين فعل الكينونة الدال على المستقبل والفعل الدال على الماضي مرحلة يتربى فيها الطفل في قصر فرعون ومهلة يمنحها الله سبحانه وتعالى لفرعون حتى يهيئ له الخطر الداهم الذي سيواجهه ويدمر عرشه.

ومن بين عناصر البناء الزمني أيضا ظاهرة الحذف وهو «تجاوز واقعة أو أكثر أو لحظات عديدة من الزمن يكون مصرحا به أو بارزا»[787]. وللإشارة فإن الحذف في السرد القرآني يقابل مصطلح «الفجوة عند سيد قطب للإشارة إلى الأزمنة المحذوفة بين المشاهد داخل النسيج السردي القرآني»[788]. كما يمثل الحذف شكلا من أشكال تسريع السرد أو السرعة السردية فهو من حيث التعريف تقنية زمانية تفضي إلى إسقاط فترة طويلة أو قصيرة من زمان القصة وعدم التطرق لما جرى فيها من وقائع وأحداث[789]. وتتجلى ظاهرة الزمان المحذوف في قوله تعالى في سورة (القصص): ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ

---

784 الطاهر بن عاشور:المصدر السابق ج 17، ص 10886.
785 المصدر نفسه: ج 17، ص 10887.
786 المصدر نفسه:ج 17، ص 10887.
787 يادكار لطيف الشهرزوري:جماليات التلقي في السرد القرآني، ص 334.
788 المرجع نفسه ، ص 333.
789 حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي، بيروت، الدار البيضاء، ط 1، 1990، ص 65.

عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (القصص/25..30).

تبدأ حلقة جديدة لسيدنا موسى عليه السلام، وهو في رعاية الله وأمنه بوروده ماء مدين أين قام بعمل إنساني هو مساعدة الفتاتين في السقي فأرتأت إحداهما أن تقترح عليه الجزاء، قال تعالى على لسانها: "فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا"، «فتأكيد الجملة في قوله إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ حكاية لما في كلامها من تحقيق الخير للاهتمام به، وإدخال المسرة على المخبر به»[790]. وسرعان ما يقفز السرد ليترك فجوة زمانية بين هذه الآية وما بعدها لينتقل إلى تخفيف الخوف على موسى عليه السلام من طرف والد الفتاتين، وأنّه أصبح آمنا من هؤلاء الذين يتربصون به. والسياق هنا ارتأى أن لا يطيل في سرد الأحداث المتعلقة بالضيافة والترحيب، إنما كان الهدف الأسمى هو الانتقال إلى مرحلة الأمن والاستقرار في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ... إلى آخر الآية﴾. يقول الطاهر بن عاشور في ذلك: «وفي هذا حذف لما لقيه موسى من شعيب من الجزاء بإضافته وإطعامه، وانتقل منه إلى عرض إحدى المرأتين على أبيها أن يستأجره للعمل في ماشيته إذ لم يكن لهم ببيتهم رجل يقوم بذلك، وقد كبر أبوهما فلما رأت أمانته وورعه رأت أنه خير من يستأجر للعمل عندهم لقوته على العمل وأمانته»[791]. وتتمة لكل هذا يقترح الشيخ زواجه من إحدى ابنتيه، لتحدث فجوة أخرى في زمان السرد، في قوله: ﴿ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾. ويترك للقارئ فرصة لأن يبحث ويتساءل عن هذه الحجج وكيف مرّت بالنسبة إلى موسى عليه السلام، ويترك لنا النص هذه الفترة من حياته، لينتقل إلى مرحلة أخرى وهي مرحلة الوحي الإلهي لنبيه موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ... إلى آخر الآية﴾. والقرآن الكريم هنا لم يذكر أي الأجلين قضى موسى، حتى تزوج بابنة الشيخ، لأنّ ما سيأتي أعظم من ذلك، والله أعلم.

[790] الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 20، ص 104.
[791] االمصدر السابق ص 105.

ستتحول عوالم السرد إلى عالم من القدسية يضفيه الله سبحانه وتعالى عل نبيّه، فهو يهيّئه للمعجزة الكبرى التي سيواجه بها عدوّه فرعون هكذا تكون الصناعة، موسى يولد، يرحل في البحر، يصل إلى قصر فرعون، يأخذه العدو، يتربى في القصر، ويمرّ الزمان ليصل إلى هذه اللحظة القدسية بين يدي ربه، يأمره، يملي عليه، يوجهه ماذا سيفعل، كيف سيستعد للمواجهة، فقول تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ يتجاوز كل التعريفات والماهيات ليصل إلى محط التركيز وهو تحقيق المعجزة.

3.3. علاقة الزمان بالشخصيات

الإنسان صانع الزمان، فالزمان مقياس له معنى ذلك أن الإنسان يكيّفه وفق حالاته الشعورية إنها النفس الإنسانية التي تحرّك الزمان كيف يشاءت «فالإنسان يعيش مفارقة مع الزمن تقوده في كثير من الأحيان إلى عدم الاعتراف بالوقت الناتج عن حركة الأرض وهي تدور حول محورها أو حول الشمس، إنه لا يشعر بهذا الزمان الكمي لأسباب بدنية صحية أو نفسية شعورية ولكن يشعر بهذا الزمان الكيفي»[(792)]، معنى ذلك أن الزمان مهما قصر أو طال فإنه يظلّ بالنسبة إلى الإنسان وجود دائم الحركة والتغير، مسيرا لمتطلبات الإنسان وغاياته، يمثل لديه القسط الأوفر في حياته الماضية والمستقبلية وإذا كان هناك ساعات خارج الإنسان تدله على الزمن فإن في داخله أيضا ساعات من نوع آخر تحدثه عن إحساسه بالزمن"[(793)]. وإذا ما حاولنا اكتشاف علاقة الزمن بالشخصيات في قصة سيدنا موسى لألفيناها محددة ومضبوطة بمراحل، كل مرحلة يمتزج فيها الزمان، ليتحول من زمان خارجي موضوعي إلى زمان نفسي ذاتي، وفوق كل هذا يسري الزمان بحركة القدر بتخطيط من الله تعالى وتسييره لنبيه، وبيان موقفه تجاه من حوله من شخصيات القصة.

ويشكل الزمان في أولى مراحل القصة محط هروب ووشاية قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (القصص/18،19). إذا ما تأملنا معاني كلمة (أصبح) سنجد أنها فعل مأخوذ من الصبح "والصبح والإصباح وقت الدخول في ضوء النهار، قال تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ

---

792 كريم زكي حسام الدين: الزمان الدلالي، ص 46-47.

793 المرجع نفسه ص 47.

سَكَنًا﴾ (الأنعام:96)[794]. والصبح يمثل الهدوء الذي يعتري المدينة، فإن كان كذلك فإنه بالنسبة لموسى عليه السلام يمثل متنفسا يسمح له بالهروب خوفا من الخطر الداهم من حوله وهو قتله المصري مناصرة الإسرائيلي كما يمثل له المنفذ المترصد إنه بصيغة أخرى مصدر القلق والفزع، كما يمثل أيضا مرحلة جديدة بالنسبة إليه وخطوة نحو التوبة والإنابة ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ القصص 16-17، فالتوبة والرجوع كان مصيرهما الخوف والترقب حتى لا يكشف أمره أحد.

لكن سرعان ما تأتي اللحظة الفجائية التي لم تكن موجودة في الحسبان "فإذا" لتعود بالزمن إلى الوراء "موسى عليه السلام يمر بمن استصرخه بالأمس فإذا به يستصرخه مرة أخرى، فيؤنبه موسى على مشاكسته وميله للخصام فما إن أهم موسى بنصرته حتى قال تعالى على لسانه: ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾[795]. والأمس هو اليوم الماضي. قال تعالى: ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾ (يونس/24). بهذا نلاحظ أنّ زمان العودة قد حان ليُعاد المشهد ويُغرس في نفس موسى عليه السلام القلق والفزع بينما تُبعث في نفس الإسرائيلي الرغبة في إشاعة الخبر ظنا منه أن موسى عليه السلام سيقتله، فزمان الأمس إذن هو إيذان بالوشاية وإشاعة الخبر ووصوله إلى سلطات فرعون، وبالتالي الأمر بقتله ردا لاعتبار القتيل.

ويرحل بنا الزمان مرة أخرى ليكشف لنا شخصية طاغية استبدت فوق الأرض، وجعلت أهلها عبيداً لمملكته ألا وهو فرعون، إنه يخاطب موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الشعراء/18..22)، فموسى عليه السلام تربى في قصر فرعون منذ كان رضيعا وهو في نشأته يعيش زمن الظلم والاستبداد، الأمر الذي جعله يرحل بعيدا ليعود مرة أخرى وهو نبي مرسل مواجه لعدوه وعدو الله سبحانه وتعالى. وخطاب فرعون لموسى ورد بسبب رسالته رفقة أخيه هارون، رسالة عظيمة موضوعها التوحيد ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء/1)، وذلك من أجل

---

[794] كريم زكي حسامالدين:المرجع السابق، ص 167.

[795] محمد بيومي مهران:دراسات تاريخية من القرآن الكريم، ص 171.

مجابهة فرعون. «ووجه فرعون خطابه إلى موسى وحده لأنه علم من تفصيل كلام موسى وهارون أن موسى هو الرسول بالأصالة وأن هارون كان عونا له على التبليغ فلم يشغل بالكلام مع هارون» [796]، فموسى في نظر فرعون عدو من أعدائه وحتى يثبت له ذلك يذكره بتربيته له، وأنه جاحد لها لا محالة، وقد دامت سنين «والسنة هي مدة الزمان التي تقطع فيه الشمس الفلك ومقدارها أثنتا عشر شهرا» [797]، وقد كانت هذه السنين بالنسبة لفرعون منة على قلبه، تحمل من الكراهية والحقد الشيء الكثير «فحديث المن يرفع إلينا صورة المشهد الارتدادي الذي يمن فيه الله عز وجل على موسى مذكراً إياه بالرعاية التي رافقته من ساعة مولده إلى ساعة قيامه بين يدي الله عز وجل» [798]، فهذه السنين بالنسبة إلى موسى عليه السلام تمثل إدعاء عليه «فالتربية الحقة لم تكن من شأن فرعون ولا من صنيعه، بل كانت من طرف الأم التي مكنها الله عز وجل من وليدها ترضعه وتنشئه، كما لم يكن اللبث فيهم حياة تجري أيامها دعة ورخاء، وإنما كانت الأيام تحمل إليه صور القهر والحرمان والاستعباد، لقد كانت بمشاهدها تلك قطعا من العذاب والحزن تتراكم في قلب الفتى فتثير حاسته الغضبية إلى درجة الاعتزال والإنكار، بل كانت الخصلة التي يذكره بها فرعون من ناتج تلك المشاهدات ومن إفراز تلك التشنجات النفسية التي أودعتها فيه مناظر التعذيب والتنكيل ببني جلدته، ففرعون يسميها كفراً بالنعمة التي غمره بها، وإنما هي نقمة أثمرت شرا» [799]. كما تمثل تلك السنين اعترافا من موسى عليه السلام بالخطيئة التي ارتكبها وهي قتل القبطي، لقد كان توكله على ربه باعثا له على الاعتراف بالفعلة وما ينشأ عنها من خير له، إنها لحظة الاطمئنان، لحظة العودة إلى الله عز وجل والتوبة إليه على الرغم من الخوف والفزع الذي اعترى كيانه. كما أن تلك السنين التي اعتبرها فرعون نعمة على موسى كانت حسب موسى عليه السلام إذلال بني إسرائيل واستعبادهم. كما يمثل الزمن مسارا للمواجهة بين الطرفين، قال تعالى: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ

796 الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج 19، ص 110.
797 كريم زكي حسام الدين:الزمان الدلالي، ص 136.
798 حبيب مونسي:التردد السردي في القرآن الكريم، ص 236.
799 حبيب مونسي:المرجع السابق ص 236.

بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ (طه/58..64).

يرتبط الزمان بالمكان في هذه الآيات ارتباطا كليا، فيوم الزينة هو ذلك الموعد الذي اتفق فيه موسى مع فرعون ليتواجها بما لديهما، فهذا اليوم كان بمثابة كسب الرهان، هو موعد الانتصار، "وتعيين الموعد غير المخلف يقتضي تعيين زمانه لا محالة، إذ لا يتصور الإخلاف إلا إذا كان للوعد وقت معين ومكان معين، فمن ثم طابقه جواب موسى بقوله: "يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى" [800]. والضحى هو« اسم للوقت الذي يرتفع فيه النهار، أو يظهر فيه ضوء الشمس ساطعا واللفظ يرتبط في أصله الاشتقاقي بالبروز والظهور»[801]. ويمثل هذا اليوم بالنسبة إلى فرعون يوم غلبة ونصر خاصة أن هذا اليوم «عيد عظيم عند القبط وهو يوم كسر الخليج أو الخلجان وهي المنافذ والشُرع المجعولة على النيل لإرسال الزائد من مياهه إلى الأرضين البعيدة عن مجراه للسقي فتنطلق المياه في جميع النواحي التي يمكن وصولها إليها ويزرعون عليها»[802]، فهو يوم تُدبَّر فيه الحيل لغلبة السحرة عليه، وفيه يجمع فرعون كل ما ملكت يداه لتحقيق الانتصار، إنه يرفض النزول ويأبى الحقيقة "يرفض أن تزول عنه المكانة التي انتحلها لنفسه وهو يوقن في قرارة نفسه أن ما يسمعه هو الحق المبين"[803].

أما بالنسبة إلى موسى فهذا اليوم يمثل الاختيار الأفضل والأنسب له للمواجهة، خاصة وأنه يوم يحتشد فيه الناس ليكون وقع المعجزة أشد تأثيرا في الحضور فموسى وأخوه هارون عليهما السلام في قلب المعركة والمواجهة ستكون ببادرة من السحرة في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ (طه/65). وقد أعطاهم موسى فرصة التقدم لأن هناك رعاية ربانية تحيطه وتبطل السحر: ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾ (يونس/81). وأيا كان ذلك فقد كان التقدم حليف السحرة يحدوهم الفوز بالنصر، كيف لا وهذا اليوم يومهم والعيد عيدهم. وفجأة ينقلب عليهم الزمن، يتحول هذا اليوم إلى هزيمة هؤلاء: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا

---

800 الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج 16، ص 246.
801 كريم زكي حسام الدين: الزمان الدلالي، ص 169.
802 الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير، ج 16، ص 246.
803 .بيومي مهران:دراسات تاريخية في القرآن الكريم،دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ،1995 ص 227-228.

كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (طه/67..70). و"تنطلق الأفعال الحاذقة في الساحة، تحول الحبال والعصي إلى أفاعي وثعابين، وينطلي السحر على الأبصار فلا تكاد تميز بين الحقيقة والوهم، بل تفسح الأفعال في النفوس مساحات للخوف والخشية والرهبة"(804). وبالتالي يتحول اليوم والضحى إلى جلاء ووضوح، وانتصار للحق يجرى في عيدهم فيؤمنون بالله الواحد القهار بعدما كان العيد عندهم رسما للخوارق. ونلاحظ أنّ العرض السردي يتجاوز جميع سياقات القصة، ليستقر في الأخير إلى أساس صلب متين، إنه التلقي والمفاجأة، يقول تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف/146).

وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ (البقرة/51). والمراد من المواعدة هنا هو «أن الله أمر موسى أن ينقطع أربعين ليلا لمناجاة الله تعالى وإطلاق الوعد على هذا الأمر من حيث إن ذلك تشريف لموسى ووعد له بكلام الله وبإعطاء الشريعة» (805). والليل هو امتداد الظلام الذي يبدأ من غروب الشمس واستتارها إلى طلوعها أو ظهورها مرة أخرى، والليلة تقابل اليوم لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ (فصّلت/37). وقد شاء الله سبحانه وتعالى أن تتحقق هذه المناجاة في هذا الزمان بالذات، لما فيها من التأمل والتدبير في غسق الليل وظلام الدجى، فيه يستأنس نبيه بشريعته التي سيتبعها الناس ولا يزيغون عنها.

وقد أجمل الله تعالى الحديث عن الليالي في سورة البقرة، وفصّلها في سورة الأعراف. وكانت هذه المواعدة بالنسبة إلى بني إسرائيل فرصة لاستغلال غياب نبيهم، وعبادتهم للعجل، «فلم يشأ الله أن يرسل موسى بعد الثلاثين يوما بعد أن أتمها بعشر أخرى حتى يعود موسى ويرى ما فعله قومه»(806).

4. المكان

المكان يؤطّر كينونة الإنسان ففيه يحيا وينمو وينشأ ويتطور، وفي يموت ويُدفَن. وهو الذي يشعر الإنسان في الغالب بالانتماء. وهو يمثل تلك العلاقة العاطفية المترابطة في

---

[1] حبيب مونسي: التراداد السردي في القرآن الكريم، ص 232.

[805] الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 497.

[806] الشعراوي: تفسير الشعراوي، م 7، ص 4338.

الوجود الإنساني وبالتالي تتوطد علاقة المكان بالشخصيات «فالترابط بين المكان والشخصيات يؤدي إلى نوع من التطابق بينهما لذلك أطلقنا عليه تسمية التكاملي لأن أحدهما يكمل الآخر فالتمايز بين الأمكنة هو التمايز بين الشخصيات»(807). والمكان في مسيرة أي إنسان قيمته الكبرى ورمزيته التي تشده إلى الأرض فمنذ أن يكون نطفة يتخذ من رحم أمه مكانا يمارس فيه تكوينه البيولوجي والحيائي حتى إذا حان المخاض وخرج هذا الجنين يستنشق أولى نسمة من الوجود الخارجي، كان المهد هو المكان الذي تتفتح فيه مداركه وتنمو فيه حواسه. وبعد المهد تتبلور الأبعاد المكانية للإنسان بصور أوضح في البيت والمدرسة والنادي والشارع بل في البحر والجو أيضا، في أحياز مكانية لا حصر لها. وقد يكون القبر هو النهاية أو المحطة الأخيرة لكل منهما(808).

والمكان في اللغة الموضع. قال ابن منظور: «المكان الموضع والجمع أمكنة وأماكن، يقال تمكن في المكان، واشتقاقه من كان يكون، والمكانة المنزلة والموضع، ويقال كان يكون كونا أي وجد واستقر»(809)، فالمكان هو المستقر والموضع. ويتخذ المكان مسارات أخرى في عالم السرد، فهو يقوم بدور فعال في بناء السرد سواء في القصة أو في الرواية. والمكان في السرد القرآني منفرد بطبيعته فهو يطلّ على عوالم ربانية غيبية تسيّر الكون. ومن جماليات الشأن فيه "ارتباطه العفوي بالسياق السردي الداخلي وبالسياق الخارجي المرتبط بالبنية الثقافية والفكرية للمتلقي، إذ لا ينحصر دور المكان في السرد القرآني بحيويته داخل البناء السردي وإنما يتعدى الأمر إلى الأبعاد ما وراء السردية فيرتبط دوره بالمنظومة الاجتماعية بمعناها الشامل الذي يشمل جميع مظاهر الحياة. ويعود ذلك إلى طبيعة القصة القرآنية، لأن القصة في القرآن ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه، وسير حوادثه، كما هي الحال في القصص الفني، إنما القصة فيه وسيلة من الوسائل الكثيرة التي استخدمها لغرضه الأصيل وهو التشريع وبناء الفرد والمجتمع، وأن القصة التي ترد فيه لا تختلف في غايتها عن المثل الذي يضربه للناس"(810).

1.4. أنواع المكان

807 . الشهرزودي: جماليات التلقي في السرد القرآني، ص 162.
808 أحمد زبير: المكان في مقالالعمل الفني،مجلة عمان مارس ع 129 2006 ص162.
809 ابن منظور::لسان العرب، م 5، ج 44، ص 3960-3961.
810 يادكار لطيف الشرزودي:جماليات التلقي في السرد القرآني ص 192-193

اختلف النقاد والباحثون في تحديد أنواع المكان، وربما يعود ذلك إلى اختلاف النصوص وكيفية معالجتها نقدياً، فهناك المكان المجازي والمكان الهندسي ومكان العشب، والمكان الأليف.. وغيرها[811]. كما يختلف حجم المكان بين العلو والانخفاض، والاتساع والضيق وغيرها. ونحن بصدد دراسة السرد القرآني ونخص بالذكر قصة سيدنا موسى عليه السلام، نلحظ تلك النظرة الإيجابية للمكان، ذلك المكان الذي تتنوع ايجابياته وحركته حسب الشخصيات وطبيعة محوريتها بالنسبة إليه، وبذلك يتنوع المكان ويتراوح في هذه القصة بين المكان الطبيعي والمكان الأليف والمكان الإنساني.

1.1.4. المكان الطبيعي

هو "المكان الذي لا دخل للإنسان في وجوده كالجبال والبحار والأودية والسهول"[812]. معنى ذلك أنّ المكان الطبيعي يتخذ مساره احتكاكا بالطبيعة فهي التي تصوغه حسب تقلباتها وحركيتها، لتكشف له عن ثوراتها أحيانا وهدوئها أحيانا أخرى، لذلك تأخذ الطبيعة القيمة الجوهرية في النص القرآني، وفي القصة بالذات.

وقد منحت الطبيعة المكان فترات خاصة به ميزته عن الأمكنة الأخرى، فأصبحت العنصر الطاغي في بداية قصة سيدنا موسى عليه السلام من أول مولده إلى انتصاره على الطغاة الظالمين. "وهذا يعني أن شخصية الإنسان تتكون وفق مظاهر الطبيعة التي كونت مكانه وبذلك تكون علاقة الطبيعة بالإنسان على شكل صورة "علبة فوقية" لأن الطبيعة تفرض قوانينها وتضطر الناس لأن يتكيفوا معها. وهذا يعني أن الإنسان يمتثل للطبيعة التي تفرض عليه قوانينها وتشعره بقوتها الهائلة حتى ولو كانت الطبيعة في ذروة تفجر خصبها الربيعي العظيم فرائحة الطبيعة تصخب في عقل الإنسان وقلبه حتى تكاد تخنقه وتشعره بمدى ضآلة المخلوقات إزاء حالة الخلق الكبرى"[813]. وتتجلى الأمكنة الطبيعية في القصة فيما يلي:

1.1.1.4. البحر

قال تعالى في سورة القصص: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص/7).

---

[811] ينظر، المرجع نفسه، ص 193.
[812] المرجع نفسه ص 195
[813] مرشد أحمد، جماليات المكان في روايات عبد الرحمن.منيف رسالة ماجستير، جامعة حلب، 1992، ص 24-25.

وقال تعالى في سورة طه:﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه/38،39).

عندما نتتبع أحداث قصة سيدنا موسى عليه السلام، فإنّنا نجد ذلك الخوف الذي يلوي أجنحة حياة رسل من أولي العزم اصطفاه الله سبحانه تعالى وجعله كليمه صنع صناعة جعلت هاجس الخوف يتلاشى شيئا فشيئا. وسورة (القصص) تبيّن ذلك التلاشي عن طريق الوحي الإلهي لأم موسى الذي كان صنعا من الله عز وجل وبدايته أن ينمو نموا جسميا قويا منذ الولادة لأنه سيستعد إلى رحلة تقوده إلى حيث مكان الأمان، فلا بد إذن أن يقوى بلبان أمه. وهذا الوحي يُغْرَسُ في نفس الأم الخائفة فتسأل نفسها بعد مولده أين ستضعه؟ أين ستخبّئه؟ وكيف ستحميه من هؤلاء الذين يتوعدون بموت الأطفال؟.

إنّ المكان يتحدد في سورة القصص: "فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ" أما في سورة طه فالمكان محدد ومخصص عن طريق ما هو جزء منه وهو الوسيلة التي يرحل بها، وإلى أين سيصل بعد ذلك، لقوله: "اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ"، فنحن الآن أمام ثلاثة أمكنة تساهم في تلاشي الخوف من قلب الأم: اليم والتابوت والساحل.

2.1.1.4. اليمّ

جاء في معجم (مقاييس اللغة) مادة (ي،م) «الياء والميم كلمة تدل على قصد الشيء وتمده وقصده ومنه قوله تعالى: "فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا"، ويقال تيممت فلاناً بسهمي ورمحي، إذا قصدته دون من سواه، وأما البحر فليس من هذا القياس»[814]. وجاء في لسان العرب مادة (ي،م،م): «البحرُ الذي لا يُدْرَكُ قَعْرُه ولا شَطَّاه ويقال اليَمُّ لُجَّتُه وقال الزجاج اليَمُّ البحرُ وكذلك هو في الكتاب، ويَقَع اسمُ اليَمّ على ما كان ماؤه مِلْحاً زُعاقاً وعلى النهر الكبير العَذْب الماء وأُمِرَتْ أُمُّ موسى حينَ وَلَدَتْه وخافتْ عليه فِرْعَوْنَ أَن تجعلَه في تابوت ثم تَقْذِفَه في اليَمِّ وهو نَهَرُ النيل بمصر حماها الله تعالى وماؤه عَذْبٌ قال الله عز وجل فلْيُلْقِهِ اليَمُّ بالساحل فَجَعل له ساحِلاً، وفي الحديث ما الدنيا في الآخرة إلا مِثْلُ ما يَجْعَلُ أَحدُكم إِصْبَعه في اليَمِّ فلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ واليَمُّ البحرُ»[815]، فمعاني اليم من خلال معاجم اللغة تحمل ثلاث دلالات وهي القصد والبحر والنهر.

[814] ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، م 6، ص 159.
[815] ابن منظور:، لسان العرب، م 6، ج 22، ص 4966.

وفي سياق قصة موسى يجمع المفسرون على أن موسى عليه السلام ألقي في النهر، وفي ذلك يقول الطاهر بن عاشور: «اليم البحر. وهو هنا نهر النيل الذي كان يشق مدينة فرعون حيث منازل إسرائيل، ثم يضيف قائلا واليم من كلام العرب مرادف للبحر، والبحر من كلامهم يطلق على الماء العظيم المسخر، فالنهر العظيم يسمى بحراً، لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ (فاطر/12)، فإنّ اليم من الأنهار»[816]. ويقول صاحب قصص الأنبياء أو إسحاق الثعلبي: «وكان الذي صنع التابوت حزقيل مؤمن آل فرعون، وقيل أنه كان من بردى، فاتخذته أم موسى التابوت، وجعلت فيه قطنا ملتويا ووضعت فيه موسى وصدت رأسه ثم ألقته في النيل»[817]. ولنا أن نستدل أن موسى عليه السلام ألقي في اليم الذي هو النهر في سياق الآية، وليس في البحر ما يلي:

1-أن البحر يتميز بسعة الانبساط والنهر جزء منه "لا بد وأن يمثل النهر في آخر مرحلة من مراحل جريانه قبل أن يصل البحر، فيأخذ خطا متعامدا مع خط الشاطئ، ولا يمكن تصور أن يمّا يصب في البحر بشكل مائل، أي غير متعامد مع خط الساحل إلا إذا كان محكوما في الجري بين مرتفعات من الأرض تحدد اتجاه مجراه إلى البحر"[818]، فلو أن تابوت موسى ألقي في البحر، ربما كانت سفرته تطول أياما وشهورا، ولربما غرق، فوحي الله سبحانه وتعالى لأمه الخائفة وحي إلهام بغاية اطمئنانها عليه، فكان النهر أولى بذلك.

2-إن من خصائص النهر الجريان في الأرض، ويتخذ طريقه قاصدا مكانا معينا، ويصب فيه. قال ابن منظور: "النَّهْرُ والنَّهَرُ واحد الأَنْهارِ وفي المحكم النَّهْرُ والنَّهَر من مجاري المياه، ونَهَرَ الماءُ إذا جرى في الأَرض وجعل لنفسه نَهَراً، واسْتَنْهَرَ النَّهْرَ إذا أَخذ لِمَجْراهُ موضعاً مكيناً، الإنهار الإسالة والصب بكثرة، وورد في الحديث «ما أَنْهَرَ الدمَ فَكُلْ" شبه خروج الدم من موضع الذبح بجري الماء في النهر»[819].

3-إنّ النهر يتميز بعذوبة مائه، بخلاف البحر فهو يجمع بين الماء العذب والمالح، على أن الأنهار العظيمة تسمى بحارا لكثرة سعتها. قال ابن منظور في ذلك «البَحْرُ الماءُ الكثيرُ مِلْحاً كان أَو عَذْباً وهو خلاف البَرِّ سمي بذلك لعُمقِهِ واتساعه قد غلب على المِلْح حتى قَلّ

---

816 الطاهر بن عاشور،:تفسير التحرير والتنوير، ج 20، ص 74.
817 أبو إسحاق الثعلبي: قصص الأنبياء ، ص 182.
818 صلاح الدين خليل الكلاس: موسى عليه السلام وقومه بني إسرائيل في القصص الحق، ص 186.
819 ابن منظور:لسان العرب، م 6، ج 95، ص 4556.

في العَذْبِ، وسمي بَحْراً لملوحته، وقال ابن سيده وكلُّ نهر عظيم بَحْرٌ وكل نهر لا ينقطع ماؤُه فهو بحر قال الأَزهري كل نهر لا ينقطع ماؤه مثل دِجْلَةَ والنِّيل وما أَشبههما من الأَنهار العذبة الكبار فهو بَحْرٌ و أَما البحر الكبير الذي هو مغيض هذه الأَنهار فلا يكون ماؤُه إِلاَّ ملحاً أُجاجاً ولا يكون ماؤه إِلاَّ راكداً وأَما هذه الأَنهار العذبة فماؤُها جار وسميت هذه الأَنهار بحاراً لأَنها مشقوقة في الأَرض شقّا»[820].

ومهما يكن من هذه الأدلة، والله أعلم، فإن اليم هو مصدر الأمان، فقد تهادى هذا الصبي وسط مجرى هذا الماء العذب بوسيلة حماية له من الخطر وهي:

2.1.4. التابوت

إنه المكان الأصغر في هذه الرحلة. والتَّابُوتُ في اللغة "هو الأَضْلاعُ وما تَحْويه كالقَلْب والكَبِدِ وغيرهما تشبيهًا بالصُّنْدُوق الذي يُحْرَزُ فيه المَتاع أَي أَنه مكتوب موضوع في الصُّنْدُوقِ"[821]. وهو في هذا السياق القرآني، وسيلة لتلك الأم الخائفة على وليدها، وكأنّنا بهذا التابوت تهيئة لها بالاستعداد لإلقائه في اليم، فهو إذن يمثل المهد الذي يحمي هذا الصبي من عوارض الخطر، وهو يتهادى في سطح الماء ذات اليمين وذات الشمال.

3.1.4. الساحل

يمثل هذا المكان نقطة النهاية. وإذا حلّلنا هذه الكلمة حسب جذرها اللغوي سنجدها تدل على تسهيل الشيء والكشف عنه، جاء في معجم مقاييس اللغة: «السين والحاء واللام ثلاثة أصول أحدها كشط شيء بشيء، والآخر من الصوت، والآخر تسهيل لشيء وتعجيله، فقولك سحلت الرياح الأرض إذا كشفت عنها أدمتها»[822]، فقوله تعالى: ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ أمرَ فيه سبحانه بأن يبلغ الحد المطلوب في الوصول إلى المكان الموعود، وهو دخوله المجرى الموصل إلى قصر فرعون. ويروي صاحب قصص الأنبياء قائلا: «انطلق الماء بموسى يرفعه الموج ويخفضه أخرى، حتى أدخله بين الأشجار عند دار فرعون إلى روضة هي مشفى جواري فرعون، وكان منها نهر كبير في دار فرعون داخل في بستانه، فخرجت جواري فرعون يغتسلن ويستقين فوجدن التابوت، فأخذنه وظنن أن فيه مالاً فحملنه على حاله حتى أدخلن إلى آسيا، فلما فتحته رأت فيه غلام، فألقى الله تعالى عليها محبة منه

[820] ابن منظور: لسان العرب، م 1، ج 4، ص 216.
[821] ابن منظور المصدر السابق:م 1، ج 6، ص 416.
[822] ابن فارس:معجم مقاييس اللغة، م 3، ص 140.

فرحمته آسيا وأحبته حبا شديداً»[823]. وما نستطيع قوله في هذا المجال هو أن هذه الأمكنة الثلاثة هي الحد الفاصل لخوف الأم من جهة، والطريق الموعود المسطر من قبل الله تعالى إلى فرعون عدوه وعدو نبيه عليه السلام من جهة أخرى، وذلك ما "جعل اسمه (موسى) الذي اختارته آسيا لأنه وجد بين الماء والشجر، فلفظة (مو) تعني ماء، و(شي) تعني الشجر، فعرب فقيل موسى"[824].

ويساهم سياق المكان في القصة في إدخال تحوّلات ثانية منها الجزاء. قال تعالى: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف/13). وتفصيل هذا الانتقام يأتي في سورة الشعراء، إذ يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآَخَرِينَ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآَخَرِينَ﴾ (الشعراء/61..66)، فدائما ما تتجلى معجزات الله سبحانه وتعالى في هذه القصة، ويتنزل ذلك الوحي الذي يحقق المعجزات حتى يتبين الحق ويزهق الباطل، فقد كان الوحي الأول لأم موسى حتى تلقي بابنها في اليم منعا من القتل وإنقاذا له وطمأنة لقلبها عليه، أما الآن فالوحي يتخذ مسارا آخر "فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ". إنه وحي للنبي المرسل. هذا الوحي المرفق بالعصا التي هي أولى المعجزات فمن التوكّؤ إلى استعمالها في الرعي وغيرها، وصولا إلى تحولها إلى الحية. وها هي الآن تتخذ تحولا آخر، إنها في قلب المكان، البحر: البحر باتساعه، وتلاطم أمواجه إذ يحدث ما لم يكن في الحسبان: "فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ" وكلمة انفلق مأخوذة من فلق « فلَقَه يفْلِقهُ فَلْقاً: شقّه كفَلّقه فانْفَلَق وتفلّق. وهما مُطاوِعان للفِعْلَيْن»[825]، أي «فلما ضرب موسى بعصاه البحر انفلق وانحصر الماء على الجانبين، كل فرق أي كل جانب كالطود يعني الجبل العظيم، وبعد أن صار الماء إلى ضده وتجمد كالجبل وضع بين الجبلين طريقا»[826]، فالمكان هنا يأخذ تحولا بفعل العصا، إذ أضحى البحر موزَّعا إلى طرق شتى مرت منها جموع موسى عليه السلام، ثم بعد ذلك يمتد البحر إلى قوم فرعون فيغرقهم جميعا. لذلك كان اليم في سورة (الأعراف) يحمل معنى البحر، وقد أشرنا من قبل

---

823 أبو إسحاق الثعلبي: قصص الأنبياء، ص 182.

824 المرجع نفسه، ص 183.

825 الزبيدي: تاج العروس، ج 26، ص 308.

826 الشعراوي:تفسير الشعراوي، م 17، ص 1057.

أن اليم يحمل دلالة البحر في معاجم اللغة. وبهذا كان انتقام الله سبحانه وتعالى عن طريق البحر، فهو هنا ذلك المكان المؤذن بالخطر والذي يغرق آل فرعون بعدما كذّبوا بآيات الله. ويعلّق متولي الشعراوي على هذه الآية بقوله: "حيث ضرب موسى بعصاه البحر امتنع عن الماء قانون السيولة، وفقد قانون الاستغراق، ويصوّر الله هذا الأمر لنا تصويراً دقيقا فيقول: "فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ" أي صار كل جزء منه كالطود وهو الجبل ونجد في الجبل الصلابة، وهكذا فقد الماء السيولة، وصار كل فرق كالجبل الواقف، ولا يقدر على ذلك إلا الخالق، لأن السيولة والاستغراق سنة كونية، والذي خلق هذه السنة الكونية هو الذي يستطيع أن يبطلها"[827]. وفي سورة (يونس) يقول تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس/90)، فقد جعل الله البحر المنقذ من الهلاك بالنسبة إلى بني إسرائيل مع نبيهم موسى من حيث جعله وسيلة انتقام له من فرعون على طغيانه وجبروته.، فها هو البحر الذي كان مأمنا للصبي، قد أصبح سائرا في طريقين طريق لانتصار الحق، وآخر لسقوط الظلم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ (الكهف/60..64). يجمع المفسرون أن سبب هذه القصة: «أن موسى عليه السلام جلس يوماً في مجلس لبني إسرائيل وخطب فأبلغ فقيل له هل تعلم أحداً أعلم منك، قال لا فأوحى الله إليه أن يسير بطول سيف البحر حتى يبلغ مجمع البحرين فإذا فقه الحوت فإنه هنالك ففعل موسى ذلك»[828]. واختلفت أقوال العلماء عن موقع مجمع البحرين فمنهم من يقول: «هو مجمع فارس وبحر الروم، وقيل مجمع البحرين بحر مالح وبحر عذب، فيكون الخضر على هذا عند موقع نهر عظيم في البحر، ومنهم من يقول إنه مكان من أرض فلسطين، أو مصب نهر الأردن إنه النهر العظيم الذي يمر بجانب الأرض الذي

---

[827] الشعراوي المصدر السابق م 7، ص 4326.

[828] أبو حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، ج 6، ص 135.

نزل بها موسى عليه السلام وقومه وكانت تسمى عند الإسرائيليين بحر الجليل»[829]. ومهما يكن عن موقعه الجغرافي فإنه يحمل دلالات في هذه القصة بدايتها كانت مع الحوت الذي اتخذ سبيله في البحر سربا، والسرب هو المسلك في جوف الأرض "وهذه من عجائب الآيات التي يقفز الحوت المستوي وتعود له الحياة، ويتوجه نحو البحر لأنه يعلم أن الماء مسكنه ومكانه"[830]، فالبحر هنا يمثل الحياة بالنسبة إلى الحوت، إنّه الماء الذي يعيش منه ويسترزق به، ويحيا به "وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ". إنّ البحر هنا يعيد الحياة لهذا الكائن الحي "وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا". «إن الفتى يحكي ما حدث ويتعجب منه، كيف أن الحوت تدب فيه الحياة حتى يقفز من المكتل ويتجه صوب الماء، فهذا حقا عجيبة من العجائب لأنها خرجت عن المألوف»[831]. ويمثل البحر نقطة التقاء بين سيدنا موسى عليه السلام، والعبد الصالح. وكان البحر هو الجامع بينهما في الوصول إلى المعرفة والعلم، فالعلم واسع سعة البحر، والنهل من مائه يتطلب جهدا كبيراً للوصول إليه، فمجمع البحرين يمثل مسار الحدث بينه وبين العبد الصالح، إنه الاستكشاف من خلال الظاهر لمعرفة الباطن، اكتشاف للأمكنة والأحداث بدايتها السفينة التي كانت المكان والوسيلة لركوب البحر حيث مثلت "مدار نشاط العبد الصالح ومكمن القلق لموسى عليه السلام"[832]، ثم يُقتل الغلام ويُرمَّم الجدار الذي يمثل مكان النهاية لقلق موسى، وتفسير الأحداث السابقة من طرف العبد الصالح. وبهذا يكون البحر في سياق القصة صدا للخوف، وصدا للظلم، ومنهلا للاستزادة في العلم.

4.1.4. الظل

الظل في اللغة مأخوذ من مادة (ظ،ل،ل): «ظِلُّ النهارِ لونُه إذا غَلَبَتْه الشمسُ، قال رؤبة كلُّ موضع يكون فيه الشمس فتزول عنه فهو ظِلٌّ وفَيْء وقيل الفيء بالعَشِيِّ والظِّلُّ بالغداة فالظِّلُّ ما كان قبل الشمس والفيء ما فاء بعد وقالوا ظِلُّ الجَنَّة ولا يقال فَيْؤها لأَن الشمس لا تُعاقِب ظِلَّها فيكون هنالك فيء إنما هي أَبداً ظِلٌّ ولذلك قال عز وجل: ﴿أُكُلُها دائمٌ وظِلُّها﴾ أَراد وظِلُّها دائم أَيضاً وجمع الظِّلِّ أَظلالٌ وظِلال وظُلُولٌ»[833]. وقال تعالى:

---

829 الشعراوي:تفسير الشعراوي، م 14، ص 8951.
830 الشعراوي: المرجع السابق ج 14، ص 8951.
831 المرجع نفسه، ج 14، ص 8952.
832 يادكار لطيف الشهرزوري: جماليات التلقي في السرد القرآني، ص 163.
833 ابن منظور:لسان العرب، م 4، ص 2753.

﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (القصص/24). إنّ قيام موسى عليه السلام بالمهمة المنوطة به تُجاه الفتاتين يقضي عليه التوجه إلى مكان ليرتاح فيه، خاصة وأن المهمة اتعبته وأثقلت كاهله، وأنّ سقي الماء يحتاج إلى جهد كبير، وذلك المكان هو الظل، ذلك الظل الذي يقيه لفح حرارة الشمس، وكأنّ المكان هنا استجمام من ذلك الجهد المبذول للفتاتين، إنه يجد فيه الرّاحة والأمان، إنه مكان يحيط بكل معاني الامتنان الشكر لله تعالى: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾. وقد قال رب إنه نداء ينطلق ذلك المكان الأرضي إلى رب السماوات والأرض "إنه هو المتولي للتربية والرعاية"[834]، فكان الظل هنا استجابة للنداء وفي الوقت نفسه إشعارا بالأمان والأنس كما دل على الفرج واستجابة الله سبحانه وتعالى له، إنه ذلك التخطيط التربوي الاجتماعي الذي يجعل من النبي موسى ذلك الراعي المسؤول عن رعيته.

5.1.4. الطور والجبل

قال تعالى في سورة القصص: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (القصص/29،30). وقال تعالى في سورة (مريم): ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ (مريم/52). وقال الله في سورة (طه): ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (طه/9..12). وقال تعالى في سورة (النازعات): ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (النّازعات/15،16). من خلال هذه الآيات، نلاحظ أنّ الليل يسدل خيوطه على تلك اللحظة الزمانية المقدسة والتي تجتمع فيها الأمكنة الطبيعية، لتكشف عن لحظة الوحي الإلهي لنبيه موسى. ويُعتبر الطور أو جانبه المسلكَ المؤدي لهذه اللحظة، إنه المكان المؤسس لهذا التكليم الالهي، يقول تعالى: ﴿آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾. وإذا ما حللنا هذه الكلمة في معاجم اللغة نجد أن معناها الجبل قال ابن منظور: «الطُّورُ الجبَلُ وطُورُ سِينَاءَ جَبل بالشام وهو بالسُّرْيانية طُورَى والنسبُ إليه طُورِيٌّ وطُورانِيٌّ

[834] الشعراوي:تفسير الشعراوي، ج 17، ص 10907.

وفي التنزيل العزيز وشجرةٍ تَخْرُجُ من طُورِ سَيْناءَ الطُّورُ وقيل إن سَيناء حجارة وقيل إنه اسم المكان، وقال الفراء في قوله تعالى والطُّورِ وكتابٍ مَسْطورٍ أَقْسَم الله تعالى به قال وهو الجبل الذي بِمَدْيَنَ الذي كَلّم اللهُ تعالى موسى عليه السلام عليه تكليما»[835]، فبدل أن يكون هذا الجبل «مكانا للضياع والفقر، متشابك الأدغال متعثر دروبه هبوطا وصعودا تغمرها أصوات بعيدة متوعدة وحشريات قريبة مخيفة، وكأن كل خطوة فيه مزلق من مزالق الهلاك»[836]. وقد كان لموسى عليه السلام ذلك المسلك الذي يرشده إلى الطريق، وكان ذلك عن طريق الإحساس من خلال قوله "آنَسَ". وكانت النار بمثابة الإشارة إلى قدسية المكان، فجانب الطور كان محيلا على هذا المكان المقدس، مكان المناجاة والتكليم، محدَّدا له بأمكنة طبيعية جُمعت كلها تحت اسم "الْوَادِ الْمُقَدَّسِ". وهذه الأمكنة تتحدد بالتفصيل في قوله تعالى: ﴿نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ وذلك عن طريق حركة الفعل (أتاها) فعند المجيء تحدث المناجاة ويتخصص المكان، ولنا أن نفصّل ماهيات هذه الأمكنة كما يلي:

6.1.4. شاطئ الواد الأيمن

جاء في تاج العروس: «شطئ الوادي والنهر شطه، وشفته، وقيل جانبه جمع شطوء، ويقال شاطئ النهر، طرفه وشاطئ البحر ساحله، وفي الصحاح شاطئ الوادي شطه وجانبه، ونقول شاطئ الأودية ولا يجمع وشطا الوادي، سال شاطئاه أي جانباه»[837]. ووصْف الشاطئ بالأيمن "فحمل الأيمن على أنه ضد الأيسر فهو أيمن باعتبار أنه واقع على اليمين المستقبل القبلة على طريقة العرب من جعل القبلة هي الجهة الأصلية لضبط الواقع وهم ينعتون الجهات باليمين واليسار، وعلى ذلك جرى اصطلاح المسلمين في تحديد المواقع الجغرافية ومواقع الأرضين، فيكون الأيمن بمعنى الغربي ليحيل أي جهة مغرب الشمس من الطور، ألا ترى أنهم سموا اليمين يمينا لأنه على يمين المستقبل باب الكعبة، وسموا الشام شاما لأنه على شام المستقبل لبابها، أي على شماله، فاعتبروا استقبال الكعبة وهذا هو الملائم لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ (القصص/44)"[838]. وشاطئ الواد الأيمن يمثل ذلك المكان المقدس الذي تمت فيه عملية المناداة فقد «تم تحديد الجزء المقدس من

---

835 ابن منظور: لسان العرب، م 4، ج 31، ص 2718.
836 حبيب مونسي:المكان في الشعر العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011، ص 63.
837 الزبيدي:: تاج العروس، ج 1، ص 281.
838 الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 20، ص 112-113.

المكان، وهو المكان الذي كلم الله فيه رسوله موسى دون أن يعلم موسى عليه السلام إلى هذه اللحظة بحقيقة كنه النداء وقدسية المكان»[839].

7.1.4. البقعة المباركة

البقعة هي «القطعة من الأرض المتميزة عن غيرها»[840]. معنى ذلك أن المكان واقع بالتحديد فيها، ووصفها الله سبحانه وتعالى بالمباركة لما فيها من اليمن والتقديس الشيء الكثير.

8.1.4. الشجرة

إذا كانت الشجرة تنفتح على دلالات سياقية في النص القرآني فهي: «مثل للكلمة الطيبة تظل خضراء ثابتة في الأرض باسقة في السماء، وهي مثل للكلمة الخبيثة إذا يبست واقتلعت وصارت كأنها غير موجودة، وإذا كانت سبب للخطيئة والهبوط وسكنى الأرض وتعميرها»[841]، فإنها بالنّسبة إلى موسى عليه السلام تصبح منطلَقا للنداء والتكليم، غير أن الكلام وهو كلام الله سبحانه وتعالى «لم يكن قائما بها كقيام الكلام بالمتكلم منا، فلم تكن إلا حجابا احتجب سبحانه به، فكلمة من ورائه بما يليق بساحة قدسه من معنى الاحتجاب وهو على كل شيء محيط»[842]. وهذه الآية تكشف لنا المكان المحدد بالضبط. يقول الشعراوي في ذلك: «يحدد المكان الوادي المقدس طوى، أين هو فإن قلت أين طوى، يقول لك في الواد الأيمن، لكن الواد الأيمن نفسه طويل، فإين منه هذا المكان، يقول لك عند البقعة المباركة من الشجرة»[843]، وكأن الله سبحانه وتعالى يدلنا على التعريف الصحيح الذي سيتم فيه الوحي، وبذلك يكون الطور دالاً على الطريق. كما أن المكان "الطور" في قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ يكشف لنا أن المكان خاص بالمناجاة. والنجيّ هو المناجي الذي يسرّ القول إلى صاحبه، كما جاء في الحديث الشريف "إذا كنت ثلاثة فلا يتناج اثنان دون الآخر فإن ذلك يحزنه" (رواه مسلم)، فالمكان "الطور" يحوي اثنين لا ثالث لهما، الله سبحانه وتعالى ونبيه موسى عليه السلام، فجانب الطور إذن تولدت عنه

---

839 يادكار لطيف الشهرزوري::جماليات التلقي في السرد القرآني، ص 200.
840 الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 20، ص 113.
841 صالح عظيمة: مصطلحات قرآنية، ص 234.
842 صالح عظيمة :المرجع السابق ، ص 235.
843 الشعراوي: تفسير الشعراوي، ج 15، ص 9232.

هذه الأمكنة الثلاثة، غرست في نفس نبي الله هالة من الخوف، إلى درجة الهروب، لكن سرعان ما يستحضر الأنس بالمكان والتوحد فيه.

ويؤكد الله سبحانه وتعالى المكان المحدد في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾. وإذا ما حللنا الدلالات اللغوية لكلمة (طوى) سنجد أنّ معناها الطي والتعريب والتسهيل قال ابن منظور في مادة (ط،و،ي): « الطَّيُّ نَقِيضُ النَّشْرِ، وفي حديث السفرِ اطْوِ لَنا الأَرضَ أَي قَرِّبها لنا وسَهِّلِ السَّيْرَ فيها حتى لا تَطُولَ علينا فكأَنها قد طُوِيَتْ، والطِّيَّة الهيئة التي يُطْوَى عليها، ويقال طَوَى فُلانٌ حَديثاً إِلى حَديثٍ أَي لم يُخْبِرْ به وأَسَرَّه في نفسِه فَجازَه إِلى آخر، ويقال اطْوِ هذا الحديثَ أَي اكْتُمْه، وطوَى الله لنا البُعْدَ أَي قرّبَه وفلانٌ يَطْوِي البلادَ أَي يَقْطَعُها بَلداً عن بَلَدٍ، وطُوًى وطِوًى جَبَلٌ بالشام وقيل هو وادٍ في أَصلِ الطُّورِ وفي التنزيل العزيز إنك بالوادِي المُقَدَّسِ طُوًى قال أَبو إِسحق طُوًى اسمُ الوادي»[844]. والله سبحانه وتعالى وجد هذا الواد المكان المناسب لمخاطبة نبيه عليه السلام، خاصة وأنه سار بأهله ليلا يبحث عن الطريق الموصل إلى حيث يريد، فكان هذا الوادي تسهيلا له للقيام بمهمة أكبر من إرادته، علما بأن المكان له هالة من التقديس الأمر الذي جعل موسى عليه السلام يؤمر بخلع نعليه: "فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى"، فذكر المكان ليس لإعلام موسى بقدسية الوادي، من خلال طلب خلع الحذاء كما سلفا الذكر، بل تعظيما للخالق سبحانه وتعالى.

9.1.4. الجبل

إذا كان الجبل يحمل معنى الخوف والضياع والموت والتلاشي عند الأمم السابقة، فإنه في السرد القرآني ينفتح على دلالات حقيقية لا مجال للمجاز فيه، إنها صنع الله الذي أتقن كل شيء، قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (النّمل/88)، فالجبال مسخّرة من الله العلي القدير، وتسبّح له كسائر ألوان الطبيعة بل وتهتز وتخرّ لعظمته، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (الحشر/21). ومن علمها بعظمة الله وجلاله ترفض الجبال حمل الأمانة التي عرضت عليها قبل أن تعرض على الإنسان، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ

[844] ابن منظور:لسان العرب، م 4، ج 31، ص 2799-2730.

مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب/72). إنها كائنات عاقلة تخشى تبعات الأمانة وتشفق منها لمعرفتها حق الله عز وجل، تمتلك قلبا حيا خاشعا بذكر الله وخشيته[845]. وها هو الجبل يوضح مواقف الشخصيات في القصة القرآنية فيدخل في أغوار النفس، حتى يتبين الاستدلال الإلهي على بيان معجزاته، ونضرب على ذلك مثالا من القصص القرآني وهو صفة سيدنا إبراهيم الجليل، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة/260). نلاحظ أنّ الجبل كان منفتحا على كيفية الإحياء، والهدف من ذلك هو إقناع إبراهيم بيقين الله سبحانه وتعالى القادر على إحياء الموتى، فإذا كان الجبل في هذا السياق دليلا على الحياة والموت فما دليله في قصة سيدنا موسى؟

إثر دليل الرؤية، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (الأعراف/143،144). ويقول الشعراوي في تفسير هذه الآية: «لم يقل موسى أرني ذاتك، بل قال أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ، كأنه يعلم أنه بطبيعة تكوينه يعرف أنه لا يمكن أن يرى الله، لكن إن أراه الله فهذا أمر بمشيئة الحق، وقدم موسى الطلب معلقا بمشيئة الله وإرادته لأنه يعلم أنه غير معد لاستقبال رؤية الله، لأن تكوينه لا يقوى على ذلك، وحتى في الوحي والكلام، لم يكلم ربنا الناس مباشرة، بل لابد أن يصطفي من الملائكة رسلا ثم تكون مرحلة ثانية أن يصطفي من البشر رسلا، ويبلغ الرسل الناس كلام الله لأن الصفات الكمالية العليا الخالقة لا يمكن أن يستوعبها المخلوق»[846]. وموسى عليه السلام يريد من الله سبحانه وتعالى أن يتجلى له ليشعر بذلك الأنس والأمان الأكثر بعد التكليم، "وسؤال موسى رؤية الله تعالى تطلع إلى زيادة المعرفة بالجلال الإلهي، لأنه لما كانت المواعدة تتضمن الملاقاة، وكانت الملاقاة تعتمد رؤية الذات وسماع الحديث، وحصل لموسى أحد ركني الملاقاة وهو التكليم، أطمعه ذلك في الركن الثاني وهو المشاهدة، ومما يؤذن بأن التكليم هو الذي أطمع موسى

---

[845] حبيب مونسي:فلسفة المكان في الشعر العربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائب 2011ص 69.

[846] الشعراوي:تفسير الشعراوي، م 9، ص 4344.

في حصول الرؤية جعل جملة وكلمة ربه شرطا لحرف (لمَّا) لأنّ (لمَّا) تدل على شدة الارتباط بين شرطها وجوابها"[847]. فما كان جواب الله تعالى إلا الإقناع بالدليل في المكان ﴿لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ فرؤية الله تعالى تتوقف على شرط أساسي يقوم به "المكان/الجبل" هو الاستقرار خاصة وأن الجبال تمتاز بالثبات لقوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ (النبأ/7)، ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ (النازعات/32)، لكن يحدث العكس فيهتز الجبل ويندك "والدك هو الضغط على شيء من أعلى ليسوى بشيء أسفل منه، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ (الفجر/21).

إنّ هذا الجبل المتصف «بالقوة والعظم والثقل والفخامة والثبات قد صار بإذن الله هشا متناثرا كالصوف المنفوش وفقد كل خصائصه تلك أمام قدرة الله سبحانه وتعالى»[848]، فما كان رد فعل موسى عليه السلام إلا التسبيح بعد أن أفاق من الغشي، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فالمكان هنا يصبح المعجزة الخلاّقة التي ساهمت في تطوير العلاقة بين موسى وربّه.

وخلاصة القول إن هذا الجبل كان مثلا لموسى عليه السلام، وهذا حتى «يقارن قوة الجبل وثباته وصلابته بقوته العاتية وتزعزعه وليونته، فمن خلال هذه المحادثة يقف موسى على أصل الحالة وهي أن الجبل مع شدته وصلابته إذا لم يستقر، فالآدمي مع ضعف بنيته أولى بأن يستقر، وهذا تسكين لقلب موسى وتخفيف عنه من ثقل أعباء المنع»[849]. ومن خلال الكشف عن هذه الأمكنة الطبيعية في السرد القرآني نجد ذلك التوحد والإنسجام مع الطبيعة، الأمر الذي أدى بالمكان الطبيعي أن يكون دليلا إعجازيّا حقيقيا يتّخذ صورة علبة يحكمها الله الواحد القهار القادر على التكوين والخلق والحياة والموت.

2.4. المكان الإنساني

يتكون المكان الإنساني من التجمعات السكنية التي بناها ويبنيها الإنسان كالبيوت والمساكن والقرى والمدن وهي تحمل السمة الإنسانية الميالة إلى التوطن والاستقرار والمعايشة الجماعية"[850]. ويتعلق المكان الإنسانيّ بالإنسان وكيان وجوده، إنه المكان "الذي يمتاز

---

[847] الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 9، ص 91.
[848] محمد محمد داود:معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ص 173.
[849] يادكار لطيف:جماليات التلقي في السرد القرآني، ص 201-202، وينظرتفسير البحر المحيط، ج 4، ص 383.
[850] المرجع نفسه، ص 206.

بتدخل الإنسان فيه، فهو الذي قام برسمه وبنائه حسب خبراته واحتياجاته وإمكانياته"[851].
وأهم الأمكنة الإنسانية في القصة هي:

1.2.4. البيت

جاء في لسان العرب مادة (ب،ي،ت): «بيت الرجل داره وبيته وقَصْره، والبَيْتُ من أَبيات الشِّعْر سمي بيتا لأَنه كلامٌ جُمِعَ منظوماً فصار كبَيْتٍ جُمِعَ من شُقَقٍ وكِفاءٍ ورِواقٍ وعُمُد وقول الشاعر وبيتٍ على ظَهْر المَطِيِّ بَنَيْتُه بأَسمرَ مَشْقُوقِ الخَياشِيم يَرْعُفُ، وقوله عز وجل "في بُيوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَع" أَراد المساجدَ، وقد يكون البيتُ للعنكبوت والضَّبِّ وغيره من ذوات الجِحَرِ وفي التنزيل العزيز ﴿وإِنَّ أَوْهَنَ البُيوت لَبَيْتُ العنكبوت﴾ (العنكبوت/41)[852]. من خلال هذا التعريف يتبيّن لنا أن البيت هو المأوى والملجأ الذي يأوي إليه الفرد قصد الاستقرار فيه. والبيت جسد مادّي مشحون بالروح. وهو عالم الإنسان الأول، قبل أن يقذف بالإنسان في العالم، كما يدعي بعض الفلاسفة الميتافزقيين المشرعين فإنه يجد مكانه في مهد البيت: "الوجود أصبح الآن قيمة الحياة، تبدأ بداية جديدة تبدأ مسيجة محمية دافئة في صدر البيت"[853].

وقد ورد لفظ البيت في قصّة موسى عليه السّلام بداية في سورة (القصص). يقول تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ (القصص/12). ويصل الصبي في تابوته إلى بيت فرعون فتفرح آسيا وتُسرّ وتدفع عنه الأذى وتقنع زوجها بتربيته، لكن الأساس في ذلك هو الإرضاع، فقد أبى الصبي أن يرضع من سائر النساء لذلك تتقدم أخته بأمر من أمها فتقترح عليهم مرضعة أخرى، وهي تلك الأم الحقيقية التي وعدها الله سبحانه وتعالى بإرجاع ابنها إليها. والإعجاز القرآني في ألفاظه ومعانيه، لم يذكر الأم، بل ذكر المكان، هذا المكان الأليف الذي يأوي الإنسان ويجعله في استقرار وأمان. قالت أخته بكلام من الله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾. إنه بيت من البيوت يختاره الله تعالى بحكمته في كفالة الصبي، ذلك البيت الذي يُكوّن ذلك الارتباط العاطفي بينه وبن أمه. والارتباط بالمكان «هو ارتباط وجداني إيجابي بين الأفراد وبيئاتهم السكنية، وهو الارتباط الذي يخلق مشاعر الراحة

---

851 المرجع نفسه، ص 206.
852 ابن منظور، لسان العرب، م 1، ص 392-393.
853 .غاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط 6، 2006، ص 381.

والأمن، ويشار إلى هذه الرابطة الوجدانية بين البشر والأماكن باسم عشق المكان»[(854)]. وهذا البيت هو مكان المولد، معنى ذلك أنه المناخ الدافئ الذي يعود إليه ليرضع من حليب أمه، وذلك كان وعد الله لها: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، فالرّضيع يعود إلى عالمه الأوّل. يقول غاستون باشلار: «حين نحلم بالبيت الذي ولدنا فيه، وبينما نحن في أعماق الاسترخاء القصوى ننخرط في ذلك الدّفء الأصلي [..] هذا هو المناخ الذي يعيش الإنسان المحمي في داخله، سوف يقود إلى الملامح الأمومية للبيت»[(855)].

ونجد موضعا ثانيا تُذكر فيه عبارة (البيت/البيوت) فقد قال تعالى في سورة يونس: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس/87)، فقد اشترط موسى عليه السلام على قومه الإيمان بالله الحق وذلك بعد انتصاره على فرعون وانضمام السحرة إلى طريق الحق، فالإيمان أساس الإسلام، فإن كان ذلك فعليهم التوكل على الله، والرحيل من مكان كثر فيه الظلم، ولا يزال التعذيب موعودا به لهؤلاء القوم، فكان جواب قومه: ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (يونس/85،86). والمراد بالفتنة هنا «فتنة الخوف من أن يرتد بعضهم عن الإيمان لو انتصر عليهم فرعون وعذبهم، وكأنهم يقولون يا رب لا تسلط علينا فرعون بعذاب شديد»[(856)].

وقد نزل الوحي على موسى وأخيه، فكلّ منهما منوط برسالة واحدة «بحيث إذا جاء موقف من المواقف يقتضي أن يتكلم فيه موسى، فهارون أيضا يمكن أن يتكلم في نفس الأمر، لأن الشحنة الإيمانية واحدة والمنهج واحد»[(857)]. ويأمر الله سبحانه وتعالى نبيّيه بقوله: ﴿أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. ونلاحظ ثلاثة أوامر يأمر بها الله، ومحور هذه الأوامر هو المكان، وهو البيت، فما دلالته في هذه الآية؟

أولى دلالات (البيت) الإقامة، وذلك لقوله تعالى "تَبَوَّآ"، وهو فعل مأخوذ من مادة (ب،و،ء). قال ابن منظور: « باءَ إلى الشيء يَبُوءُ بَوْءاً رَجَعَ، والأصلُ في الباءةِ المَنْزِل ثم قيل لِعَقْدِ التزويج باءةٌ لأَنَّ مَن تزوّج امرأَةً بَوَّأَها منزلاً، وأَبَأْتُ بالمَكان أَقَمْتُ به وبَوَّأْتُك بَيتاً

---

[854] يادكار لطيف : جماليات التلقي في السرد القرآني، ص 194.
[855] غاستون باشلار: جماليات المكان، ص 38.
[856] الشعراوي: تفسير الشعراوي، م 10، ص 6155.
[857] االمصدر نفسه م 10، ص 6159.

اتَّخَذْتُ لك بيتاً، وتَبَوَّأَ نزل وأَقام والمَعْنَيانِ قَريبان»[858]، فالتبوء إذن هو اتخاذ المكان المناسب للرجوع إليه والإقامة فيه، وقد جاء في سياق الآية (تَبَوَّآ بِمِصْرَ) معنى ذلك أنّ الله سبحانه وتعالى يأمر بالتوطن في مصر، واتخاذ مصر مكانا لهما كيف لا وهي بلد المولد والمنشأ فأراد الله سبحانه وتعالى أن يستقرا فيها لتوفر الأمان بها، وحتى يستطيعا أن ينشرا الدعوة، فهو سبحانه يريد أن يوفر لهما ذلك الجو المساعد على مواصلة المسيرة ويطرد جميع المخاوف التي تعتريهما وهما يؤديان الرسالة.

أمّا الدلالة الثانية للبيت فهو جعله قبلة، وهو الشرط الثاني الذي فرضه الله سبحانه وتعالى على موسى وقومه. والقبلة هي «المتجه الذي تصلي إليه، ومثال ذلك المسجد وهو قبلة من هو خارجه. وساعة ينادي المؤذن للصلاة يكون المسجد هو قبلتنا التي نذهب إليها، وحين ندخل المسجد نتجه داخله إلى القبلة، واتجاهنا إلى القبلة هو الذي يتحكم في وضعنا الطبيعي»[859].

وقد وردت عبارة (البيت) في صيغة الجمع "بيوتا"، وهي الملجأ لإقامة الصلاة. وقد خص البيت بالذات لأنه موفّر للأمان وبالتالي بعيد عن أعين الخصوم الذين يتربصون بقوم موسى بعد أن تابوا وآمنوا بالله الواحد فبيت هنا وبيت هناك، وبالتالي تكثر الصلوات، وبهذا تنتشر الدعوة. لذلك يعقد الشيخ الشعراوي مقارنة بين قوم موسى والمسلمين بمكة قائلا: «كان شأنهم شأن المسلمين الأوائل، حينما كان الإسلام في أولته ضعيفا بمكة، وكان المسلمون حين ذلك يصلون في قلب البيوت، وهذا هو سرّ عدم الجهر بالصلاة نهارا. وعدم الجهر يفيد في ألا ننبه الخصوم على مكان المصلين، وأما الجهر بالصلاة ليلا وفجرا فقد كان المقصود به أن يعلمهم كيفية قراءة القرآن»[860].

2.2.4. القرية

القرية بفتح القاف البلدة المشتملة على المساكن المبنية من حجارة وهي مشتقة من القَرْيْ. «يقال قرى الشيء يقريه إذا جمعه، وهي تطلق على البلدة الصغيرة، وعلى المدينة الكبيرة ذات الأسوار والأبواب»[861]. والقرية كذلك «اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس

---

858 ابن منظور:: لسان العرب، م 1، ج 5، ص 382.
859 الشعراوي، تفسير الشعراوي، م 10، ص 6161.
860 الطاهر بن عاشور:المصدر السابق م 10، ص 6161.
861 المصدر نفسه، ج 1، ص 514.

وهي تتكون من المساكن والأبنية وقد تطلق لفظة القرية على المدينة»[862]. وقد وردت لفظة (القرية) في سياق كشف الحالة النفسية لبني إسرائيل، وكيف قابلوا نعم الله تعالى بالجحود. قال تعالى في سورة (البقرة): ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (البقرة/57..59). لقد أسبغ الله تعالى على بني إسرائيل نعما كثيرة وهم في رحلة التّيه، حيث تحوّل المكان الأجدب المقفر إلى مكان ندي يعيد الحياة لهؤلاء، جعلهم يسترزقون من تلك النعم ما هو حلو شهي ونقي دون كلل أو تعب. وإلى جانب ذلك فقد كانت نعمة المكان أجلّ نعمة. إنه مكان الاستقرار والأمن، مكان يتوطن فيه الإنسان ليستريح من عناء السفر من مكان إلى مكان، قال تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ". فالقرية مكان التجمع، تكشف مساحتها الجغرافية الحالة الاجتماعية لبني إسرائيل ثمّ تصبح سرحا للأحداث التي سيؤول وضع بني إسرائيل إليه بعد الدخول. ودخول هذه القرية معناه أن يكون بنو إسرائيل على أهبة التغير والتطور، يشكلون بذلك جماعة فعالة تساهم في خلق قوة إيجابيّة في الاختيار في ظل طاعة الله سبحانه وتعالى. وما دامت القرية مأمنا ومستقرا، فإنها محط الخيرات، "فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا" فهي إذن مسخّرة لكل ما لذ وطاب، معنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يشعرهم بالانتماء المكاني الذي أصبح نقطة تحول من السلب "التيه" إلى الإيجاب "القرية" ذات البنية الطبيعية الخصبة.

وقد أمرهم الله سبحانه وتعالى أن يدخلوها سجدا "وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا" فالقرية هنا إلى جانب أنها محيط الاستقرار والأمن والخير الكثير، فإنها موضع السجود. والسجود هنا يقتضي الشكر لله تعالى على نعمه التي أنعمها على بني إسرائيل. وهذا يتجلى في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ «والحطة فعلة من الحط وهو الخفض وأصل الصيغة أن تدل على الهيئة ولكنها هنا مراد بها مطلق المصدر»[863]. وقد اختلفت أقوال المفسرين حول سياقها في الآية، وأرجح الأقوال أنّ المراد بالحطة «سؤال غفران الذنوب أي حط عنا ذنوبنا، أي

[862] يادكار لطيف:، جماليات التلقي في السرد القرآني، ص 206، نقلا عن المفردات في غريب القرآن، ص 4029.
[863] الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 515.

اسألوا الله غفران ذنوبكم إن دخلتم القرية»[864]. وسؤال غفران الذنوب مرهون بمغفرة الله سبحانه وتعالى لهم خطاياهم، والخطايا جمع "خطيئة وهي سلك الخطأ"[865]. ولقد كان موقف بني إسرائيل سلبيا تُجاه المكان، فقد أظهروا نواياهم السيئة تجاه خطاب موسى لهم. قال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾، "وتبديل القول تبديل جميع ما قاله الله لهم، وما حدثهم الناس عن حال القرية"[866]، فالقرية هنا ليست أهلا لهم، وذلك عائد إلى كون «البنية المفككة المنتكسة لشخصياتهم وتكويناتهم النفسية أبت عليهم أن يرتفعوا إلى مستوى الغاية التي من أجلها أخرجوا من مصر ومن أجلها ضربوا في الصحراء... لقد أنقذهم الله على يد نبيهم من العبودية إلى الحرية، ومن التبعية إلى الاستقلالية ليورّثهم الأرض المقدسة إلا أنهم لم يكونوا بقدر العطاء، ولم يكن لديهم أدنى استعداد للتضحية بأن يستأصلوا ميولهم القديمة ويغيروا اهتماماتهم الصغيرة، فيرتفعوا إلى مستوى التكريم الإلهي لهم والعناية الربانية المحيطة بهم، أو أن يتركوا مألوف حياتهم الهينة، حتى بأن يغيروا مألوف طعامهم وشرابهم وأن يكيفوا أنفسهم لظروف حياتهم الجديدة»[867].

3.2.4. المدينة

جاء في (لسان العرب) مادة (م،د،ن) «مَدَنَ بالمكان أَقام به، ومنه المَدِينة وتجمع على مَدَائن ومُدْنٍ ومُدُن، والمَدِينة الحِصْنُ يبنى في أُصطُمَّةِ الأَرض»[868]. وتدل كلمة (مدينة) من الناحية الاصطلاحية على «تنظيم استيطاني متميز فعلا ودال على طريقة حياة مختلفة عن القرية»[869]. وتمثّل المدينة في قصة سيدنا موسى محط التغيير وموضع الانتقال من مرحلة فاعلية المكان الطبيعي الذي كان اليم فيه منقذا لموسى إلى ترعرعه ونشأته،إلى قصر فرعون الذي يتربى فيه موسى عليه السلام ويرى من الظلم والقهر الشيء الكثير. وفي ظل هذه الأوضاع يبتغي موسى التغيير في مسار حياته بعطاء من الله سبحانه وتعالى ويرغب أن يعيش الناس حياة مستقرة وهم سواسية، حياة بعيدة كل البعد عن القوة والتسلط. والمكان محط التغيير لأن «التغيير حقيقة وجودية تتميز بها فعاليات ووقائع الحياة الاجتماعية. وقد أدرك الناس في جميع العصور أن مجرى حياتهم في تغير مستمر فهم إذن

864 المرجع نفسه، ج 1، ص 515.
865 الطاهر بن عاشور:االمصدر السابق، ج 1، ص 515-516.
866 المصدر السابق، ج 1، ص 516.
867 ينظر في ظلال القرآن، ج 1، ص 74.
868 ابن منظور: لسان العرب، م 6، ص 4161.
869 يادكار لطيف: جماليات التلقي في السرد القرآني، ص 209.

ينظرون نظرة تأملية إلى ما حولهم من نشاطات يلمسون بوضوح وجلاء حركات ومظاهر صاعدة وهابطة في كل مجال من المجالات الاجتماعية»[870]. قال تعالى في سورة (القصص): ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص/15..21). ذُكرت (المدينة) في هذه الآيات بصور مختلفة، وسياقات متعددة، فالمدينة الأولى يبدو جوّها هادئا خاليا من الزحام والتجمعات العمرانية المعروفة في طبيعة المدينة. وفي وقت بيّن المفسرون أنه وقت القيلولة، يدخل موسى عليه السلام خفية، والسبب في ذلك كما يبين المفسرون هو «مخافة فرعون»[871]، فالمدينة هنا في بدايتها تمثل مكان الدخول، ومن هنا الإقبال على حياة مستقلة عن فرعون وعالمه الطاغي المتجبر. وكانت بداية رحلة نبيّ الله لقاؤه بالرجلين اللذين يقتتلان، فتصبح المدينة بذلك مسرحا للأحداث: رجلان يقتتلان أحدهما قبطي والآخر إسرائيلي، يستغيث الإسرائيلي بموسى عليه السلام، فيقضي على القبطي دون قصد، إنه يريد الانتصار للحق لما لاقاه من فرعون من ظلم وطغيان، ومع ذلك يستدرك الخطأ ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾. إنها العودة إلى الصواب، ولحظة إدراك الخطأ في هذا المكان بالذات، فالمدينة هنا أخذت وجهين استغاثة الإسرائيلي وطلب النجدة من موسى، وارتكاب الخطأ عن غير قصد من موسى في ضربه للقبطي.

والسياق الثاني للمدينة يمثل ذلك المكان المثير للخوف في نفسية موسى عليه السلام، "فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ" «أي أصبح خائفا من أن يُطالَب بدم القبطي الذي

---

870 مرشد أحمد:جماليات المكان في روايات عبد الرحمان منيف، رسالة ماجستير، جامعة حلب، 1992، ص 119.

871 الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 20، ص 88.

قتله وهو يترقب، أي يراقب ما يقال في شأنه ليكون متحفزا للاختفاء أو الخروج من المدينة، لأنّ خبر قتل القبطي لم يفش أمره لأنه كان في وقت تخلو فيه أزقة المدينة، فلذلك كان موسى عليه السلام يترقب أن يظهر أمر القبطي المقتول»[872].

وتحتلّ المدينة مرة أخرى حادثة الشجار، فهذه المرة يفشى سر موسى عليه السلام من طرف الإسرائيلي، بالرغم من أن المدينة تتّصف بالأمن إلا أنها في هذه الحادثة أصبحت مولّدا للخوف والهلع الذي انتاب موسى عقب الحادثة. "وترتبط قيمة المكان/المدينة في السياق بالفعل المضارع (يترقب) الذي يصوّر هيئة القلق الذي جعل موسى يتوجس ويترقب، ويتوقع كشف أمره في كل لحظة. وجاء البعد المكاني "في المدينة" ليجسّم مع الفعل المضارع الدال على الحدوث والتجدد هيئة الخوف والقلق لدى موسى، فالمدينة عادة موطن الأمن والطمأنينة، فإذا كان المرء خائفا في المدينة فأعظم الخوف ما كان في مأمن ومستقر"[873].

ويأتي السياق الثالث للمدينة ليتصدّر مشهد الهروب، والفضل في ذلك يعود إلى الرجل الذي أتى من أقصى المدينة، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (القصص/20). «والظاهر أنّ أقصى المدينة هو ناحية قصور فرعون وقومه فإنّ عادة الملوك السكن في أطراف المدن توخيا من الثورات، والقارات لتكون مساكنهم أسعد بخروبهم عند الخوف»[874]، فالمدينة هنا تمثل مكان الحياة لموسى عليه السلام والهروب من الخطر الذي يحدّق به من طرف الملأ، والسبب في ذلك رجل منقذ ناصح له، معنى ذلك أن المدينة ظهرت في مستويات ثلاث «المستوى الأول هو الدخول إليها مطمئنا لا يشعر فيها بخوف وقلق، ومستوى ثان تحدث له فيها حادثة لم تكن في حسبانه، ثم المستوى الثالث الذي يخرج من المدينة خائفا متوجسا، وهو لا يعلم أين يتوجه، وأي طريق يسلك حيث دخل في مكان/المدينة، وهرب عن مكان/المدينة، وتوجه إلى مكان/مدين»[875]، فالمدينة إذن محور رحلات موسى عليه السلام، ومسار حياته الاجتماعية والنفسية.

ويأتي ذكر آخر للمدينة في سورة (الأعراف)، في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾

---

[872] الطاهر بن عاشور،المصدر نفسه ج 20، ص 93.
[873] يادكار لطيف: جماليات في السرد القرآني، ص 209.
[874] محمد متولي الشعراوي:تفسير الشعراوي ،م7 ص 4305
[875] لطيف يادكار:جماليات التلقي في السرد القرآني ص209

(الأعراف/123). يأتي سياق هذه الآية بعد إيمان السحرة بربّ العالمين، وبعد أن أثبتت لهم المعجزة عن طريق مقابل لمهنتهم وهي السحر، وما لقفته ممّا صنعوا، فكان على فرعون أن يجد وسيلة أخرى هي التعذيب والتصليب، فهو بهذا الموقف يريد أن يثبت لهم سلطته. يقول محمد متولي الشعراوي في هذا الإطار: «لقد كان فرعون في مأزق ويريد أن يخرج منه، لأنّ الناس جميعا قد شاهدوا المسألة وهو لا يريدهم أن يتشككوا في ألوهيته فيتهدم الصرح الذي أقامه على الأكاذيب، لذلك قال للسحرة إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة، أي أنكم اتفقتم مع موسى ونتيجة هذا المكر المتوهم بين بني إسرائيل وموسى، يتوعدهم فرعون: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الأعراف/124)»[876].

ويأتي تحديد المدينة بحكم أنها المكان الذي تُقام فيه التجمعات والاتفاقات، فهي بالنسبة إلى فرعون موطن التآمر مع موسى عليه السلام، خاصة وأن المدينة تمثل الموطن الأصلي للقبط وهم آل فرعون، فهو يسعى إلى رسم خطة يتهم فيه موسى عليه السلام بإخراج سكانها الأصليين وذلك كان في آية أخرى في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾ (طه/57)، كما يسعى من خلال هذه الخطة إلى إثارة قومه لإنقاذ سلطته التي أطيح بها بفضل هذه المعجزة الربانية.

وخلاصة القول إن هذه الأمكنة قد تجاوزت الدّلالات الطبيعيّة المألوفة لتنفتح على دلالات ربانية كشفت لنا ذلك البعد العقائدي لها فبين المكان الطبيعي والإنساني تتجلى لنا الأبعاد الثلاثة: الارتفاع والانخفاض والعمق، فقد تعلقت الأماكن بأفعال قصة سيدنا موسى عليه السلام فكان المكان الطبيعي الدال على تلك الرهبة التي زرعها الله تعالى في قلب نبيه موسى عليه السلام وفي الوقت نفسه كان ذلك المأمن الذي أنقذه من الطغاة، "البحر"، أما المكان الإنساني فقد كان موطنا تُؤخذ فيه العبر، فالمكان تجتمع فيه كل المتناقضات من أمن وخوف وهروب وتحدّ، ويجمع بين الماء والأرض، وبين الحق والظلم. وبالتالي تصبح هذه الأمكنة حقيقية وتسعى إلى خلق تصور شامل للإنسان لنتأملَ في الوجود والكون والحياة والموت لنصل إلى الحقيقة التي تقرّر أنّ المرحلة التي يقطعها الإنسان على ظهر هذا الكوكب إنما هي رحلة في كون حي مأنوس وعالم صديق ودود وكون ذو روح تتلقى

876 محمد متولي الشعراوي:تفسير سورة الأعراف، م 7، ص 4305.

وتستجيب، وتتجه إلى الخالق الواحد الذي تتجه له روح المؤمن في خشوع، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (الرّعد/15).

خاتمة البحث

لقد كان البحث تطبيقيّا في مجمله مع الاستعانة بأهم المفاتيح النظرية التي تعين على التحليل حيث تناول دور السياق بأنواعه في إنتاج الدلالة وتجليات ذلك في قصة سيدنا موسى عليه السلام. هذه الدلالة التي ترتكز على الظروف اللغوية وغير اللغوية المتضمنة في القصص القرآني عامة، وفي قصة سيدنا موسى خاصة. ويحسن بعد الانتهاء من هذا البحث التعريج على أهم النتائج المتوصل إليها وهي كالآتي:

_ يمثل السياق إحدى نظريات المعنى حيث يتجلى دوره في تحديد معنى الوحدة اللغوية ومكانها من النظم والتأليف كما يحدد ملامحها خارج النص بوصفها دوالّ نفسية واجتماعية وثقافية توجه مسار النص.

– إن كلا من السياق النفسي والاجتماعي جزء لا يتجزأ من سياق الموقف أو ما أطلق عليه البلاغيون عبارة المقام فهو يشمل جميع الملابسات أو المجريات النفسية والاجتماعية التي يتم فيها الحدث الكلامي إضافة إلى حلقة الاتصال والمكان والزمان، فما يطلق عليه مصطلح "المقام" يشمل تلك الوضعية التي دار فيها الخطاب.

– إن المعنى هو المرتكز الأساس في وضع الكلمة وتأليف الجملة وهذا المعنى هو الصورة الذهنية مجتمعة مع الألفاظ التي توضع لها والشيء نفسه بالنسبة للجملة إذ يشترط فيها إفادة المعنى وحسن السكوت أي تمام الكلام.

_ يتنوع السياق في الخطاب القصصي القرآني بتنوع المواقف اللغوية والاجتماعية والنفسية، الأمر الذي يعيننا على فهم القصص وتدبر معانيها والولوج إلى عالمها الرحب والغوص في مكنونات شخصياتها ومعرفة أحوالهم وكذا زمانهم ومكانهم.

– تنوعت الأساليب الإنشائية في قصة سيدنا موسى. هذه الأساليب تنتمي إلى حقل السياق اللغوي من أمر ونهي ونداء وغيرها، ومنها ما يأخذ طابع الاستعلاء كالأمر والنهي ومن ثم يتعدى إلى أغراض سياقية أخرى، ومنها ما يؤدي وظيفة التنبيه ويخرج هو الآخر إلى سياقات مقامية أخرى تقتضيها مجريات القول كالنداء.

- يكتسي طابع الاستعلاء صيغ الأمر في كثير من المواقف خاصة إذا كان الأمر يتعلق بالوحي الإلهي سواء لأم موسى عليه السلام أم له، أما طابع الالتماس فيتجلى في العلاقات الأسرية خصوصا علاقة موسى عليه السلام مع أخيه هارون، كما يتجلى طابع الزجر والسخرية مع بني اسرائيل لرفضهم الدعوة وعنادهم المستمر.

- أكثر السياقات التي وقع فيها النداء كانت للتنبيه، كما حُذف حرف النداء في بعض الآيات التي يتطلب مقامها التقرب إلى الله عز وجل بالدعاء إليه من طرف نبيّه موسى عليه السلام. وفي بالمقابل كثر استعمالها وذكرها لّا كان الأمر متعلقا بتنبيه موسى عليه السلام إلى أمر عظيم سيحدث، أو في سياق الإقناع كحوار موسى عليه السلام مع فرعون.

- بالرغم من اختلافات العلماء حول موضوع التكرار من حيث وجوده أو عدمه، ما بين مؤيد ومعارض فإنه يعتبر إحدى ركائز السبك المعجمي وأحد الأساليب البلاغية التي تدل على تأكيد المعنى وتوضيحه خاصة إذا تعلق الأمر بالكلمات والجمل. وآثرت مصطلح التكرار على مصطلح المتشابه لما فيه من تعدد السياقات البلاغية والوحدات المعجمية ذات السمات الدلالية كالترادف والمشترك اللفظي.

- يبين السياق اللغوي الدلالة المعجمية ويعين على فهم الدقيق منها. وهذا ما نلتمسه في المشترك اللفظي والترادف. ودلالة السياق في ذلك تكمن في ما يقتضيه المعنى من تحولات تبعا للغرض الذي سيق فيه الكلام.

- يبيّن السياق الفروق الدلالية الدقيقة في الآيات المتشابهات لفظا ومعنى، فكلما تكررت الآيات في لفظها ومعناها كلما توضح المعنى وازداد قوة وتوسع أفق انتظار المتلقي لكشف المعنى المراد والكشف عن آليات التفسير اعتمادا على السمات الدلالية الفارقة التي هي من اختصاص المعجم.

- يعين السياق على الكشف عن الروابط اللفظية والمعنوية للآيات، الأمر الذي يحقق الانسجام والاتساق في النص كحروف العطف وأسماء الإشارة وضمائر الفصل والشأن وغيرها.

- يختص الطغيان والعلو بفرعون. والألفاظ المستعملة في هذا السياق دالة على ذلك وموزعة على آيات عدة، بينما يتوزع الخوف على شخصيات عدة في القصة وتتنوع درجات الخوف عند كل واحد منهم حسب الحالة النفسية والوضعية التي هو عليها فخوف موسى عليه السلام اتخذ مسارات عدة وانتهى بخوفه الذي يتحول إلى خشوع وتدبر وخشية من الله عز وجل وهو في شاطئ الواد الأيمن أين فتحت له أبواب السماء وأوكلت له الدعوة بينما يتحول الخوف عند أم موسى إلى إيناس واطمئنان بعودة وليدها إليها.

- يسعى السياق النفسي إلى الدخول إلى أغوار النفس، فيكشف عن الانفعالات التي اعترت أبطال القصة من خوف وطغيان وتسلط وغيرها، فمن الانفعالات ما انعكس إيجابيا على شخصيات القصة كسيدنا موسى عليه السلام الذي يشكل محور القصة والبطل الرئيس فيها والذي بدّل الله خوفه أمنا نفسيا محاطا برعاية إلهية، ومنه ما انعكس سلبا كشخصية فرعون التي أغرقت في البحر بانتقام من الله سبحانه وتعالى فيبقى عبرة لمن يعتبر.

- تكمن دلالة السياق الاجتماعي في الكشف عن عناصر العملية الاتصالية في القصة كالعلاقات الأسرية والعلاقات الخارجية التي من خلالها سطرت معالم القصة فقد كانت ظروف نقل الرسالة الإلهية صعبة المنال. وقد أخذت في مسارها كل الطرق بتوفيق من الله عز وجل وهي وعد ووعيد جسدتها تلك العلاقات الاجتماعية.

- لقد بلغ موسى عليه السلام قمة المواجهة العنيفة والقوية مع فرعون. وفي المقابل نجده قد بلغ قمة العلم والتواضع مع سيدنا الخضر. وبين هذا وذاك يختاره الله سبحانه وتعالى نبيا مرسلا.

- يكتسي كل من الزمان والمكان بعدا نفسيا واجتماعيا بحيث يمثل كل منهما ذلك التغير والتحول في مسار أبطال القصة.

وقد ارتأيت أن أخرج من خلال هذا البحث بتوصيات تثري وتزيد من رصيد الدراسات القرآنية وهي:

- الاهتمام بالدراسات القرآنية في المجال اللغوي والتوسيع من دائرة الكشف عن المعاني الخفية في النص القرآني.

– دراسة المواقف النفسية والاجتماعية لشخصيات القصة القرآنية وتحليلها قصد الولوج إلى عالمها أكثر وبيان دوريها الرئيسي والثانوي في القصة.

– استثمار مصادر وأمهات كتب التفسير ومعاني القرآن وذلك للجمع بين مختلف السياقات التي تكشف عن دقة المعنى وجمال التصوير.

وفي الأخير نسأل الله العلي القدير أن يكون هذا البحث ذخرا للباحث العربي ليكمل عن طريقه مشواره. وأن يكون هذا البحث أيضا قطرة من بحر عسى غيري أن يواصل الدرب فيه لينهل من منهل هذه الدراسات الهادفة إلى التأمل والتدبّر في آيات الله.

فهرس الآيات

رقم الصفحة	رقم الآية	أسماء السور

البقرة		
أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ	19	122
هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ	29	223
وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ	49	86،87،100
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ	54	197-116- 53
وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ	50	89
وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ	51	261-197
وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ	55	197
وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ	57	282
وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ	58	282
فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ	59	282
وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ	60	103-90-22
أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا	148	194

يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ	185	51
وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ	205	137
وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ	233	172
وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ	238	60
وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ	260	276
وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا	275	42
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ	278	42
أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى	282	152
آل عمران		
لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ	28	56
قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا	64	15
النساء		
يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ	46	15
فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا	43	266
فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا	153	109

مُبِينًا		
وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا	**164**	**48**
المائدة		
قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ	**31**	**148**
الأنعام		
كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ	**12**	**234**
فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ	**96**	**257**
الأعراف		
قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ	**23**	**149**
وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ	**52**	**154**
ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ	**103**	**-140-110 207**
وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ	**104**	**207-71**
حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ	**105**	**207-71**
قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ	**106**	**207**
فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ	**107**	**207**
وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ	**108**	**207**
قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ	**109**	**228-97**
يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ	**110**	**228-97-86**

97-228-85	111	قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ
228-97—85	112	يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ
260-228	113	وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ
260	114	قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ
155	117	وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
155	118	فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
155	119	فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ
155	120	وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ
155	121	قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ
231-155	122	رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ
-112-101 -231-145 286-232	123	قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
-232-145 287	124	لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ
233	125	قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ
233	126	وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ
146	127	وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ
166	128	قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ
233	136	فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ

وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ	141	86
وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ	142	56
وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ	143	277
قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ	144	277-113-69
وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ	145	114
سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ	146	261
وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ	150	208-57
قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ	151	208- 152-
إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ	152	54

الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ		
وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ	**156**	**234**
وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ	**160**	**103-90**
لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا	**179**	**179**
وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ	**205**	
الأنفال		
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ	**21**	**204**
التوبة		
وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا	**40**	**15**
فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ	**83**	**99**
يونس		
إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ	**24**	**258**
فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا	**81**	**261**

يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ		
فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ	83	136-130
فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ	85	280
وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ	86	280
وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ	87	280
قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ	89	167
وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ	90	270-158
هود		
وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ	119	16
يوسف		
يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا	29	62
الرعد		
وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ	15	287
الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ	28	159
أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا	35	
إبراهيم		
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ	6	170-100

فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ		
أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ	**9**	**229**
يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ	**48**	**248**
النحل		
وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ	**58**	**174**
يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ	**59**	**174**
وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ	**61**	
فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا	**69**	**95**
وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ	**78**	**204**
الإسراء		
مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا	**18**	**248**
وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا	**31**	**122**
قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا	**50**	**55**

فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا	91	90
الكهف		
وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا	33	90
قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا	63	270
قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا	64	270-234
قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا	66	199
وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا	68	237
قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا	70	238
فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا	71	238
قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا	72	238
فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا	74	238
فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا	77	240
قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا	78	200
أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا	79	240
وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا	80	240
فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا	81	241
وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا	82	241

وَكَانَ أَبُوهُمَا صالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا		
مريم		
فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا	**27**	**175**
يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا	**28**	**175**
وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا	**52**	**272**
ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ	**34**	**114**
وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا	**53**	**180**
وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا	**88**	**77**
لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا	**89**	**77**
تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا	**90**	**77**
أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا	**91**	**77**
وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا	**92**	**77**
إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا	**93**	**77**
طه		
وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى	**9**	**-108-69-47 273**
إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى	**10**	**-108-69-47 273**
فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى	**11**	**273-69-47**
إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى	**12**	**-162-69-47 273**
وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى	**13**	**48-162**

إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي	14	163-48
إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى	15	218
وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى	17	49
قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى	18	49
قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى	19	49
فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى	20	49
قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى	21	49
وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى	22	49
لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى	23	50
اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى	24	50
قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي	25	178-51
وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي	26	177-51
وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي	27	184-177-51
يَفْقَهُوا قَوْلِي	28	184-177-51
وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي	29	177-51
هَارُونَ أَخِي	30	178-51
اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي	31	178-51
وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي	32	178-51
كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا	33	178
وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا	34	178
إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا	35	178
قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى	36	53

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى	38	-160-96-44 249
أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي	39	-98-46-44 249-159
إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى	40	-132-98 249-175
وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي	41	252-59
اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي	42	252-59
اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى	43	60
فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى	47	180
قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى	49	139—114 121
قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى	50	121-117
قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى	51	-121-117 224
قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى	52	221-117
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى	53	-221-117 225
كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى	54	221
مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى	55	221
قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى	57	287
فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا	58	260

أَنْتَ مَكَانًا سُوًى		
قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى	59	260
قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى	63	112
فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى	64	219
قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى	65	260
فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى	67	229
وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى	69	229-92
فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى	70	84
قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى	71	146
فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ	72	156-45
إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى	73	195-156
وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى	77	22
قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي	94	180-58
المؤمنون		
فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ	27	93
هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ	36	79

إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ	46	141
فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ	47	141
النور		
فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ	36	279
الفرقان		
وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا	27	148-229-
يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا	28	148
حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا	76	11
الشعراء		
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ	9	79
قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ	12	178-128
وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ	13	178-128
وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ	14	179128-
فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ	16	258
قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ	18	-222-185 258
قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ	20	258-151
فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ	21	129—151 258
وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ	22	258
قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ	23	258- 139-
قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ	34	193-97
يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ	35	193- 97-86

قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ	36	-97 -85
يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ	37	85
وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ	39	194
فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ	41	194
قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ	42	194
فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ	46	84
رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ	48	84
قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ	49	101
فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ	61	269
قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ	62	269
فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ	63	269
وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ	64	269
وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ	65	269
ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ	66	269
النمل		
وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ	6	81
إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ	7	92-129
فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ	8	92-105-129

يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ	9	-118-105 129
وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ	10	129-102-70
إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ	11	129
وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ	12	129-94
فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ	13	94
وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ	14	81
أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ	60	79
وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ	88	276
القصص		
طسم	1	169
تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ	2	169
نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ	3	169
إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ	4	137-136
وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ	6	140
وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ	7	-124-96-60 -160-132 -174-173 253

فَالْتَقَطَهُ آَلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ	8	253
وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ	9	-133-108 182
وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ	10	-161-124 250-204
وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ	11	-124-110 204-175
وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ	12	-204-175 279
فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ	13	-161-98 251-204
وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ	14	-149-126 183
وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ	15	-126-67 190-150
قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ	16	126-150-66
قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ	17	126-66
فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ	18	-191-126 257
فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي	19	257-191-67

الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ		
وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ	20	126-67-45
فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ	21	126-67-46
وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ	22	164
وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ	23	215-46
فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ	24	272-215-46
فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ	25	-165-47 255-216
قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ	26	-68-188-46 255
قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ	27	-188-166 255-217
قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ	28	255-112
فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ	29	-255-189 272
فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ	30	-255-96-93

الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ		272
وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآَهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآَمِنِينَ	31	102
اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ	32	227-94
وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ	34	177-53-52
قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآَيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ	35	179-163
وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ	38	139-82-72
وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ	44	92
لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ	76	132
العنكبوت		
وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ	41	279
وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ	36	104
فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آَيَةً لِلْعَالَمِينَ	15	107
لقمان		
هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ	11	11

السجدة		
تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ	**16**	**123**
إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ	**15**	**122**
الأحزاب		
لَا مُقَامَ لَكُمْ	**13**	**10**
الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا	**26**	**123-96**
إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا	**72**	**276**
فاطر		
وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ	**12**	**266**
يسن		
سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ	**36**	**226**
الزمر		
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ	**21**	**95**
أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ	**56**	**157**

لَمِنَ السَّاخِرِينَ		
قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ	53	153
غافر		
فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ	45	82
النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ	46	82
وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ	28	192
النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ	46	84
فصّلت		
الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ	37	262
الشورى		
كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ	3	110
الزخرف		
فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ	25	144
وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ	51	222-112
أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ	52	142-82
فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ	53	82

فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ	**54**	**144**
فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ	**55**	**144**
فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ	**56**	**144**
الدّخان		
كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ	**25**	**11**
وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ	**26**	**11**
ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ	**49**	**54**
محّد		
وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ	**19**	**122**
رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ	**20**	**122**
ق		
وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ	**19**	**95**
وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ	**21**	**7**
لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ	**22**	**109**
وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ	**38**	**248**
الذاريات		
فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ	**29**	**229**
القمر		

وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ	12	90
الرحمن		
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ	13	74
وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ	46	123
الحديد		
أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ	20	10
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ	26	107
الحشر		
لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ	21	276
الممتحنة		
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ	1	55
الجمعة		
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ	9	43
يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ	1	113
فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ	10	44
التحريم		
وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي	11	183

عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ		
يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ	1	116
فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ	10	44
الحاقة		
فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ	19	132
إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ	11	135
إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ	20	132
فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ	21	132
نوح		
وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا	19	225
المزمل		
يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا	14	123
المدثر		
فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ	19	79
ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ	20	79
القيامة		
لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ	1	148
وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ	2	148

132	**22**	وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ
		النبأ
136	**22**	لِلطَّاغِينَ مَآبًا
278	**7**	وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا
		النازعات
135	**17**	اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى
273	**15**	هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى
273	**16**	إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى
142	**20**	فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى
142	**21**	فَكَذَّبَ وَعَصَى
142	**22**	ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى
142	**23**	فحشر فنادى
142	**24**	فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى
		الانفطار
78	**17**	وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ
78	**18**	ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ
		الطارق
226	**12**	وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ
74	**17**	فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا
		الأعلى
80	**18**	إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى
80	**19**	صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى
82	**2**	الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى

الفجر		
كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا	21	-278-79
وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا	22	79
يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ	27	65
البلد		
وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ	17	154
الليل		
فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى	7	52
الضحى		
وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى	7	152
الشرح		
أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ	1	51
إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا	6	52
قريش		
فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ	3	159
الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ	4	158

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الإستراباذي، الرضي. شرح الكافية في النحو. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. 1995.

أسعد، توفيق ميخائيل. سيكولوجية الخوف. دار نهضة مصر. (دت).

الإشبيلي، ابن عصفور. شرح جمل الزجاجي. تح إميل بديع يعقوب. دار الكتب العلمية بيروت. ط1. 1996.

الألوسي. روح المعاني. دار إحياء التراث العربي. بيروت. (دت).

أمير، عبد العزيز. التفسير الشامل للقرآن. دار السلام. القاهرة. ط1. 2000.

الأندلسي، أبو حيان. البحر المحيط. تح عادل أحمد عبد الموجود. دار الكتب العلمية (دت).

باشلار، غاستون. جماليات المكان. ترجمة غالب هلسا. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بيروت. ط6. 2006.

بحراوي، حسن. بنية الشكل الروائي. المركز الثقافي. الدار البيضاء. ط1. 1990.

بحيري، سعيد حسن. دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة. مكتبة الآداب. القاهرة. ط1. 2005.

بدران، عمرو حسن. كيف نتخلص من الخوف. الدار الذهبية المنصورة. (دت).

بري، حواس. المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. ط1. 2002.

بشر، كمال. علم الأصوات. دار غريب القاهرة. 2000.

البغدادي، محمد السيد متولي. قضية الربط في المجلة العربية. مطبعة الأمانة. مصر. ط1. 1988.

بكري، الشيخ أمين. التعبير الفني في القرآن. دار الشروق. القاهرة. ط4. 1980.

البكوش، الطيب. **الماجري** صالح. في الكلمة. دار الجنوب للنشر تونس. (دت).

بلبع عيد. السياق وتوجيه دلالة النص. دار الكتب المصرية القاهرة. ط1. 2008.

البهنساوي، حسام. القواعد التحويلية في ديوان حاتم الطائي. مكتبة الثقافة العربية. القاهرة (دت).

بوعمامة، محمد. مباحث في علم المعنى. شركة باتنيت (دت).

بيوض، ابراهيم بن عمر. في رحاب القرآن. جمعية التراث غرداية. ط1. 1995.

بيومي، محمد أحمد. علم اجتماع العائلي. دار المعرفة الجامعية. القاهرة. 2003.

بيومي، مهران. دراسات تاريخية في القرآن الكريم. دار المعرفة الجامعية. الاسكندرية. 1995.

التهانوي. كشاف اصطلاحات الفنون.

توفيق، معن. النداء في القرآن الكريم. دار الكتب العلمية. بيروت.ط1. 2008.

الثعلبي، أبو إسحاق. قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس. دار المنار. القاهرة. (دت).

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. البيان والتبيين. تحقيق درويش جويدي. المكتبة العصرية. بيروت. ط2. 2000.

جاكبسون وآخرون. التواصل: نظريات ومقاربات. ترجمة عز الدين الخطابي. منشورات عالم التربية. الدار البيضاء. ط1. 2007.

جبل، محمد حسن. المعنى اللغوي. مكتبة الآداب. القاهرة.ط1. 2005.

الجرجاني، الشريف. التعريفات. مكتبة لبنان. ط1. 2000.

الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز. دار الكتاب العربي. بيروت. ط3. 1999.

الجسماني، عبد العالي. القرآن وعلم النفس. الدار العربية للعلوم. ط1. 1997.

ابن جني. الخصائص. تح عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية بيروت. ط1. 1999.

الجيومي، عبد الله. التعبير القرآني والدلالة النفسية. دار الغوثاني للدراسات القرآنية. دمشق. ط2. 2007.

ابن الحاجب. الكافية في النحو. شرح رضي الدين الأستراباذي. دار الكتب العلمية بيروت. ط1. 1995.

حبيلة، الشريف. بنية الخطاب الروائي. دراسات في روايات نجيب الكيلاني. عالم الكتب الحديث. الأردن. ط1. 2010.

حسام الدين، كريم زكي. الزمان الدلالي. دار غريب للطباعة. القاهرة. ط4. 2002.

حسان، تمام. الخلاصة النحوية. عالم الكتب القاهرة. ط1. 2000.

حسان، تمام. اللغة العربية معناها ومبناها. عالم الكتب. القاهرة. ط3. 1998.

حسان، تمام. خواطر من لغة القرآن الكريم. عالم الكتب. القاهرة. ط1. 2006.

حساني، أحمد. مباحث في اللسانيات. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. ط1. 1999.

حسن، عباس. النحو الوافي. دار المعارف مصر. ط3.

حضري، محمد الأمين. من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم. مكتبة وهبة القاهرة. (دت).

الحلبي، السمين. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون،. تحقيق أحمد محمد الخراط. دار العلم دمشق. (دت).

الحلي، صفي الدين. شرح الكافية. تحقيق نسيب الشاوي. مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق.

حمود، ستار جبر. الوحي ودلالاته في القرآن الكريم. دار الكتب العلمية. بيروت.ط1. 2001.

حميدة، مصطفى. أساليب العطف في القرآن الكريم. الشركة العالمية لونجمان القاهرة.ط1. 1999.

حيدر، فريد عوض. علم الدلالة. مكتبة الآداب. القاهرة ط1. 2005.

حيدر، فريد عوض. فصول في علم الدلالة. مكتبة الآداب. القاهرة. ط1. 2005.

الخالدي، كريم حسن ناصح. الخطاب النفسي في القرآن الكريم. دار صفاء للنشر والتوزيع. عمان. ط1. 2007.

الخباص، جمعة عوض. نظام الربط في النص العربي. دار كنوز المعرفة العلمية. عمان. ط1. 2008.

خليل، عبد النعيم. نظرية السياق بين القدماء والمحدثين. دار الوفاء للطباعة والنشر الاسكندرية. ط1. 2007.

خواجة، عبد العزيز. أنماط العلاقات الاجتماعية في النص القرآني. دار صفحات للدراسات والنشر دمشق. ط1. 2007.

الخولي، إبراهيم محمد عبد الله. مقتضى الحال بين البلاغة القديمة والنقد الحديث. دار البصائر. القاهرة. ط1. 2006.

داوود، محمد. معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم. دار غريب. القاهرة. ط1. 2008.

دبة، طيب. مبادئ اللسانيات البنيوية. (دت).

الدجاني، زاهية راغب. المفهوم القرآني والتوراتي عن موسى عليه السلام وفرعون. دار التعريب. بيروت. ط1. 1998.

الدجاني، زاهية راغب. نفسية بني اسرائيل في القرآن الكريم. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. ط1. 2000.

دوتس، هلين. علم نفس المرأة والأمومة. ترجمة محمد مصعب. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر. القاهرة. ط1. 2008.

دي بوغراند، روبرت. النص والخطاب والإجراء. تقديم تمام حسان. عالم الكتب. القاهرة. ط2. 2007.

أبو الذهب، أشرف. المعجم الإسلامي. دار القاهرة. ط1. 2002.

ذيب، شاهر. المبادئ التربوية والأسس النفسية في القصص القرآني. دار جرير. عمان. ط1. 2005.

الرازي، الفخر. التفسير الكبير. دار إحياء التراث العربي بيروت. (دت).

الرازي، محمد فخر الدين. قصة السحر والسحرة في القرآن الكريم. تحقيق محمد ابراهيم. مكتبة القرآن. القاهرة. (دت).

الرازي، محمد فخر الدين. قصة السحر والسحرة في القرآن الكريم. تحقيق محمد ابراهيم. مكتبة القرآن. القاهرة.

ابن رشيق. العمدة. تح عبد الواحد شعلان. مكتبة الخانجي. القاهرة. ط1. 2000.

رضا، محمد رشيد. تفسير المنار. دار الكتب العلمية بيروت. (دت).

الريحاني، محمد عبد الرحمن. اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية. دار قباء للنشر والتوزيع. القاهرة. 1998.

زايد، عبد الصمد. مفهوم الزمن ودلالته. الدار العربية للكتاب.1988.

الزبيدي. تاج العروس. تحقيق علي هلالي. مطبعة حكومة الكويت.1987.

زرال، صلاح الدين. الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري. منشورات الاختلاف. الجزائر. ط1. 2008.

الزركشي. البرهان في علوم القرآن. تحقيق مصطفى عبد القادر. دار الكتب العلمية بيروت. ط1. 1988.

الزمخشري. الكشاف. تحقيق عادل أحمد. مكتبة العبيكان. الرياض. ط1. 1998.

أبو زيد، ناصر حامد. النص والسلطة والحقيقة. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء.ط4. 2000.

أبو زيد، عثمان. نحو النص. عالم الكتب الحديث. الأردن. ط1. 2010.

الزين، سميح عاطف. معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة.

ابن السراج. الأصول في النحو. تحقيق عبد الحسين الفتلي. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط3. 1975.

السعران، محمود. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. دار النهضة العربية. بيروت. (دت).

سلطان، منير. بلاغة الكلمة والجملة والجمل. منشأة المعارف الاسكندرية. ط3. 1996.

السمرائي، إبراهيم. الفعل زمانه وأبنيته. مؤسسة الرسالة. ط4. 1986.

السمرائي، فاضل صالح. التعبير القرآني. دار عمان الأردن. ط5. 2007.

السمرائي، فاضل صالح. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني. دار عمان الأردن. ط4. 2007.

السمرائي، فاضل صالح. لمسات بيانية. دار الفجر العراق. ط1 2008.

سنبل، أحمد. الحوار القرآني بين التفسير والتبصير. مكتبة الأسد. دمشق. (دت).

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان. الكتاب. دار الكتب العلمية بيروت. ط1. 1999.

السيد، عبد الحميد مصطفى. الأفعال في القرآن الكريم. دار الحامد للنشر الأردن. ط1 2007.

ابن سيدة. المخصص. بيروت. (دت).

السيوطي، جلال الدين. القرآن الكريم وتفسير الجلالين. تقديم عبد القادر الأرناؤوط. دار ابن كثير.

السيوطي، جلال الدين. همع الهوامع. تحقيق عبد العال سالم مكرم. دار البحوث العلمية الكويت. ط1. 1975.

الشاوش، محمد. أصول تحليل الخطاب. جامعة منوبة. ط1. 2001.

شعبان، مصطفى. المناسبة في القرآن. المكتب الجامعي الحديث. الاسكندرية. ط1. 2007.

الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. المكتبة التوفيقية. (دت).

الشعراوي، محمد متولي. قصص الأنبياء والمرسلين. المكتبة التوفيقية. القاهرة. (دت).

شلبي، مصطفى. محمد موسى. مهارات الاتصال باللغة العربية. دار العلم. دبي.ط1. 2007.

الشمري، حسين عبيد. صورة الآخر في الخطاب القرآني. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. 2008.

الشهرزوري، يادكار لطيف. جماليات التلقي في السرد القرآني. دار الزمان للطباعة والنشر. دمشق.ط1. 2010.

الشهري، عبد الهادي ظافر. استراتجيات الخطاب. دار الكتاب الجديد المتحدة. بيروت. ط1. 2004.

الصالح، حسين أحمد. التأويل اللغوي في القرآن الكريم دراسة دلالية. دار ابن حزم. بيروت. ط1. 2005.

صالح، محمد سالم. الدلالة والتقعيد النحوي دراسة في فكر سيبويه. دار غريب. القاهرة. ط1. 2008.

الصالحي، محمد بن يوسف. سبل الهداية والرجاء من خير العباد. لجنة إحياء التراث الإسلامي. القاهرة.1997.

صولة، عبد الله. الحجاج في القرآن. دار الفارابي تونس. ط1. 2001.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق عبد الله بن المحسن التركي. دار هجر للطباعة والنشر. مصر. ط1. 2001.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق محمود محمد شاكر. مكتبة ابن تيمية القاهرة. ط2. (دت).

طبل، حسن. المعنى في البلاغة العربية. دار الفكر العربي. القاهرة. ط1. 1998.

الطلخي، ردة الله. دلالة السياق. مكتبة أم القرى. ط1. 1423 هـ.

طه، عبد الرحمن. التواصل والحجاج. مطبعة المعارف الجديدة. الرباط. 1993.

طه، فرج عبد القادر. موسوعة علم النفس والتحليل النفسي. دار غريب القاهرة. ط1. 2003.

بن عاشور، الطاهر. تفسير التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1984.

عبد التواب، رمضان. فصول في فقه العربية. مكتبة الخانجي. القاهرة. ط3. 1987.

عبد العبود، جاسم محمد. مصطلحات الدلالة العربية في ضوء علم اللغة الحديث. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. 2007.

عبد اللطيف، محمد حماسة. العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث.

عبد الله، شكر محمود. الفصل والوصل في القرآن الكريم. دار دجلة الأردن. ط1. 2009.

عبد الله، طه. أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. 2005.

عبد المجيد، جميل. البلاغة والاتصال. دار غريب. القاهرة. ط1. 2000.

عبد المطلب، محمد. البلاغة العربية قراءة أخرى. الشركة المصرية العالمية لونجمان.ط1. 1997.

عبد الواحد عبد الحميد. الكلمة في اللسانيات الحديثة. مكتبة علاء الدين صفاقس.ط1 .2004

عبد مرزوك، يونس. أسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم. دار المدار الإسلامي. بيروت.ط1. 2002.

عبد مسلم، طاهر. عبقرية الصورة والمكان. دار الشروق عمان. ط1. 2002.

العبيدي، محمد عبد الله. دلالة السياق في القصص القرآني. إصدارات وزارة الثقافة. صنعاء. (دت).

عرودكي، يحي. الخوف داء ودواء. دمشق.1996.

العسكري، أبو هلال. الفروق اللغوية. تح محمد ابراهيم. دار العلوم والثقافة القاهرة. (دت).

العسكري، أبو هلال. الفروق اللغوية. تح محمد باسل. عيون السود. دار الكتب العلمية. بيروت. ط4. 2006.

عظيمة، صالح. مصطلحات قرآنية. الجامعة العالمية الإسلامية لندن. ط1. 1994.

عفيفي، أحمد. نحو النص. مكتبة زهراء الشرق. القاهرة. ط1. 2001.

عكاشة، محمود. التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة. دار النشر للجامعات. القاهرة. ط1. .2005

عليان، مصطفى. بناء الشخصية في القصة القرآنية. دار البشير. عمان. ط1. 1992.

العموش، خلود. الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النص والسياق. عالم الكتب الحديث. الأردن. ط1. 2005.

عون، نسيم. الألسنية محاضرات في علم الدلالة. دار الفارابي. بيروت.ط1. 2005.

بن عياد، محمد. المقام في الأدب العربي. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية صفاقس.2004.

عيادي، محمد الهادي. الكلمة دراسات في اللسانيات المقارنة. مركز النشر العلمي منوبة. ط1. 2010.

بن غازي، مسعود. صور الأمر في العربية. دار غريب. القاهرة.ط1. 2003.

الغيث، نسيمة. البؤرة ودوائر التصال. دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة. 2000.

بن فارس، أحمد. معجم مقاييس اللغة. تحقيق ابراهيم شمس الدين. منشورات دار الكتب العلمية. بيروت.ط1. 1999.

ابن فارس. الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها. تح مصطفى التونجي. مؤسسة بدران للطباعة والنشر. بيروت. 1963.

فتحي، محمد. الأبنية في اللغة العربية. منشورات ما بعد الحداثة. فاس. ط1. 2005.

الفراء. معاني القرآن.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد. كتاب العين. تحقيق عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. 2003.

فرج، حسام أحمد. نظرية علم النص. مكتبة الآداب. القاهرة. ط1. 2007.

فضل الله، محمد حسن. الحوار في القرآن. دار المنصوري للنشر قسنطينة. (دت).

فضل، عاطف. تركيب الجملة الإنشائية. عالم الكتب الحديث الأردن. ط1. 2004.

فندريس. اللغة. تعريب عبد الحميد الدواخلي. محمد القصاص. منشورات الإنجلو المصرية. القاهرة. (دت).

قادر، نجم الدين. نظرية السياق دراسة أصولية. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. 2006.

ابن قتيبة، عبد الله ابن مسلم. تأويل مشكل القرآن. تح السيد أحمد صقر. مطبعة الحضارة العربية. القاهرة. 1973.

القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. تحقيق عبد الرزاق المهدي. دار الكتاب اللبناني. (دت).

القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. مؤسسة الرسالة بيروت. ط1. 2006.

القزويني، الخطيب. شروح التلخيص. دار الكتب العلمية. بيروت. (دت).

قطب، محمد. صورة المرأة في قصص القرآن. مكتبة مصطفى الحلبي. ط1. 1996.

ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. تح سامي بن محمد سلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع. ط2. 1999.

ابن كثير. قصص الأنبياء. تح السيد الحميلي. دار الجيل بيروت. دار الجيل. بيروت. ط1. (دت).

الكردي، عز الدين محمد. وجوه الاستبدال في القرآن الكريم. دار المعرفة بيروت.

الكرمالي. أسرار التكرار في القرآن الكريم. تحقيق عبد القادر أحمد عطا. دار بوسلامة تونس. (دت).

الكروي، زينب. التصوير البياني في آيات الأمن والخوف. دار غراس الكويت. ط1. 2008.

الكفوي، أبو البقاء. الكليات. تح عدنان درويش. مؤسسة الرسالة. بيروت. 1998.

الكلاس، صلاح الدين خليل. موسى عليه السلام وقومه بني إسرائيل في القصص الحق. دار البشائر. ط1. 2007.

لاشين، عبد الفتاح. المعاني في ضوء أساليب القرآن. دار الفكر العربي. القاهرة. ط1. 2003.

ماضي، شكري. مائة قصة من نهاية الظالمين. المكتبة التوفيقية.

المبرد. المقتضب. تحقيق حسن حمد. دار الكتب العلمية بيروت. ط1. 1999.

المتوكل، أحمد. المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي. دار الأمان الرباط. ط1. 2006.

المتوكل، أحمد. دراسات في اللسانيات. دار الأمان. الرباط. ط1. 2005.

المتوكل، أحمد. قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية. دار الأمان. المغرب. (دت)

محمد، عزة شبل. علم لغة النص النظرية والتطبيق. مكتبة الآداب القاهرة. ط2. 2009.

المديوني، المنجي. مواجهة الاستبداد السياسي وسنن نهايات المحن قصة موسى وفرعون أنموذجا. دار البدائل. بيروت.ط1. 2001.

المصري، رأفت. شخصية الحاكم في ضوء القصص القرآني. دار الفاروق. عمان. ط1. 2009.

المصري، فتح الله صالح. الأدوات المفيدة للتنبيه في كلام العرب. دار الوفاء المنصورة. ط1. 1987.

مطاوع، سعيد عطية علي. الإعجاز القصصي في القرآن. دار الآفاق العربية القاهرة. ط1. 2006.

مطلوب، أحمد. معجم المصطلحات البلاغية. مكتبة لبنان. ط2. 2000.

مقبول إدريس. الأسس الابستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه. عالم الكتب الحديث. عمان. ط1. 2007.

المقدم، محمد اسماعيل. لماذا نصلي. دار العقيدة. الاسكندرية. ط1. 2001.

أبو المكارم، علي. الجملة الفعلية. مكتبة الشباب القاهرة (دت).

مكرم، عبد العال سالم. الترادف في الحقل القرآني. عالم الكتب القاهرة. ط1. 2009.

المنجد، نور الدين. الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق. دار الفكر. دمشق. ط1. 1997.

ابن منظور. لسان العرب. دار صادر. بيروت. ط3. 2004.

ابن منظور. لسان العرب. مطبعة بولاق. القاهرة. (دت).

المودودي، أبو الأعلى. فرعون في القرآن. المختار الإسلامي. القاهرة. (دت)

موسى، مشهور. المتشابه اللفظي في القرآن الكريم. عالم الكتب الحديث. الأردن.ط1. 2010.

مونسي، حبيب. التردد السردي في القرآن الكريم. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.

مونسي، حبيب. المكان في الشعر العربي. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.2011.

بن ناصر، عبد الرحمن. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.

نجاتي، محمد عثمان. القرآن وعلم النفس. دار الشروق. القاهرة. ط7. 2001.

نصار، حسين. التكرار. مكتبة الخانجي. القاهرة. ط1. 2003.

النعيمي، أحمد حمد. إيقاع الزمن في الرواية المعاصرة. دار الفارس. الأردن. ط1. 2004.

نقرة، التهامي. سيكولوجية القصة في القرآن.

نور الدين، رايض. نظرية التواصل واللسانيات الحديثة. مطبعة سايس. فاس. ط1. 2007.

ابن هشام. مغني اللبيب. تح محمد محي الدين. مطبعة المدني. القاهرة. (دت).

هليش، هرهارد. تاريخ علم اللغة الحديث. ترجمة سعيد حسن بحيري. مكتبة زهراء الشرق. القاهرة. (دت).

الهيشري، الشاذلي. الضمير بنيته ودوره في الجملة. منشورات كلية الآداب. منوبة.2003.

بن ياسر، خليل. الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب. دار جرير. الأردن. ط1. 2009.

يوسف، ألفة. تعدد المعنى في القرآن. دار سحر للنشر. تونس. ط1. 2003.

يوسف، علي توفيق الحمد. المعجم الوافي في أدوات النحو العربي. دار الأمل الأردن. ط2. 1993.

ابن يعيش، موفق الدين. شرح المفصل. إدارة المطبعة المنيرية. القاهرة. (دت).

يونس علي، محمد. وصف اللغة العربية دلاليا. منشورات جامعة الفاتح ليبيا. (دت).

الرسائل الجامعية:

أحمد، مرشد. جماليات المكان في روايات عبد الرحمن منيف. رسالة ماجستير جامعة حلب. 1992.

البطمان، سويس. العلاقات الدلالية في ضوء السياق. رسالة دكتوراه. جامعة حلب. 1995.

بوعمامة، محمد. علم الدلالة بين التراث وعلم اللغة الحديث. رسالة دكتوراة. جامعة قسنطينة. السنة الجامعية 1996–1997.

رابحة، محمد سعد. وسائل الربط في القرآن الكريم من خلال السياق. رسالة ماجستير. جامعة حلب 1996.

مدلفاف، سليمة. تحليل الخطاب القصصي في القرآن الكريم سورة القصص أنموذجا. رسالة ماجستير. 1996–1997.

مراح، سعاد. النموذج الاجتماعي في القصص القرآني. رسالة ماجستير. الجزائر. 1998.

همام، بلقاسم. آليات التواصل في الخطاب القرآني. رسالة دكتوراة. جامعة باتنة.2005.

الدوريات:

- عالم الفكر، الكويت ع 21 سنة 2011
- مجلة عمان، مارس ع 129 سنة 2006

المواقع الالكترونية:

http//org.wikipedia.org

فهرس البحث

مقدمة البحث	02
الفصل الأوّل: السّياق، مفهومه وأنواعه	35-6
مدخل	06
1.1. لغة	06
2.1. اصطلاحا	06
2. أنواعه	07
1.2. السياق اللغوي	07
2.2. السياق النفسي	08
3.2. السياق الثقافي	08
4.2. سياق الموقف	09
1.4.2. المقام	09
2.4.2. مقتضى الحال	10
3.4.2. سياق الحال	12
3. مكوّنات السياق	13
1.3. مكوّنات السياق اللغوي	14
1.1.3. الكلمة	14
1.1.1.3. الكلمة لفظا	15
2.1.1.3. الدّلالة على المعنى	16
1.2.1.1.3. مفهوم المعنى	16
2.2.1.1.3. مستويات المعنى	17
أ- المعنى الإفرادي	18
ب- المعنى النحوي	18
ج- الوضع	18
2.1.3. الجملة	20

1.2.1.3. الجملة عند القدامى **20**
أ- معيار الإسناد 21
ج- معيار الإفادة **21**
د- معيار الاستقلال **22**
2.2.1.3. الجملة عند المحدثين **22**
أ- الصيغة **22**
ب- التنغيم 22
ج- التضام **22**
د- التوليد 23
3.2.1.3. علاقة الجملة بالسياق **23**
أ- قواعد الجملة **23**
ب- النظم والجملة **24**
3.1.3. النص **25**
1.3.1.3. تعريفه **25**
2.3.1.3. النصّ لدى البنيويين **26**
3.3.1.3. النصّ لدى السيميائيّين **26**
4.3.1.3. النصّ لدى علماء اللغة الاجتماعيين **27**
5.3.1.3. مقوّمات النص **27**
أ- القصدية والمقبولية **27**
ب- المقامية **28**
ج- الحبك **28**
د- التناص **28**
2.3. مكوّنات سياق الموقف **29**
1.2.3. التواصل **30**
2.2.3. المتكلم أو المرسل 31
3.2.3. الرسالة **31**

4.2.3. المرسل إليه أو المستمع	32
5.2.3. القناة	32
6.2.3. مجال الحديث	33
7.2.3. المكان والزمان	33
الفصل الثّاني: السّياق اللّغوي ودلالته في القصّة	105-36
1. الأمر	36
2. النّهي	48
3. النداء.	54
4.التكرار	65
1.4. مفهوم التكرار	65
2.4. أنواع التكرار	68
5. بناء الكلمة	75
1.5. تحويل اسم الفاعل إلى صيغة المبالغة	77
2.5. التحوّل في صيغة الفعل	78
6. التّرادف/التّكرار اللّفظي	79
7. التّكرار بنظم الجملة	90
1.7. حذف الواو وإثباتها	90
2.7. إثبات حرف الجر	91
3.7. إثبات حرف التوكيد المصدري	92
8. الحذف والزيادة	93
9. الربط والإحالة	93
1.9. الربط بحروف العطف	96
1.1.9. الواو	96
2.1.9. أو	97

3.1.9. الفاء 98

4.1.9. ثمّ 99

2.9. الرّبط باسم الإشارة 100

3.9. الربط باسم الموصول 102

4.9. الربط بضمير الشأن 104

5.9. الربط بضمير الفصل 104

الفصل الثّالث: السّياق النفسي ودلالته في القصّة 106-145

1. الخوف 106

1.1. خوف أم موسى 108

2.1. خوف موسى عليه السلام 110

3.1. خوف قوم فرعون 114

2. الفرح 115

1.2. فرح أم موسى 116

2.2. فرح امرأة فرعون 117

3. التسلط 117

1.3. الطغيان 118

2.3. الكبر 121

3.3. الانتقام 125

1.3.3. قطع الأيدي والأرجل 126

2.3.3. التصليب 127

4. النّدم 128
1.4. ندم موسى عليه السلام 129
1.1.4. طلب المغفرة 133
2.1.4. طلب الرحمة 133
2.4. ندم السحرة 134
3.4. ندم فرعون وحسرته 136
5. الأمن 137
الفصل الرّابع: السياق الاجتماعي ودلالته في القصّة 146-173
1. الأسرة البيولوجية 146
1.1. علاقته بالأب 147
2.1. علاقته بالأم 148
3.1. علاقته بالأخت 151
4.1. علاقته بأخيه هارون 152
2. الأسرة المتبنّية 156
1.2. علاقته بالأم البديلة "آسيا" 156
2.2. علاقته بالأب المتبني "فرعون" 158
1.2.2. مرحلة الطفولة 158
2.2.2. مرحلة النضج والكمال 159
3. الأسرة المصاهرة 161

4. علاقاته خارج الأسرة	163
1.4. علاقته برجلين يقتتلان	163
2.4. علاقته برجل يسعى	165
3.4. علاقته مع السحرة	166
4.4. علاقته مع بني إسرائيل	168
5.4. علاقته بسيدنا الخضر	170
الفصل الخامس: سياق الموقف ودلالته في القصّة	174
1. عناصر سياق الموقف: المتكلم والسامع	174
1.1. بين أم موسى وأخته وآل فرعون	175
2.1. بين موسى وفرعون	177
3.1. بين موسى عليه السلام وأخيه والقوم	178
2. الرسالة	181
1.2. الرسالة الأولى: الأمن والاستقرار	182
2.2. إثبات وحدانية الله تعالى	186
1.2.2. بين موسى وهارون وفرعون	189
2.2.2. بين السحرة وفرعون	194
3.2. الرسالة الثالثة: الوصول إلى الباطن من خلال الظاهر	200
1.3.2. الرحمة	200
2.3.2. العلم اللدني	201

3. الزّمان

1.3. أنواع الزمان 209

1.1.3. الزمان الكرونولوجي 209

2.1.3. الزمان السيكولوجي أو النفسي أو الذاتي 210

3.1.3. الزمن الصرفي 210

4.1.3. الزمان الكوكبي 211

1.4.1.3. ما قبل الزمان الكوكبي 212

2.3. البناء الزماني في قصة موسى عليه السلام 212

3.3. علاقة الزمان بالشخصيات 219

4. المكان 223

1.4. أنواع المكان 224

1.1.4. المكان الطبيعي 225

1.1.1.4. البحر 225

2.1.1.4. اليمّ 226

2.1.4. التابوت 228

3.1.4. الساحل 222

4.1.4. الظل 232

5.1.4. الطور والجبل 232

6.1.4. شاطئ الواد الأيمن 233

7.1.4. البقعة المباركة 234

8.1.4. الشجرة 234

9.1.4. الجبل 235

2.4. المكان الإنساني 237

1.2.4. البيت 238

2.2.4. القرية 240

3.2.4. المدينة	242
خاتمة البحث	247
فهرس الآيات	251
المصادر والمراجع	276